۳۸

۲۳٤۸

قد دخل هذا الكتاب في ملك
اقل عباد الله الجاني محمد بن جواد
بن علي بن محمد البحراني
حرر في ٢٢ محرم الحرام ١٢٨٦

هذا كتاب تزيين الاسواق

بسم الله الرحمن الرحيم تيمنا

الحمد لله الذي أطلع في بروج اعتدال القدود • شموس المحاسن والجمال •
وأهل في منازل السعود • بدور اللطائف والكمال • وزين أغصان
القدود • برمان النهود • ورياض الوجوه بنرجس اللحاظ وورد الخدود
وألف بين ما نظم في الثغور • وقلائد النحور • وجعل نزهة الابصار • لذوي
البصائر ولطائف الافكار • من أسباب الافتتان • بتأمل الحسان • فرق لهم وان
اختلفت أغراضهم منزلة الاغراض • لرشق قسي الحواجب بسهام اللحاظ نحمده
على تعديل العرجة فرقها صحة التأمل • في حسن التجمل • وتصفية أنفس الأذ
الاستبصار والتبصر • في الفرق بين الجهل والتعقل • ونصلي ونسلم على من
بعث بنهي النفس عن الهوى • والارشاد الى طريق العدل والاستوا
والامر بإعلاء العقل على النفس • وقهر شهوات الجسم وتقييد مدارك
الحس • وحث على تهذيب النفس الابية • عن الرذائل الدنية • سيدنا

محمد وعلى آله وأصحابه المتخلقين بأكرم الأخلاق والأوصاف • وأجمل اللطافة
والصفا • ما نظرت الحدائق ونظرت الحدق • وما أنق الفلق وما ألق الفالق •
وبعد فلما دل تنويع أصل الإيجاد • وتفريع عوالم الكون والفساد • مع
قدرة الموجد على جعل الموجودات من أصل واحد على تمام النفوع من ملازم
التي الواحد في كل حال • واستراحتها في اختلاف الأطوار بالنظر والانتقال
وكان أعظم مطلوب منها تحصيل العلوم التي هي سبب السعادة الدينية •
وتشييد المباني الشرعية • وجب إسعافها بالمفاكهات الأنيقة • والأخبار
اللطيفة الرشيقة • لتنشط من عقال التعب • وتستريح فتعود الى المطلوب منها
خفيفة من كل الوصب والنصب • وذلك هي العلوم الأدبية كالتواريخ والأ
ولطائف الحكايات والأشعار • ولما من الله سبحانه وتعالى علي بعد تحرير
العلوم العقلية • وتهذيب النفس بالدقائق الحكمية • بالهجرة الى الديار المصرية •
فتلقيتها بين الأماثل • وخدمت من بها من أرباب الفضائل • فمن سبحانه
وتعالى بجاري عوائده السنية • بتحصيل ما أمكن من العلوم الشرعية • تبدلت
زمنت في خلال الاشتغال • بما شوش الفكر وغير البال • وهيج البلبال الم
من هموم وحاجة واغتراب كدرت مني القوى النفسية

فهي في كل ساعة في ازدياد   غبت منها عن مدرك الحسية
فأنا وهي في التلازم صرنا   كالهيولى والصورة الجنسية

لا اجد من يفرج الكرب اذا اشتكوت اليه ٥ ولا من اعول اذا ضاق الامر عليه ٥ كان الزمان كما قيل ٤ لم يبق صاف ولا مصاف ٤ ولا معين ولا معين وفي المساوي بدا التساوي ٤ فلا امين ولا امين ٤ فغير ذلك اشعار ادركني الناقب ٥ فقعدت عن بلوغ المآرب ٥ فاعملت الحيلة فيما يريح النفس وانفي اللبس ٥ فانقدح في الفكر بعد طول التعب ٥ ان امتطي غارب الادب ٥ فمارست من الاصحاب من هو له كالعناصر ٥ فمال اليه ذهني الفاتر ٥ فشرعت في جمع شي من محاسنه المختلفة ٥ وضمها بحيث تكون في الجنس وان اختلفت في النوع مؤتلفة ٥ وكان اول ما سطرته ٥ واحكمت قواعده وحررته ٥ طبقات ذكرت فيها اخبار الحكماء ٥ ولطائف الاطباء ٥ ثم زبد مجاميع مختلفة ٥ الى ان وقع اختياري على اختصار اسواق الاشواق المأخوذ من مصارع العشاق ٥ المنسوب الى ابي بكر محمد بن جعفر البغدادي السراج رحمه الله تعالى فانه وان كان قد جمع جد القول وهزله ٥ وظرائف نكت العشق واهله ٥ ورقيق اللفظ وجزله ٥ اذ هو صناعة مفخر زمانه

وربيب اقرانه ٥ وواحد عصره ٥ ونادرة دهره ٥ مولانا ابي الحسن بن ابرهيم ابن حسن ابن عمر الرباط الشهير بالبقاعي تغمده الله برضوانه ٥ واسكنه فسيح جنانه ٥ الا انه كتاب طال في غير طائل ٥ وجمع ما لا حاجة لهذه الصناعة اليه من المسائل ٥ كذكر الاسانيد وتكرارها الذي هو شان الاحاديث النبوية لتوثيق الاحكام الشرعية ٥ وكالاخلال بمحاسن الاخبار ٥ ولطائف الاشعار التي هي بهذا الفن اعلق من الجوى باهل الهوى ٥ وعدم الترتيب المستلزم لاختلال التهذيب ٥ وكالاعراض عن ذكرها الى الاسباب ووقوع بعض العشاق في شرك الحب الى غير ذلك ٥ مما يظهر للمتامل كما تراه مع اصله ٥ اذا اطرح الهوى وانتظم في سلك الانصاف واهله ٥ فالفت هذا الكتاب الذي هو في قلادة هذا الفن درة بيضاء ٥ وفي جبهة جواده غرة غراء ٥ كملت فيه فوائده ٥ وقيدت شوارده ٥ واضفت ما نبذه ظهريا ٥ ولم اراج فريا ٥ فزاد على اصله بامور اشير الى احدها وهو الاعظم تبديل ما في الباب العاشر الذي سماه بالتارج الجامع لما في المصارع ٥ بما هو خليق بهذا الاسم ٥ وجدير بهذا الوسم ٥ ضمنته ما حل مما تقدمه محل الاصول من الفروع ٥ فجعلت الغيرة اصلاً لنحو حكاية ديك الجن ٥

وكتم الأسرار لنحو صاحب الجارية في عرفة وتأمل الخيال لنحو من عشق
في نومه إلى غير ذلك وجمعت فيه ديوان الصبابة وغيره وهو نمط
ما بسط قبل **وثانيها** حسن التقسيم في الأبواب **وثالثها** لطف الترتيب في
ضم الأنواع المتماثلة **ورابعها** حذف الأسانيد والتكرار مع ذكر ما اختلف
بإشارات كاد وقيل **وخامسها** ذكر السبب الموقع لصاحب الحكاية فيها **وسادسها**
تمييز من جهل شيء من أحواله ممن علم بسائر أقواله وأفعاله **وسابعها** تفصيل
من علق الأحرار من أهل الرق والمسلمين من أهل الشرك وأمثال ذلك من
قديم ومحدث **وثامنها** ذكر ما في الأصل من الألفاظ اللغوية مفسرا ذلك
بإثباته أو إبدال ذلك بأوضح منه **وتاسعها** شرح ما في الأشعار من الغريب
وعاشرها تعليل الأسباب المتعلقة بهذا الفن بالعلل الحكمية والأدلة الفلسفية
والقواعد الطبية **وحادي عشرها** تعلق هذا الفن بأنواع المواليد الثلاثة
وكيفية دخوله فيها **وثاني عشرها** الزيادات في الأبواب فربما كانت أنواعا
مستقلة أو تكميلا لما وجد بعضه في الجملة وربما زاد عليه بأشياء غير المذكور في
مطاوي معانيه فتر عن استحضارها الذهن هذا كل ذلك مما استخرجه
فكري القاصر وذهني الفاتر أو ظفرت به في كتب ربما أسمي بعضها فيه

هذا

هذا كله مع أني والله لم أخل في يوم من أيام عمله من مشوش طار على
ما عندي عما سبق الإشارة إلى ذكره فلما كمل واتسق وانتظم في أكمل نسق
سميته بتزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق **ورتبته** على مقدمة
وخمسة أبواب وخاتمة والله المسؤول أن ينفع به فيما قصد بترتيبه وأن
يوفقنا إلى أصح القول وتهذيبه إنه أكرم من أعطى المراد وسئل فجاد
فالمقدمة فيما جاء فيه من الأخبار والآثار ويلي ذلك أربعة فصول
الأول في الترغيب فيه **والثاني** في ذمه **والثالث** في مراتبه **والرابع** في علاماته
والباب الأول في مصارع محبي الله تعالى وفيه فصل فيمن مات فيه من قتله الذكر
بنحو سماع آية **والباب الثاني** في عشاق الجواري وهو خمسة أقسام **الأول**
فيمن اشتهر **الثاني** فيمن جهل **الثالث** في عشاق الإماء **الرابع** فيمن وصموا
بالفساق **الخامس** فيمن هتك العصمة وحل عقد المحبة وفي كل قسم أصناف
وأنواع حسب ما احتمله المقام من صحة الانقسام **الباب الثالث** في عشاق
الغلمان وهو أربعة أقسام **الأول** فيمن استلب الهوى نفسه **الثاني** فيمن
جهل حاله **الثالث** فيمن ظفر بمطلوبه **الرابع** فيمن منعه الزهد والعبادة
أن يقضي من محبوبه مراده والحقت ذلك بخاتمة تشتمل على ذكر الدواء

للسلو عن الهوى **الباب الرابع** في ذكر دخول العشق فيما سوى البشر وهو
نوعان **الاول** في الجن **الثاني** في الحيوان والنبات والمعادن والعناصر
والافلاك **واما الباب الخامس** فقد اشتمل على فصول كل فصل منها قد احتوى على
النكت والعجائب واللطائف والغرائب من اصول هذه الصناعة
الزمت نفسي ان افتتح كل فصل منه بكلام استاذ الحقيقة ورئيس اهل
الطريقة سلك كل لافظ وسبق ما في الطريق من القواطع والعوارض
سيدي عمر ابن الفارض عمنا الله ببركاته وطيبنا بنفحاته متبعا ذلك بما
نثر من حل الفاظه حسب ما سنح في الذهن ثم بعد انتهاء متعلق الطريقة
ارجع الى كلام للترجمة من اهل الظاهر واختم الفصل بما تسمح به القريحة
الفاترة والفكرة القاصرة من لطائف النظم المناسب لما ذكر عن اهل الصناعة
هناك واتبعت الفصول بتتمة في لطائف الغزل الخاص والعام وتقسيم ذلك
واما الخاتمة ففي لطائف ونكت متفرقة لا التزم تعلقها بالعشق وبها يتم الكتاب
المقدمة فيما جاء في العشق من الاحاديث والآثار وفي حده وعلاماته اعلم
ان واهب الصور لما صدر عنه العقل كان اعظم صادر لقربه من الكمال الذاتي
فالعود اليه وطلب القرب منه واجب على كل ذي نفس قدسية ومن ثم

مطابقة الادوار شاهدة بذلك وبيانه لم عموم فقال له اقبل الحديث وعنه
النفس الكلية ثم فيض الاجسام الفلكية والعنصرية كما هو في محله الى ان
كان اشرف النفوس وارفعها على الاطلاق النفس الانسانية ونسبته التي
باصولها كما هو واضح مقرر في محله بالبراهين انقسمت هذه النفس باعتبار
اصولها الى ثلاثة اقسام **احدها** النفوس المعدنية وهي الجامدة التي لا
تعقل ما يراد منها ولا تعرف الا ما تقوم بنيتها ويصدر عنها ذلك اما
بالخاصية او بامر اودعه صانعها فيها بعلمها او بجهلها لذلك ما يشاهد من
صور في الجبال والطين ونحوهما **وثانيها** النباتية وهي ارفع من الاولى باعتبار
الذبول والنحول الظاهر **وثالثها** الحيوانية وتفضل السابقة بالحركة الارادية
والحساسية ونحوهما من العوارض ثم كل واحدة من هذه الثلاث تنقسم
باعتبار ما اشتبه من النوع كانقسامه في نفسه وذلك كانقسام الاولى الى
الى ما يكون صافي الجوهر جيده كالياقوت والذهب والثانية الى ما هو زينة ٢٧
كثير النفع طيب الطعم والرائحة كالعنبر والعود والثالثة الى صالح للنفع وا
كالخيل شجيعا كالاسد حسيبا كالنمر حافظا للعهد كالكلب قويا على حفظ
ما يحفظ كالقرد ونظائر ذلك ولما كانت النفس الانسانية زبدة الكائنات

ومخاطة طرفي سلسلة العلل والمعلولات لاجرم كانت مستعدة على ان تتبع
شهوات الجسم وعوارض الكثيف فتكون الحيوانية بحتة او تعمل في خلاص
النفس من ظلمة الطبيعة وقفص الجسم فتلحق بعالمها الاصلي وهي النفس الملكية
المقربة بالمبدأ المحض والمعاد المخلصة من محض الكثافة للتنظم في سلك محض
اللطافة او تجمع بين الامرين فتؤلف بين الطريقين وهذه هي الانسان المطلق
والاولى الحيواني والثاني الملكي فقد بان لك ان الانسان منقسم كاصله
وممتز بفعله لا شبهة في انقسام كل كالمنتسب اليه ويكون كماله منزلا عليه
فالحكيم محتاج في اصلاح الاولى الى ما يكون بمجرد حسن اللفظ والسياسة
كالطيور او بالضرب والاهانة كالدب والحمار او باطعام الطعام كالخيل
والكلاب او بالارشاد والجذب والتحفظ من غدرها كالاسود والجمال
والثانية وان تفاوتت مراتبها غنية عن الاصلاح الا من قبل بدنها
والثالثة هي المحتاجة الى العلاج وملاطفة المزاج والعشق الحقيقي لها
غالبا لانه تابع للامزجة ولان عشق الملكية والحيوانية بسيط اذ لا
يكون لمحض ذات واجب الوجود ومبدع الفيض والجود والثاني لمحض
قضاء شهوات الجسم الفاسدة الناشئة عن الفكر الجامدة اذا تقرر هذا

فاعلم

فاعلم ان العشق بعد اذ سمعت ما سمعت يختلف باختلاف المزاج
على انحاء اربعة سريع التعلق والزوال كما في الصفراويين وعكسه كما
في السوداويين سريع التعلق بطيء الزوال كما في الدمويين وعكسه كما
في البلغميين وسل هذه مراتب الحفظ والنسيان واما المعتدل فيكون
العشق فيه كذلك فعلى هذا يكون قولهم لكل احد صبوة الا من خبثت
خلقته او نقصت بنيته او خرجت عن الاعتدال امزجته محمولا على
الاعتدال الذي اذا حصل للشخص كان به على ما ينبغي ان يكون
عليه لا الحقيقي لعزة وجوده ولزوم نذور العشق حينئذ والواقع خلافه
ثم هو متى ما وقع على ما وصفناه امكن به حصول المزايا المذكورة
فيه فقد قال الاستاذ ان اقل مزاياه تعليم الكرم والشجاعة والنظافة
وحسن الاخلاق وذلك ان غاية العاشق رضى معشوقه ورضى
المعشوق اتصاف العاشق بما يوجب المدح ويحسن المرتبة في القلب
فعلى ثبوت هاتين المقدمتين ينتج ما قلناه واللازم واقع فكذا الملزوم
وبيان الملازمة ظاهر وايضاحه ان العاشق وان بخل جدا فلا يمكن
بخله على المعشوق ومنه يتطرق الحال الى من يعلم انه متى بخل عليه

او وصل الامر الى معشوقه وهكذا فيؤدي الحال الى مطلق الكرم
وكذا باقي التجايا المذكورة ولذلك جاء الناموس الشرعي بمطابقة القانون
الحكمي كما هو شان الشارع في غير هذا ايضا ليكون التطابق بين الحكمة
والشريعة في كل شيء ولا عبرة بكلام بعض الاغبياء **عن** ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وآله من عشق فعف فمات دخل الجنة **زاد** الخطيب
فظفر ثم بدل قوله دخل الجنة مات شهيدا **وفي** اخرى وكتم والحديث بسائر
ما ذكر صححه مغلطاي واعله البيهقي والجرجاني والحاكم في التاريخ
بضعف سويد وتفرده به وابن الجوزي مرفوعا وابو محمد بن الحسين موقوفا
واخرج الخطيب عن عائشة رضي الله عنها ايضا وحاصل الامر اما صحته او حسنه والجواب
عن تفرد سويد المنع بوروده عن غيره وحكايته محدثا وكونه قبل عما
فلا تدليس واذا قد ثبت فهو شاهد بما قلناه لان غاية الغايات
دخول الجنة وهو مستلزم رضى الله تعالى الذي لا مطلب اعلى منه
وقد جعلت مقدمات هذا المطلب العالي العفة وهي مذهب الحكماء
بل اساس الحكمة وهي كما صرح به المعلم ثمرة الاصل الطاهر ودلالة على
الخلق الرضي والمزاج المعتدل ومنها الكتم وهو ثمرة المروة والشهامة

وكلاهما مستلزمان علو النفس وصحة المزاج فقد اتضح ما قلناه **وعن** عقبة
ابن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله ليعجب من شاب لا
صبوة له ووجه الاعجاب القدرة على حكم زمام النفس وزجرها مع تركيب
الشاهية وتوفر الدواعي وما نكلفه في الاصل من ان المراد بالاعجاب اثره
واضح لا يحتاج اليه لانه وما شاكله من الرحمة التي هي رقة القلب لا تكون
لذي المزاج الانساني لما علم بالضرورة تنزهه تعالى عن الاجسام والاعراض علم
بروه من لوازمها فما وقع من توهم شيئا فالمراد لازمه ولصحة هذا الحديث
واشتهاره بين الاكابر جاء تضمينه في اشعارهم كثيرا فمن الطف ما قيل في
ذلك قول ابن الصائغ

تكتم ما القاه يا نور ناظري	من الوجد كيلا يذهب الاجر باطلا
فقد جاءنا عن سيد الخلق احمد	ومن كان برا بالعباد وواصلا
بان الذي في الحب يكتم وجده	يموت شهيدا في الفراديس نازلا
رواه سويد عن علي ابن مسهر	فما فيه من شك لمن كان عاقلا
وماذا كثير للذي مات مفردا	سقيما عليلا بالهوى متشاغلا

والطف من ذلك ما حكاه التاج السبكي في الطبقات الكبرى عن

ابي نواس قال مضيت الى باب ازهر والمحدثون ينتظرون خروجه فما
كان الا ان خرج وجعل يقضيهم واحدا بعد واحد حتى التفت الي
فقال ما حاجتك فانشدته

ولقد كنتم رويتم … عن سعيد عن قتاده … عن سعيد بن المسيب
ان سعد بن عباده … قال من مات محبا … فله اجر الشهاده

فقال ازهر نعم وذكر الحديث ولابي نواس ايضا

حدثنا الخفاف عن وائل … وخالد الحذاء عن جابر
ومسعر عن بعض اشياخه … يرفعه الشيخ الى عامر
وابن جريج عن سعيد وعن … قتادة الماضي وعن غابر
قالوا جميعا ايما طفلة … علقها ذو خلق طاهر
فواصلته ثم دامت له … على وصال الحافظ الذاكر
كانت له الجنة مبذولة … تمرح في مرتعها الزاهر
واي معشوق جفا عاشقا … بعد وصال ناعم ناضر
ففي عذاب الله سوى له … بعدا له من ظالم غادر

وفي رشاق الانفاق في ملح شعراء الافاق لابن المبارك الاكما

حدثنا سفيان عن جابر … عن خالد عن سهل الساعدي
يرفعه من مات عشقا فقد … استوجب الاجر من الماجد

واما الاثار فكثيرة لا تكاد تحصى لكن نورد الطفها كما هو شاننا فمن ذلك
روي عن المهدي قال اشتهي ان اصلي على جنازة عاشق مات في الحب
وكان شريح يكثر الجلوس في الطرقات ويقول لعلي ارى صورة حسنة
وكان ابن الليث قاضي مصر يكتب قصة فسمع جارية تقول

ترى في الحكومة يا سيدي … على من تعشق ان يقتلا

فرمى القلم وهو يقول لا ومن ابن عباس الهوى اله معبود فقيل له انقول
فقال نعم الله تعالى يقول افرايت من اتخذ الهه هواه وقال العباس

يح للمحبين ما اشقى جدودهم … ان كان مثل الذي بي بالمحبينا
يشقون في هذه الدنيا بعشقهم … لا يدركون به دنيا ولا دينا
يرق قلبي لاهل العشق انهم … اذا راوني وما القى يرقونا

وقال ايضا

ايها الناذب قوما هلكوا … صادف الارض عليهم طبقا
اذنب لعشاق لا غيرهم … انما الهالك من قد عشقا

واخرج ابن الحسين الحازري من عن ابن عيسى قال دخل ابن سحنون على مالك فقال يا امام اجعلني في حل من ابيات قلتها فيك فقال وقد ظن انه هجاه انت في حل من ذلك فانشد الابيات بين يديه وهي

سلوا مالك المفتي عن اللهو والغنا ... وحب الحسان المعجبات الفوارك
ينبئكم اني مصيب وانما ... اسلي هموم النفس عني بذلك
فهل في محب يكتم الحب والهوى ... اثام وهل في ضمة المتهالك

فضحك وقال لا اثمك الله تعالى **واظرف من ذلك** ما اخرجه ابو نعيم في الحلية عن الربيع ابن سليمان قال دخل شاب على الشافعي برقعة فوقع فيها بعض وناوله اياها فتبعته على انها فتيا اكتبها فاذا هي

سل المفتي المكي هل في تزاور ... وضمة مشتاق الفؤاد جناح

فكتب تحته

اقول معاذ الله ان يذهب التقى ... تلاصق اكباد بهن جراح

فانكرت كتابته لمثل هذا الشاب وذكرت له فقال انه هاشمي وقد دخل بعرسه في هذا الشهر يعني رمضان فسأل عن الضم والتقبيل يفسدان الصوم فقلت له لا قال الربيع فعاودته عن هذا الامر كذلك فعجبت من

فراسته **وحكي في الاصل** عن ابن حجر قال اخرج ابو نعيم ايضا انهم كانوا يعنفون بلا ريبة **وفي الطبقات الكبرى** لابن السبكي وحكاه في الاصل مترددا قال كتب جلال الدولة الى ابي الطيب الطبري

يا ايها العالم ماذا ترى ... في عاشق ذاب من الوجد
من حب ظبي اهيف اغيد ... سهل المحيا حسن القد
فهل ترى تقبيله جائز ... في النحر والعينين والخد
من غير ما فحش ولا ريبة ... بل بعناق جائز الحد
ان انت لم تفت فاني اذا ... اصيح من وجدي واستعدي

فاجاب

يا ايها السائل اني ارى ... تقبيلك العين مع الخد
يفضي الى ما بعده فاجتنب ... قبلته بالجد والجهد
فان من يرتع في روضة ... لا بد ان يجني من الورد
وان من تحسبه ناسكا ... يغلب عند الكشف والوجد
فاستشعر العفة واعص الهوى ... يسلم لك الدين مع الود
تغنيك عنه ناهد كاعب ... تضمها بالملك والعقد

تملك منها كل ما تشتهي ... من غير ما فحش ولا ردّ
هذا جوابي لقتيل الهوى ... فلا تكن بالحق تستعدي

والخرج الخطيب البغدادي عن العتبي قال رأيت عاشقين اجتمعا فتحادثا من اول الليل الى الغداة ثم قاما الى الصلوة وفي معنا انشد العلاء محمود لنفسه

لله وقفة عاشقين تلاقيا ... من بعد طول نوى وبعد مزاد
يتعاطيان من الغرام مدامة ... زادتهما بعدا من الاوزاد
صدق الغرام فلم يمل طرفا الى ... فحش ولا كف لحل ازاد
فتلاقيا وتفرقا وكلاهما ... لم يخش مطعن عايب او زاري

ومنه ما حكي عن بعضهم قال حكت لي امرأة عن شخص هواها وهويته انه قال لها هل لك في ان نحقق ما قيل فينا فقالت معاذ الله ان افعل ذلك وانا اقرا الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين **وقيل** لاعرابي ليلة تزويج محبوبته ايسرك ان تظفر بها قال نعم قيل فما كنت تصنع بها قال اطيع الحب في لثمها واعصي الشيطان في اثمها **وعن الاصمعي** قال قيل لاعرابي ما تصنع بمحبوبتك ان ظفرت بها قال امتع عيني من وجهها وسمعي من حديثها واستر منها ما يحرم كشفه الا عند حله وانشد ابن الهايم في المعنى

كم قد خلوت بمن اهوى فيمنعني ... منه الحياء وقد اودى بمعقولي
يا بى الحياء ويا بي ان المّ به ... وخشية بعد من قال ومن قيل

واصرح منه ما انشده ابرهيم ابن عرفة

كم قد ظفرت بمن اهوى فيمنعني ... منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن اهوى فيقنعني ... منه الفكاهة والتحديث والنظر
كذلك الحب لا اتيان معصية ... لا خير في لذة من بعدها سقر

اخرج صاحب الاصل عن سعيد ابن عقبة الهمداني قال لاعرابي حضر مجلسه ممن الرجل قال من قوم اذا عشقوا ماتوا فقال عذري ورب الكعبة ثم سأله علة ذلك فقال لان في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة

والخرج في الخلعيان ايضا وفي معناه انشد غيره

ما ان دعاني الهوى لفاحشة ... الا عصاه الحياء والكرم
فلا الى محرم مددت يدي ... ولا مشت بي لزلة قدم

هذا ما جاء في الاثار من العشق مع العفة **واما** ما يدل على كرمه وتوقعهم ولخنص قوم بزيهم منه فكثير **من ذلك** ما اخرجه التنوخي عن عروة ابن الزبير قال قلت لعذري انكم ارق الناس قلوبا يريد اصباهم الى الحب

٢٢

فقال نعم لقد تركت ثلاثين شابا خامرهم السل ما بهم داء الا الحب وقد
لتحص منهم مثله مقابلة فقال كقولي وزاد لكن غلبتنا بنو عامر بجنونها
وفي منازل الاحباب للشهاب محمود ليس حي اصدق في العشق من بني
عذرة لا تضرب الامثال فيه الا بهم وقال فزاري لعذري انعدون موتكم
في الحب مزية وهو من ضعف البنية ووهن العقدة وضيق الرئة فقال
والله لو رايتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الزج
والشفاه السمر تبسم عن الثنايا الغر كانها برد لجعلتموها اللات والعزى
وتركتم الاسلام وراء ظهوركم وعن ابن العلاء قال استنطقت اعرابيا عند
الكعبة واستنسبته فاذا هو فصيح عذري فسالته هل علقت الحب
فانبا عن شدة ولوع فاستخبرته ما قال في ذلك فانشد

تتبعن مرمى الوحش حتى رميننا ... من النبل لا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم ... فيا عجبا للقاتلات الضعائف
وللعين ملهى في البلاد ولم يقد ... هوى النفس شيء كاقتياد الطرائف

وقال بعض حكماء الهند ما علق العشق باحد عندنا الا وعزينا اهله فيه
وحكى الحافظ مغلطاي ان العشق يختلف باختلاف فان الغرام اشد ما

يكو

يكون مع الفراغ وتكرار التردد الى المعشوق والعجز عن الوصول اليه
فعلى هذا يكون اخف الناس عشقا الملوك ثم من دونهم لاشتغالهم
بتدبير الملك وقدرتهم على مرادهم ولكن قد يتذلل للمحبوب لما
في ذلك من مزيد اللذة كقول الحكم ابن هشام

ظل من فرط حبه مملوكا ... ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر ملقى ... مستهاما على الصعيد تريكا
يجعل الخد واضعا فوق ترب ... للذي يجعل الحرير اريكا
هكذا يحسن التذلل بالحر ... اذا كان في الهوى مملوكا

وقول الرشيد ايضا

ملك الثلاث الآنسات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكان
ما لي تطاوعني البرية كلها ... واطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك الا ان سلطان الهوى ... وبه قوين اعز من سلطاني

وقول ابن الاحمر سلطان الاندلس

ابا ربة الخلخال التي اذهبت نسكي ... على كل حال انت لا بد لي منكي
فاما بذل فهو اليق بالهوى ... واما بعز وهو اليق بالملك

ودونهم افرغ لقلة الاشتغال حتى يكون المتفرغ له بالذات اهل البادية
لعدم اشتغالهم بالمعاوق ومن ثم هم اكثر الناس موتا به ثم اعلم ان العشق
متى استولى لم يبق صفة سواه ولذلك يذهب الاخلاق العسرة وقوة

وفي معنى ذلك انشد بعضهم

سكوت فقال الشكل هذا تبرم	بحبي اراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت لشد ما	صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وادنو فتقصيني فابعد طالبا	رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها	وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها	اشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

وفيه ما لحقه بعد اظهار شدة تشوق وقوة ميل وكذا شدة الاقتباس
من المحبوب فيتوهم حيث تشبع نفسه ان الشوق لا يعاوده فيفارق
ويعود ذلك عليه بتلف نفسه والحق ان ذلك كله مع عدم التمكن
وهو الموسوم بالاشراك والاتصال فمنه لا يرى وجودا لسوى المحبوب
ومن ثم طعن على من يرى الدنيا مثالا للمحبوب وقد ذموا ما صدر عمن بدا
بالتلون ثم تندم فمن الطف ما في ذلك قول الهوى

ويمنعني

ويمنعني من بعض انكار ظلمها	اذا ظلمت يوما وان كان لي عذر
مخافة اني قد علمت لئن بدا	لي الهجر منها ما على هجرها صبر
واني لا ادري اذا النفس اشرفت	على هجرها ما ذا يبلغني الهجر

وقول علي ابن الجهم

نوب الزمان كثيرة واشدها	شمل تحكم فيه يوم فراق
يا قلب لم عرضت نفسك للهوى	او ما رأيت مصارع العشاق

فصل في الترغيب في العشق قيل ان بهرام كور لم يرزق سوى ولد
واحد فاخذ في ترشيحه بالملك وهو ساقط الهمة الى ان اتفق المعلمون
من الحكماء وغيرهم على ان لا رافع له الا العشق فسلط عليه الجواري
يعبثن به الى ان علق بواحدة منهن فامرها الملك بالتجني عليه وانها
لا تطلب الا رفيع الهمة فرغب في العلم والملك وكان بسبب ذلك
من اجل ملوك الفرس واعلمها وفي المعنى قال ابن الحاجر

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى	ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقول بعضهم

وما سرني اني خلي من الهوى	ولو ان لي ما بين شرق الى غرب

قال ابن ابي كثير لابن ابي الزرقا هل عشقت حتى تكاتب وتراسل
فقال لا قال لن تفلح والله ابدا وانشد الشعبي

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى … فانت وعير في الفلاة سواء

وعجزه غيره فقال

فكن حجرا من يابس الصخر جلدا

وانشد ابن معاذ

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر … حبيبا ولم يطرب اليك حبيب

وقالت امرأة في الطواف

رأيت الهوى حلوا اذا اجتمع الشمل … ومرا على الهجران لا بل هو القتل
ومن لم يذق للهجر طعما فانه … اذا ذاق طعم الحب لم يدر ما الوصل
وقد ذقت طعميه على القرب والنوى … فابعده قتل واقربه خبل

فصل في رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم في ذلك

قال بعضهم العشق مجهول لا يعرف ومعروف لا يجهل هزله جد وجده
هزل وهذا في الحقيقة تعريف بالعوارض غير اللازمة واشارة الى اختلاف
الحالات الكائنة عنه فان الجهل يعتري العشاق عند تزايد الحب فيوجب
الجبن في الامر وعكسه عند انفصاله عن المخيلة والهزل مباديه والجد تمكنه

ونحوه ما اجاب يحيى ابن اكثم وقد سأله المأمون ما العشق فقال سوانح
للمرء تؤثرها نفسه ويهيم بها قلبه فقال له ثمامة انما شأنك ان تفتي في
مسئلة طلاق او محرم صاد صيدا فقال المأمون قل يا ثمامة فقال
العشق جليس ممتع واليف مونس وصاحب مالك ومالك قاهر
مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة واحكامه جائرة ملك الابدان
وارواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول
وآراءها واعطي عنان طاعتها وقياد ملكتها وقوى تصرفها
توارى عن الابصار مدخله وغمض في القلوب مسلكه فقال له
المأمون احسنت والله يا ثمامة وامر له بالف دينار وفي رواية انه قال
اذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع
تستضيء به نواظر العقل ويتصور من ذلك اللوامع نور خاص بالنفس
متصل بجواهرها يسمى عشقا اقول وهذا تعريف له بحقائقه وموادّه
الذاتية والاول تعريف بالعوارض والغايات وهذا بالحكمة اليق
ايضاحه ان نور البصر يوصل ما يدركه الى الحس المشترك وهو الى
الواهمة حتى يرتسم في القوة العاقلة المعروفة بالنفس الناطقة فقوله

بوصل المشاكلة يريد ان النظر الواقع عن تأمل عارف بتأمل المحاسن
ودقائق لطائف الشمائل يوجب ارتسام انوار في النفس تشبه الجواهر
المجردة تزدوج بالنفس لاتحاد بينهما في اللطف والصفا وهذا دليل
على ان العشق لا يتصور من جاهل غليظ الطبع ووصفه بعض البلغا
بانه فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيل وتصفي
ذهن الغبي وتطلق بالشعر لسان المفحم وتبعث حزم العاجز الضعيف
وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية
للادب واول باب تفتق به الاذهان والفطن وتستخرج به دقائق
المكائد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن نوافر الاخلاق والشيم
يمتع جليسه ويونس اليفه وله سرور يجول في النفوس وفرح يجول
في القلوب وقال سعيد بن سالم وقد قيل له ان ابنك شرع في الرقيق
من الشعر فقال دعوه يتظرف ويلطف وينظف يعني انه يتطلع من رقيق
الشعر على اسرار البلغاء وليس اوقع من الغزل ولا ادق مما فيه من تعلق العشق
ومدح المحبوب وذلك يؤدي الى ما وراء ذلك فان العاشق اذا علم
ما يقربه الى محبوبه بذل فيه امكانه والظرافة واللطافة والنظافة اعظم

مقرب وكانه قال دعوه لعله يتصف بالعشق ولولا الحمل على ذلك لم
يصلح سوق هذا هنا لانه على ظاهره ترغيب في مطلق الشعر فليتأمل
ونقل ابن خلكان في ترجمة العلاف ما ملخصه ان العشق جرعة من حياض
الموت ونقعة من حياض الثكل لكنه لا يكون الا عن اريحية في الطبع
ولطافة في الشمائل وجود لا يتفق معه منع وميل لا ينفع فيه عذل
وفي معنى شدة العشق انشد المؤمل

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ... ليت المؤمل لم يخلق له بصر
يكفي المحبين في الدنيا عذابهم ... والله لا عذبتهم بعدها سقر

وعرفه ارسطو بانه جهل عارض صادف قلبا فارغا دق عن الافهام
مسلكه وخفي عن الاوهام موضعه وحارت القلوب في كيفية تمكنه
عند ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب ثم يتغشى على سائر الاعضاء
فيبدي الرعدة في الاطراف والصفرة في الالوان واللجلجة في الكلام
والضعف في الراي والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه الى الجنون
زادت اعرابية يذهل العقل وينحل الجسم ويهمل الدمع يجدده
مرور الايام ولا تفسده بل لا تغيره اساءات المحبوب على الدوام ومن

ثم قال الاصمعي وقد سأله الرشيد ما حقيقة العشق قال انه شيء يستغرق
القلب في محاسن المحبوب ويذهله عن مساويه فيجد رائحة البصل من
المحبوب اعظم من المسك والعنبر **وتعاتبت** امرأتان من اهل المدينة في الهوى
فقالت احدهما تعذل الاخرى ذكروا في الحكمة لا تلم من اساء بك الظن اذا
جعلت نفسك عرضا للتهمة ومن لم يكن عونا على نفسه من خصمه لم يكن عنده
شيء من عقدة الرأي ومن اقدم على هوى وهو يعلم ما فيه من العتبة سلط على
نفسه لسان العذل وضيع الحزم **فقالت** المعذولة ليس الهوى الى الرأي
فيملكه ولا الى العقل فيدركه اما سمعت قول الشاعر

ليس خطب الهوى بخطب يسير	لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس امر الهوى يدبر بالرأي	ولا بالقياس والتفكير
انما الامر في الهوى خطرات	محدثات الامور بعد الامور

وقيل هي لعلية بنت المهدي **ووجد** على صخرة العشق ملك غشوم مسلط
ظلوم دانت له القلوب وانقادت له الالباب وخضعت له النفوس
فالعقل اسيره والنظر رسوله واللحظ لفظه مستقره غامض وهو دقيق
المسالك عسر المخرج **وضرب** بعض الحكماء مثلا للدين والعشق فقال هما كالنخل

يستميل

يستميل القلوب بحلاوة عسله وربما قتل بحمته وذلك لان الانسان لما
فيه عقل ملكي يتعقل الاشياء فينزجر ونفس شهوانية ترى اللذات فتنهمك ومن
ثم اذا وقع عن صدق جعل المحابين كنفس واحدة **حكى** الغنوي قال
دعيت الى عيادة مريض حب فدخلنا عليه والمحب الصحيح يذب عنه وكان
اذا شكى المريض شيئا شكى الاخر مثله فقدر ان قضى ونحن عنده فحال مفارقة
نفسه فارقت الصحيح نفسه **ومثله** ما حكاه في ذيل الامالي عن التميمي
ان اخوين من عذرة يقال لهما فضل وفضيل قضى احدهما فلما دفن طاط الاخر
ينظر فحين اشرج عليه اللبن انشد

سابكيك لا مستقصيا فيض عبرة	ولا مشبع بالصبر عاقبة الصبر

ثم عاد فلزم المنزل حتى قضى من الغد **فصل** في بيان مراتبه وما ورد في
كيفية ترقيه حتى يستولي على الحواس النفسية ويستغرق القوى الحسية
ويملك العقل والبدن ويورث الذل والحزن ويسهل الوقوع في
المهالك ويغري على سلوك اوعر المسالك **اعلم** لعلم انه الطف موجود
بيننا في الوجود كما حققناه وحيث هو كذلك فتعلقه لا بد وان
يناكله لاصطلاح كل اثنين تآلفا الى نسبة تآلفية ولا شبهة ان الروح

الطف ما في البدن فلذلك كان العشق اول ما تتشبث بها فهذا
دليل على انه يقابل الامراض كلها ومن ثم قال المعلم العشق نصف الامراض
وشطر الاعراض وقسيم الاسقام وجل الالام وهذا واضح لان الروح هي
الجزء اللطيف والبدن الجزء الكثيف والامراض تبتدي بالبدن والعشق
بالروح ولا شك ان سريان اللطيف في اللطيف اسرع مدركا واعظم استهلاكا
ويليه اللطيف في الكثيف كالحمى في البدن ثم الكثيف في الكثيف كما الفالج فيه
فعلى هذا نتيجة كلام المعلم بل اقول ان العشق غالب الامراض ليست
بالنسبة اليه الا كالعشير الى الكل والقطرة الى البحر وبرهانه ان الامراض
غالبا تخص البدن واما اشتغال الروح حينئذ بالتدبير والا فهي نفسها
صحيحة ثم مرتبة الثانية تتولد عن تكرار نظر او سماع خطاب يتعقل له
في الذهن معنى يكون لحديد القلوب مغناطيسا جاذبا ولاقطارها
بوهانا غالبا ويسمى حينئذ العشق الحقيقي وقال فيثاغورس لا يسمى
حبا الا اذا تولد عن مباشرة الحس وعندي هذا ليس بشرط وان
اشترط ففي حق البلداء من الناس ومن في حواسهم الباطنة ضعف
والا فاحد الحاستين الاصليتين كاف في ايصاله الى الحس المشترك

ثم مرتبة الثالثة الخيالية وهي عبارة عن استيفاء التخيل حتى لم يبق للعاشق
تخيل الا صورة المعشوق وان شارك الناس في الامور الظاهرة كانت تلك المشاركة
غير تامة وعلاماتها غلبة السهو ونقص الافعال والاحتياج الى محرك باعث ثم
مرتبة الرابعة وهي مرتبة الحفظ وهي الاستيلاء فيصرف القوة عن تحصيل كل
كمال الى النظر الى كل جمال فهذا هو العشق الذي يرى صاحبه البذل الى سوى
المحبوب اشراكا والفكر في غيره ضياعة واشتغال الزمان فيما سواه فسادا
وخروجا واليه اشار العارف بقوله

ولو خطرت لي في سواك ارادة … على خاطري سهوا قضيت بردتي

فتعبيره بالسهو اشارة الى تقصي المراتب واستيفاء الشروط كانه يقول من
المعلوم ان السهو لا يحدث الا من كثرة الواردات ولم يبق على قلبي وارد
سواك فكيف اسهو ومن ثم اشار بعد ذلك الى طرح المراد واماطة العلائق
والاتحاد الطالب مع المطلوب وعدم الاثنينية بقوله

وكل الذي ترضاه والموت دونه … به انا راض والصبابة ارضت

بعد ان كان قبل الوصول الى هذه المرتبة قد اثبت لنفسه مرادا حيث قال

وعيدك لي وعد وانجازه منى … ولي بغير البعد ان يرم يثبت

ثم الخامسة مرتبة الاستغراق وهي استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس
الناطقة باسرها وارتسام صورة المحبوب في مرآة العاقلة وحدها مع محو ما
سواها والى ذلك اشار العارف بقوله

ووجدي بها ماحي والفقد مثبتي

يعني ان وجدي الصحيح بالمحبوبة ماح اي صورتي التي كانت مع العالم
الدنيوي وكان فقدي لها هو الذي اثبتني وهذه المرتبة على الاصح من
كلام كثير هي اول المراتب التي يقع ببلوغها الياس من الانتفاع بالعلاج الذي
ذكرته الاطباء كالنظر في الحساب والمحاورات وتذكر مساوي المحبوب والنظر
الى امثاله وما يقاربه الى غير ذلك مما هو مقرر في مواضعه والسادسة مرتبة
الانقلاب وهي مرتبة ينقلب فيها ادراك العاشق في سائر الاشياء فيصير
اذا لمس الحجر او ذاق الصبر او سمع الايذاء او راى كالجيفة او شم رائحتها
فضلا عن اضداد ذلك يعتقده المحبوب وربما تجرد عن صورته فشاهدها
للصبوة واليه اشار العارف بقوله

فلم تهوني ما لم تكن فيّ فانيا   ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

وهذه المرتبة مع العناية والاخلاص تنقلب قدسية اذا كانت النفس
الناطقة قبل ذلك قد تخلصت بالكمالات عن البهيمية ولا الحقت صاحبها

بالحيوانات وعنها عبرت الاطباء بالمانيا والبرسام والسهر السباتي
والماليخوليا والسابعة مرتبة العدم الكلي والمفارقة الابدية وهي التي اذا
بلغتها النفس لم تستقر في البدن وربما كانت مفارقتها بتذكر او سماع
ذكر او تنفس صعدا او امر من المحبوب وحاصلها ان يصير الموت اعظم
اعظم امنية للنفس كما اشار اليها العارف بقوله

فموتي بها وجدا حياة هنية   وان لم امت في الحب عشت بغصتي
وقد صرت ارجو ما يخاف فاسعدي   به روح ميت للحياة استعدت

الى غير ذلك مما لو منح الله شخصا مددا يستغرق المدة وحياة تستنفذ
الابد وفراغا ينبذ الشواغل سدى ونفحات قدسية تصقل مرآة
عقله لقبوله الفيض ابدا وافرغ ذلك كله في تحرير ما اودعه عارف
الزمان وسلطان الافاق وفرد دائرة الاكوان وجامع فضائل
العشاق سيدي عمر ابن الفارض اعاد الله علينا وعلى المسلمين من
فواضل بركاته وفضائل نفحاته من مراتب العشق وادواره وتقلباته
واطواره لفني الزمان ولم يدرك معشاره وبادت الاكوان ولم
يعرف قراره ولولا ضيق هذا المختصر لاوضحت لك من بعض عجائب

تدقيقاته في أقل أبياته وكلماته ٭ ما يدعك في حيرة الفكر وبحار التعجب غارقاً
ويبكيك وان كنت مصقاعاً ناطقاً ومن ثم قيل المحبوب خير من الحيوة والكره
من الطبع عز من الموت لتمني كل عند حصول ذلك ولما ما نقل عنهم في بيان
مراتبه خصوصاً ما ذكره هنا فليس بالجيد اذ البعض دال على الاسماء والبعض
على الماهية والبعض على السبب فلم يحققه غيرنا الحد فاحفظ مقادير
ما ظفرت به وها انا ابين ذلك مع عدم انطباق ما ذكروه على المطلوب قال
ابن صاعد في طبقات الامم عن فيثاغورس صاحب سليمان نبي الله عليه السلام
العشق طمع يتولد في القلب عن النظر ينمو ويحدث اللجاج والاحتراق حتى
ان الدم يهرب عند ذكر المحبوب وقد يموت من تهفة او برؤية المحبوب بغتة
وربما اختنقت الروح من نحو ذلك فدفن ولم يمت وفي سيرة الاسكندر
ان هذا الابقراط زاد التميمي في كتاب امتزاج النفوس عن جالينوس ان
العشق من فعل النفس وذلك كامن في الروية فمتى تمكن افسدها وهذا
كله اشارة الى المراتب اجمالاً وفي كتاب المتيمين نظر رجل الى معشوقه
فاغشي عليه فقال حكيم انه من انفراج قلبه اضطرب جسمه فقيل له ما بالنا
لا نكون كذلك عند النظر الى اهلنا فقال محبة الاهل قلبية وهذه روحانية

فهي ارق والطف واعظم سرياناً وفعلاً وقال افلاطون العشق غريزة
تتولد عن الطمع زاد المعلم وهو يحدث عمى القلب عن عيوب المعشوق
وبه جاءت السنة حيث قال حبك للشيء يعمي ويصم رواه ابو داود واحمد

٭ وانشد فيه ٭

فلست براءٍ عيب ذي الود كله   ولا بعض ما فيه وان كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة   كما ان عين السخط تبدي المساويا

٭ وقد سرق ابن عبد الاعلى هذا المعنى حيث قال ٭

وعين السخط تبصر كل عيب   وعين اخي الرضا عن ذاك تعمى

واما الشيخ فقد حده بانه مرض يشبه المالنخوليا تولده الفكرة من
استحسان الصور والشمائل ولا يشترط اقترانه بشهوة جماع وقالت
اعرابية جل ان يرى ٭ وخفي عن الورى ٭ فهو كامن في الصدور كالنار
في الحجر ٭ ان قدح اورى ٭ او ترك توارى ٭ وهذا حد له بتحقيقه في
النفس وتريد عدم اشتراط الشهوة فيه وما احسن قول بعضهم

وما الحب من حسن ولا من سماحة   ولكنه شيء به الروح تكلف

وعلامة ما يكون منه عن شهوة فقط زواله اذا زال لانه عرض ولقد احسن الكا

عن مشاكلة في النفس وارتسام في الذهن فحد لا يزول ومتى صح
ارتسم عند كل من المتحابين ما عند الآخر لصفاء جوهر النفس وخلوها للمحبوب
وقد تكون العوارض المذكورة سببا للانقلاب الى الحد الاصلي كما ستجده
واما نحو الرسيس والحب وغيرهما فاسماء اقترحها الشعراء للتشبيب والتغزل
لا تنطبق في الحقيقة على ما ذكرنا لكن ربما كان لبعض منها مناسبة كالرسيس
فانه من الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب في النفس وزعموا
انه اول المراتب ولا ينطبق على المعنى اللغوي ويليه الحب وهو في الحقيقة
اول الالفة واشتق من حبة القلب او حباب الماء او من حبا البعير اذا برك
او من حبب الاسنان وهو بياضها وحد المحبة بالميل الدائم بالقلب الهائم
او قيام للمحبوب بما يحب وعدم مشاركة شيء معه وفيه انشد المتنبي

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل

وانشد بعضهم

ومن عجب اني احن اليهم ... واسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ... ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

والطف منه قول بعضهم

خيالك في عيني وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيب

والحب اخص من العشق لانه عن اول نظرة واقصاه امتزاج الارواح
والرأفة اشد لانها مبالغة في الرحمة وقيل هي ارق الرحمة والرحمة اعم
لوقوعها على غير ذي صلة بخلاف الرأفة وفي معناه الشفقة والتتيم حالة
يملك بها المعشوق العاشق فاذا زاد فهو الوله اعني الخروج عن حد الترتيب

وانشد في المعنى

الحب اوله حب يهيم به ... قلب المحب فيلقى الموت كاللعب
يكون مبداه من نظرة عرضت ... او مزحة اشعلت في القلب كاللهب
كالنار مبداها من قدحة فاذا ... تضرمت احرقت مستجمع الحطب

وانشد ايضا في المعنى

ثلاثة احباب فحب علاقة ... وحب تملاق وحب هو القتل

والشجو هو الحزن والطرب ضده ويطلق على القهر والغلبة وهو هنا مطلق
يقترن بالهم كما في ديوان الصبابة والخلة هي تمام المحبة سواء كان
بلا علة وهي الصداقة او بها وهي فرط العشق الذي لا يخالطه غيره
اخذت من التخلل والتخلي فكان القلب لما تخلى للمحبوب دون غيره

اتصف بها والعلاقة هي في الصحاح اسم لبدء الحب لحدث عن علوق بالتحرك
اي حب ويجوز ان يراد بها شدة اختلاط القلب بالحب ويقرب منها الغرام
او هو اشد لانه ولوع واشتغال بالحب وهو مطلق الميل والارادة ويطلق
على ذهاب العقل في العشق وعلى الهوى ونفس المحبوبة واما العشق فاعم
منه وقيل اخص وهو عجب بالحب او فرط فيه واخذ من العاشقة شجرة
تعلق او تلصق بما يليها او هي اللبلاب ومن ثم تسميه العامة عاشق الشجر
والغمرة سكرة القلب بتذكار الحب واشتغاله به والشغف شدتها ماخوذ
من شغاف القلب اي علاقته او سويداه وبالمهملة راس القلب مما يلي
نياطه ويؤنث كان النوع من الحب المجعول هذا الاسم علما عليه قد
بلغ من المحبة هذا المحل والمراد من القلب هنا سر معنوي في الانسان
لا الشكل المعلوم وعنه ينتج الوله ثم الهيام واما الاشواق فالخضوع او
نزوع النفس من البدن الى لقا المحبوب ومن ثم قد يقتل عند الرؤية والشوق
ارفع وهل يزيده الوصل او ينقصه خلاف استدل للاول بقول الشاعر

واعظم ما يكون الشوق يوما	اذا دنت الخيام من الخيام

وللثاني بقوله

فالفت

فالفت عصاها واستقر بها النوى	كما قر عينا بالاياب المسافر

والاصح انه ان كان بمجرد شهوة نقص بنقصانها بل وبما عدم والا بان كان
كلفا لا تكلفا وطبعا لا تطبعا وميلا نفسانيا انشاه المشاكلة فلا يزيده
الوصل الا رسوخا على انه لا دليل في الثاني على الدعوى لعدم ذكر الشوق
في الشعر لانه ذكر استقرار النوى وهو البعد الذي هو اعم فيجوز تفسيره
بغير الشوق على ان المحققين على ان الشوق حال الغيبة يغاير الشوق
حال الحضور كما انشد ابن الرومي في ذلك

اعانقه والنفس بعد مشوقة	اليه وهل بعد العناق تداني
والثم فاه كي تزول حرارتي	فيشتد ما القى من الهيمان
كان فؤادي ليس يشفي غليله	سوى ان يرى الروحين يمتزجان

واما الصبوة فلا تطلق حقيقة الا على الميل والافتنان الواقعين في
زمن الصبا لكن تطلق تجوزا على مطلق الميل للمشابهة والنزوع الى الشباب
كالصبابة او هي رقة وحرارة في الشوق والوجد شدتها والكلف
الاستغراق والاشتغال وبالكسر العاشق نفسه والشجن الهم والكرب
تحمل النفس كل مشقة تتعلق بها الحب والكآبة شدة الحزن كالتجهم او هو

توجع وبكاء من الفقد والترح والغل شدة العشق أو الغل من الغلل يعني
العطش والجامع ميل النفس والحنين شوق ممزوج برقة وكلف وتذكر
الباعثة والبلبال شدة الشوق والجوى ضيق الصدر وكتم الهوى والارق والسهد
شدة السهر وتواتر ذكر المحبوب على القلب وفي معناه التحرق واللذع
والولوع وكذا اللوعة واللاعج واما الوصب والنصب فلوعة مع مرض
وغم وكذا الكمد والدنف شدته قيل مع صفرة والكمد تغير الى سواد
والدنف الى صفرة وهو مولد والتبل والخبل الجنون وهذا في الاصح آخر
المراتب والجزع عدم الصبر على الفرقة والهلع اشده والدله بالمهملة احتراق
القلب بنار الحب والخلاء سلب العقل والهيام مجرد الحب او هو السباحة
فيه والبله حمق او غفلة فيكون هنا استغراق في الحب فهذه حقيقة
اسمائه التي جعلها مراتبه وليست الا باعتبار صفة او اولية او تسمية
جزء بسبب بكل او سبب وعكس ذلك وانما المراتب ما قررناه وفي
ترتيب هذه الاسماء خلاف يرد على من التزم ترتيبها ونحن قد اوضحنا
انفس المعاني ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتامل
فصل فيما ذكر له من العلامات وهي احوال يتصف بها البدن

كتغير الالوان والعينين وتواتر النبض والخفقان وربما زادت هذه
عند رؤية المحبوب او سماع ذكره حتى انها تفضي للهلاك وكذا اعتقال
اللسان واحوال يتصف بها الفكر كفساد الذهن والتعقل وقد مر
ثم هذه قد يستدل عليها بالتطور والتنقل قيل اتى شاب الى طبيب
فلما تامله لم يجد به الما فقال وهو قابض على نبضه لغلامه قد اخذ مني
البرد فاتني بالفرجية فتغير نبض الشاب تحت يديه فقال للامير ان هذا
عاشق لامراة اسمها فرجية فقالت هو كذلك وانشد في المعنى

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى … فهيج اشواق الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكانما … اطار بليلى طائرا كان في صدري

وفي معناه تحبيه كلما ينسب للمحبوب وفيه قيل

امر على الديار ديار ليلى … اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي … ولكن حب من سكن الديارا

وابلغ من ذلك ما ادعى في ذلك لذة عظيمة فقلت له بعدها وقد
رايته بمكة كيف تصبر على ما اعلم فيك فانشد

ولله مني جانب لا اضيعه … وللهو مني والخلاعة جانب

اقول وفيه تطرق عظيم حيث جعل حصة الله تعالى منه نصفا
وعدد المقابل وهو دليل مزيد الاشتغال بالله حيث لم يجعل للمقابل
واحدا خصوصا واللهو في شعره اعم من ان يكون بالمحبوب او غيره
واما التشبه بالمحبوب في سائر الافعال والاقوال والميل الى
ما يحب والاستلذاذ باستعمال ما كان من اثره فامر معلوم لا يجهل
ومطلوب بين العشاق حتى قيل ان شخصا وجد في تركة اثنى عشر
حملا وفردة من السراويل لكونه راى محبوبه يميل اليها واخر الف هاون
لسماع صوت هاون لمحبوبته واما اتحاد الاجساد والمرض حيث يمرض
الاخر فكثير قيل مرض ابو نواس ولم يعلم سبب مرضه حتى عاده
شخص فاخبره بمرض عنان جارية الناطفي وانها نشطت فكتب لها

اني حممت ولم اشعر بحماك ... حتى تحدث عوادي بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقني ... من غيرها سبب الا لحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم ... عافاني الله منها حين عافاك
حتى اذا اتفقت نفسي ونفسك في ... هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك

وفي معناه انشد

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم
اجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم

ويقرب من هذا قول الشافعي

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه
واتى الحبيب يعودني ... فبرئت من نظري اليه

فاذا تقرر هذا فيكون الاخف منه كالغيرة وبذل النفس بالطريق
الاولى وكذا نظائرها كاستحلاء ما يتعلق به من نحو حديث وملبوس
ورؤية ما ينسب اليه ولم ينسب نحو هذا الى المبالغة عند العشاق
للاتيان باعظم منه كما سمعت قال الزراع ودع هندي جارية كان
يهواها فذرفت احدى عينيه فغمض الاخرى عن الملا عقوبة لها
اربعا وستين سنة حتى مات واما حصول العشق برؤيته في النوم
او للاثر او بالسماع اما للكلام او الوصف او اللمس او باول نظرة او
بالمخالطة والمعاشرة وزيادته بالبعد لقوم وبالقرب لاخرين فبحسب الامزجة
وقد اسلفت بطالعة الكتاب تفصيل ذلك وقبول المزاج سرعة الاتفاعل
والفرق بين لطافة المزاج وكثافته ونحو ذلك ان الناس انما ناظرون

بلا حجب او بها اما من العاشق او المعشوق معاً او لاحدهما فقط وتخلف
الحجب لطفاً وصفاءً وعكسهما فهذه اسباب الاختلاف وان كانت لا
الحقيقة بالذات **الباب الاول** فيمن استشهد من المحبين شوقاً الى حضرة
رب العالمين لما كان غاية المحبة اما وصول الى المطلوب الدنيوية
او الاخروية ومبدأها من الحواس الظاهرة غالباً او الباطنة ومطالبها
العالية ومقاصدها الذاتية اما اشتغال عن الحق بخيالات وهمية
تنتقش في العقل من الخلق او ميل نفس الى المبدع باستيحاش من
سواه الاجرام قسمت المحبة قسمان اشرفهما ستعلق التوالي فهو الحب في
الله لانه لا يفنى متعلقه ولا يتكيف غايته ولا يفضله شيء في الحقيقة اذ
ما سواه اوهام تضمحل وتزول واعراض تفنى وتحول ولا شبهة في
ان حال ما لا يتطرق اليه تغير ولا فناء اولى في الحكمة عند العقلاء
فلذلك صدرت به الابواب ومدار ما يذكر هنا في الاصل على ذكر من
افنى نفسه في طاعة ربه واكثر اغترافه من الحلية لابي نعيم اذ ٢ تقرر
هذا فحد المحبة قال الحصري وصول الى مقام الانس والنعمة باطناً
والوحشة والبلاء ظاهراً بشرط الاشراف على الغيوب وفناء الكل في

بقاء المحبوب وهذا تعريف لها بحسب الغاية الخاصة وكان عليه ان
يورد التعريف التام العام اولاً ثم يفصل **وقال** الاستاذ ابو يزيد البسطامي
هي استهلاك النفسانية مع بقاء الروحانية وهذا عندي قريب من الاول
غير ان بعض شراح الفصوص قال ان فيه تعريفاً بالمادة واظنه اخذ
ذلك من قوله استهلاك وفيه تكلف **ونقل** الدرتنا الجرجاني في شرح التائية
على قول الاستاذ قالت هوى غيري قصدت وامها **واحسن** منهما ما نقل
من شيخ الطريقة الجنيد وقد سئل ما المحبة فقال هي الصفاء في الباطن
مع حقائق الحق والوفاء في الظاهر مع استعمال دقائق الشرع فهذا والله
هو الحد التام وان كان الى الخاص اميل فان قوله الصفاء في الباطن
يريد به الخلوة الحقيقية التي هي قفل ابواب الحواس عن ممارسة الخلق
وذكر القلب بالاستكانة والخضوع على اعتاب الحق ونفي الكدورات
الحسية عن الحواس النفسية لالحاقها بالحضرة القدسية وذلك غير
تام قبل نفي العوائق وقطع العلائق والخروج من شوائب الخلائق
ليتحقق الصفا والتخلق بتلك الحقائق **شعر**

هناك وجدت الكائنات تحالفت	على انها والعون مني حقيقتي

حيث انتفت معاندات الاعتبار، وتحققت ممازجات الاخبار حتى
انتقشت المطلوبات الخفية، في مرآة الصورة الخلقية، وانبسطت اشعة
الاحوال البسطية، حيث انتفت الكدورات

فلم تهوني ما لم تكن فيّ فانيا … ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

وقوله والوفاء في الظاهر يعني لكل معاهد بعهده، وموعود بوعده
وخيال برده، ومشغل بتنبيهه وبتقويه جده، لان العارف المتصف بما
ذكر خليفة الله على خلقه، ينفذ فيهم اوامره، ويقيم شرائعه، فان فعل
ذلك ظاهرا وباطنا فهو النبي وخلفاؤه اما على الاول وهم السلاطين
او على الثاني وهم الافراد والاقطاب جوامع الاسرار ومعادن الحقائق
والاستبصار، علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وورثة الانبياء

فعالمنا منهم نبي ومن دعا … الى الحق منا قائم بالرسالة

واما قوله مع استعماله دقائق الشرع فاشارة الى معنى لا يدركه الا
الخواص، وان غاص عليه من غاص، فان فيه اشارة الى حفظ الكليات
التي عليها مدار النظام، واستقصاء الجزئيات التي قصر عنها الكلام
فاجتهاد النفس في جميع ما تفرقت فيه الاراء، وتشعبت اليه الاهواء

بيد ان ذلك قباء لم يخط على كل ذي قد، واشكال اقليدسية فكر
لم يتخلصها كل ذي جد، اللهم حققنا بحقائق معارفك، وارفعنا من
حضيض الخمول الى اوج استقامة لطائفك، وانقل انفسنا من مراكز
عكس الصعود، الى اشرف منازل السعود، واما قول بعضهم وينسب
الى ذا النون المصري المحبة ارق بلا ارقاد، وجسم بلا فواد، وتهتك في
العباد، وتشتت في البلاد، فتعريف بصورة الحالة الحاصلة من المحبة
بعد قطع الطرق فان الارق الذي هو السهر من الفكر في الامور الطارئة
على النفس لا يكون الا بعد تمكن تلك الامور في الذهن وان الجسم لا
يكون بلا فواد الا اذا فني فنفي كناية عن عدم الالتفات الى ما من شانه
ان يدرك بالقلب مما سوى الوجود المطلق بقرينة المقام وفيه تكلف
وخلط الحالة الجانبين باحوال المحبين وباقي الكلام ظاهر وعندي ان
المحبة ميل نفساني الى المراد، يعضده الجزم بالاعتقاد، ورؤية ما سوى
المطلوب عين الفساد، وفي الدين ارتداد، واليه اشار عارف الوقت والحقيقة
وسلطان عشاق الخليقة، بقوله

ولو خطرت لي في سواك ارادة … على خاطري سهوا قضيت بردتي

فقولنا ميل كالجنس ونفساني كالفصل والى المراد فصل قريب وكذا الى
اخره وهذا هو فعل المادة والصورة والجزم في الاعتقاد بالفاعلية و
غاية ذلك الثبات على الحب حيث ثبت ان ما سواه فساد فقد جمع
هذا الحد مطردا ومنعكسا احوال المحبة على وجه العموم فمن اراد تخصيصها
فبالفصول اللائقة ثم لهذه المحبة اوصاف وشروط منها ان لا يتألم
بما يرد من المحبوب وان يؤثر رضاه على نفسه فيتلذذ فيه بالبلا كالعطا
وبالغيبة كالحضور والهجر كالوصل والفنا كالبقا اذا كان ذلك رضى المحبوب

فكل الذي ترضاه فالموت دونه	به انا راض فالصبابة ارضت

فانظر الى هذا الاسناد كيف اوضح طريق السلوك للسالك ودل على
على الطالب والهالك واوضح مرقاة الوصول للدارج ونكب عن العارج
الى اسنى المعارج حيث قال نعم بالصبا قلبي صبا لاحبتي
لان الزمن المذكور محل الميل الى مرادات النفس وشهواتها ففي
البيت مع الجناس التام واستيفاء مادة الكلام تحرير احوال الغرام
باقصى المرام ثم اكدها انفس وابدع ما جنس وقوى جزء الميل حتى
صار كليا بما رشح من بديع نظامه واتى من لطيف كلامه بقوله

محجبة بين الاسنة والظبا	اليها انثنت الالباب اذ تثنت
ممنعة خلع العذار نقابها	فجدوا ايها المقصرون وانتبهوا

ايها الغافلون وبادروا ايها المؤمنون فان المطلوب خطير والوصول
عسير وليس هذا قطع عن الطريق وتخذيل كما زعمه بعض الشراح ٢٦
المتلبسين بهذه الصناعة الظانين ان الوصول الى هذا النفيس بالفاظهم
من البلاغة والبراعة كلا بل هو تبيين وتحقيق لئلا يقدم على هذا الامر
الا من اراد علو همته وغلو قيمته ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة ولا يتلبس بالعلم غير اهله ولا يبنى الفرع على غير اصله

فللحب اقوام كرام نفوسهم	منزهة عما سوى الحب باخل

الى غير ذلك مما دلت عليه ابياته الفائقة وعباراته الرائقة والفاظه
السائقة التي هي لصوادق الهمم الى مقام الوصل سائقة ولولا ما في
ذلك من التطويل الذي يستغرق المدة مع المدد ويستنفد الابد
فضلا عن الامد لاوضحت لك ما في كلامه من الاسرار الخفية الدالة
على ان ابيات القصيدة وضعت كدرج المرقاة في الابرام والنقض
لا يجوز تقدم بعضها على بعض ومن لطيف ما اتفق لي اني خلوت

بنفسي ليلة وكانت ليلة جمعة سادس رجب الفرد من شهور احدى وسبعين
وثمانمائة فاخذت افكر في كلامه متصفحا في دقايقه الى ان قام في فكري
معارضة بين ما اتفق له من قوله وعيدك لي وعد وقوله عذب بما شئت
غير البعد وقوله واصعب شيء غير اعراضكم سهل وقوله وكل الذي ترضاه
البيت فانه في جميع الابيات اشار الى انه راض بكل افعال المحبوب خلا
البعد ثم اشار في هذا البيت الى الرضا بسائر الحالات ومنها البعد والهجر
ثم قام عندي جواب ان ذلك عام خصص ثم غشيني النوم فرايت كاني
بالمدرسة الاشرفية وقد زينت بانواع الزينة ولبس فيها غيري واذا
برجل طويل غليظ شديد البياض في يده عكاز اخضر متوشح بثوبين
ابيضين وعلى راسه كالازار فقام عندي انه الشيخ فاذا هو هو فسلم
ووضع يديه على كتفي ووقفنا متقابلين وهو يقول لي هذا جواب
الفقهاء ولم اقصده فقلت يا سيدي وما الذي قصدت قال الم تعلم
ان المسافر اثقل ما يكون في مبادي سفره ثم لم يزل يخف اذا طال
طريقه حتى لم يبق الا هو وربما فني قال وكذلك السالك لم يزل يلقي
مرادات نفسه حتى اذا وصل انطوى في دائرة المحبوب فلم يبق له

مطلوب

مطلوب كما في الحديث القدسي فبي يسمع وبي يبصر فعلمت ان هذا الشأن
لا يدرك بالعلوم الظاهرة ان لم تداركها نفحات عن الحضرة الطاهرة فرجعت
عما كنت عزمت عليه من الكتابة على القصيدة الا الآن تداركني الالطاف
الباهرة قال بعض العارفين شرط المحبة ان تكون ميل بلا نيل وشرط
بلا جزاء لئلا تزول عند زوال العوض ويتاكد ذلك في احباء الله
عز وجل روي عن علي عليه السلام انه كان يقول في مناجاته الهي ما عبدتك
٢٧ خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكن وجدتك اهلا للعبادة ومن ثم
قيل افضل الحمد ما وقع في الاعلى استحقاق الله له بلا شرط نحو نحمدك يا
من جلت صفاته عن الاحصاء بخلاف ما وقع في مقابلة شيء كالحمد لله
على ما انعم واخبر السراج عن ابي بكر الاردستاني بسنده الى ابن كثير
قال لما تاب داود عليه السلام كان له يوم نوح يجتمع فيه اليه الناس حتى
الوحش والطيور فينوح ويعظ مذكرا بالجنة والنار ثم الاهوال ثم
الخوف من الله تعالى وفي كل واحدة يموت من كل طائفة خلق كثير
وولده قائم على راسه فيقول حسبك يا ابت مات الناس ثم تقول
العباد لا تعجل بطلب الجزاء فيخر ساجدا مغشيا عليه فتاخذ كل طائفة

من مات منها وتذهب ثم يدخل بيت عبادته وهو يقول اٰلٰهى داود
اغضبان انت عليه ام راض الى ان يخر مغشياً عليه واخرج عبد العزيز
ابن علي الطحان عن ابن عطا في معنى قوله عز وجل رب اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين ان ايوب عليه السلام لم تزل تاكله الدود حتى لم يبق
غير قلبه ولسانه فاكل بعضه بعضاً حتى بقيت واحدة فذهبت الى
قلبه فقال ذلك لانه قال رب لم اخف من بلاء ما دام قلبي عارفاً
بحلاوة ذكرك فاوحى اليه لتنظرن الى غداً قال بهاتين العينين قال
لا ولكن اخلق لك عينين يتمتان البقا لتنظر الى البقا بالبقا وقيل
خرج عيسى عليه السلام في سياحته ليلة برد وريح ومطر فعاج الى كهف ليستظل
فخرج اليه اسد فقال انت احق بمكانك وعاد وهو يقول رب لكل
ذي روح ملجأ الا عيسى كانك استبطاتني فسمع النداء وعزتي وجلالي
لازوجنك بحوري ولاولمن عليك اربعة الاف سنة وحكى المنذري
عن ابن سعيد يرفعه ان انصارياً بكى من خشية النار حتى حبسه البكا
في بيته فحكى ذلك لرسول الله صلعم فاتاه فلما اعتنقه خر ميتاً فقال
جهزوا صاحبكم فان الفرق فلذ كبده وحكى ابو نعيم في الحلية في

ترجمة عبد الواحد بن زيد عن الفضيل بن عياض ان ابن زيد سال
ربه ثلاث ليال ان يريه رفيقه في الجنة فاذا بقائل له هي ميمونة السوداء
قال فقلت واين هي قال بالكوفة فخرجت في طلبها فلما سالت عنها
قالوا هي مجنونة وانها بموضع كذا ترعى غنيمات لنا فجئتها فرايتها قد
غرست عكازاً وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشترى و
الغنم ترعى مع الذياب بلا ضرر وهي تصلي فلما راتني اوجزت ثم
قالت يا ابن زيد ليس الموضع هنا فقلت ومن اين عرفتيني فقالت
الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
وفي رواية اخرى جالت روحي وروحك في عالم الملكوت فتعارفنا
فقلت لها عظيني فقالت واعجباً من واعظ يوعظ ثم قالت يا ابن
زيد لو وضعت معيار القسط على جوارحك لخبرتك بمكنونها فيها
يا ابن زيد ما من عبد اعطاه الله شيئاً من الدنيا فابتغى اليه ثانياً الا
سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الانس الوحشة وانشدت

يا واعظاً قام لاحتساب ... يزجر قوماً عن الذنوب
تنهى وانت السقيم حقاً ... هذا من المنكر العجيب

لو كنت اصلحت قبل هذا ... غيبك او بت عن قريب
كان لما قلت يا حبيبي ... موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغي والتمادي ... وانت في النهي كالمريب

قال فسألتها ما بال الذئاب ترعى مع الغنم ولا تضرها فقالت اصلحت ما بيني وبينه فاصلح ما بين الذئاب والغنم وفي الكتاب المذكور عن ابن المبارك قال بينما انا اطوف في الجبال اذا انا بشخص فلما دنا مني اذا هو امرأة عليها ثياب من صوف فلما دنت سلمت ثم قالت من اين قلت غريب قالت وهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مونس الضعفاء ومحدث الفقراء فبكيت فقالت مما بكاؤك ما اسرع ما وجدت طعم الدواء قلت هكذا العليل ثم قلت عظيني فانشأت تقول

دنياك غدارة فذرها ... فانها مركب جموح
دون بلوغ الجهول منها ... امنية نفسه تطوح
لا تركب الشر واجتنبه ... فانه فاحش قبيح
والخير فاقدم عليه جهرا ... فانه واسع فسيح

فقلت زيديني فقالت سبحان الله اوما في هذا الموقف من الفوائد ما اغنى عن الزائد قلت لا غنى لي عنه فقالت حب ربك شوقا الى لقائه فان له يوما يتجلى فيه لاوليائه وفيه عن ابي الفيض ذي النون المصري قال بينما انا في السياحة اذ لقيتني امرأة فقالت من اين قلت غريب فقالت كما قيل لابن المبارك الا انها زادت حيث نهت عن البكاء بان قالت البكاء راحة القلب فما كتم شيء احوج من الشهيق والزفير فاذا اسيلت الدمعة استرحت وهذا ضعف عند العقلاء فتعجبت من ذلك وفيه وصف لي رجل فقصدته فاقمت على بابه اربعين يوما فلما رآني بعدها هرب مني فقلت له سألتك بالله الا ما وقفت فقال ما تريد فقلت تعرفني بما عرفته فقال ان لي حبيبا اذا اقتربت منه قربني وادناني واذا ابعدت صوت بي وناداني واذا قمت بالفترة رغبني ومناني واذا عملت بالطاعة زادني واعطاني واذا عملت بالمعصية صبر علي وتاناني فهل رأيت مثله انصرف عني ولا تشغلني ثم ولى يقول

حسب المحبين في الدنيا بانهم ... من ربهم سبب يدني الى سبب
قوم جسومهم في الارض سائرة ... وان ارواحهم تختال في الحجب
لهفي على خلوة منه تسددني ... اذا تضرعت بالاشفاق والرغب

يا رب يا رب انت الله معتمدي ... متى أرى الحجها غير محتجب

وعن ابي الفتح بن شخرف قال كان سعدون صاحب محبة الله لهجا بالقول
صاحب ستين سنة حتى جف دماغه فسماه الناس مجنونا الرد في قوله
في المحبة فغاب عنا زمانا وكنت مشتاقا الى لقائه فبينما انا بفسطاط مصر
على حلقة ذي النون واذا به وعليه جبة من صوف فنادى يا ذا النون متى
يكون القلب اميرا بعد ما كان اسيرا فقال اذا اطلع الخبير على الضمير
فلم ير الا هوى لله فخر مغشيا عليه ثم افاق وهو يقول شعر

ولا خير في شكوى الى غير مشتكى ... ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبر

ثم قال يا ابا الفيض ان من القلوب قلوبا تستغفر الله قبل ان تذنب قال
نعم تلك قلوب تثاب قبل ان تطيع قال يا ابا الفيض اشرح لي ذلك
قال يا سعدون اولئك اقوام اشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين فهم
قد فطموا النفوس من روح الشهوات فهم رهبان في الرهابين وملوك
في العباد وامراء في الزهاد للغيب الذي امطر في قلوبهم المولهة
بالقدوم الى الله شوقا فليس فيهم مزاين لمخلوق ولا مسترزق من
مرزوق فهم في الملا حقير وعند الله خطير ثم ولى وعن ابي سليمان

قال

قال مررت ليلة فسمعت في جبل لكام رجلا يقول في دعائه سيدي
وأملي ومؤملي ومن به تم عملي أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك
وقلب لا يشتاق اليك ودعاء لا يصل اليك وعين لا تبكي عليك
فعلمت انه عارف ثم صعق فتركته وانصرفت فاذا انا برجل نائم فحركته
ثم قلت قم فان الموت لم يمت فرفع رأسه وقال ما بعد الموت أشد منه
وعن عبد الله ابن المبارك قال مررت في سياحتي بالشام بطبيب يصف
لكل ما يجب فقلت له يا طبيب اعندك دواء للذنوب فقال نعم فلما
تفرق الناس قال لي يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج
الصفا وبليلج الرضا وغاريقون الكتمان واسحقه بهاون الاحزان فامزجه
بماء الاجفان ودعه في طاجن القلق واوقد تحتهم نار الغرق وصفه
بمنخل الارق واشربه على الحرق فانه شفاؤك وانشد شعر

يا طبيبا بذكره يتداوى ... وصفوه لكل داء غريب
ليس حزني عليك شيء عجيب ... انما الصبر عنك شيء عجيب

وسئل ابو بكر الشبلي ما علامات العارف قال صدره مشروح
وقلبه مجروح وجسمه مطروح وقيل من العالم قال من عرف الله

وعمل بما علمه الله واعرض عما نهاه الله قيل فما الصوفي قال من صفا قلبه
ورمى الدنيا وجفا الهوى واتبع المصطفى قيل فما التصوف قال التألف
والاعراض عن التكلف واحسن منه تصفية القلوب لعلام الغيوب واحسن
منه التعظيم لامر الله والشفقة على عباد الله واحسن منه من صفا من
الكدر وخلص من الحكر واستلام الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر
وعن ابرهيم بن ادهم قال كنت يوما من الايام مارا بقبر فترحمت عليه
وبكيت فسألني من معي عنه فقلت قبر حميد بن جابر امير هذه المدن غرق
في الدنيا ثم استنقذه الله بلغني انه سر يوما بما هو فيه ثم نام مع بعض
خواصه فرأى رجلا واقفا على راسه وفي يده كتاب فناوله اياه
ففتحه فاذا هو مكتوب بالذهب لا تؤثرن فانيا على باق ولا تغترن بملكك
وسلطانك وخدمك ولذاتك فان الذي انت فيه جسيم لولا انه
عديم وملك لولا ان بعده هلك وفرح وسرور لولا ان بعده غرور
فسارع الى امر الله فانه يقول وسارعوا الى مغفرة من ربكم فانتبه مرعوبا
وخرج الى هذا الجبل فما زلت اتعهده حتى مات ودفن هاهنا وحكي
ان ملكا اراد الركوب يوما فدعا بثياب للزينة فجيء بها فردها حتى

جيء له باصناف كثيرة ثم اختار ما اراد وفعل كذلك بالدواب فلما ركب
نفخ ابليس في انفه وعلاه من التكبر ما لم يوصف حتى انه لم يخاطب
احدا فبينما هو في موكبه اذا برجل رث الهيئة قد قبض على لجام
دابته وهو يقول لي اليك حاجة قال حتى ارجع قال لا امكانك
قال الا اذكرها قال ادن مني فطأطأ راسه فقال انا ملك الموت
فتغير واضطرب وسأله ان يعود فيودع اهله فابى وقبضه مكانه
وحكي انه عارض في ذلك الوقت رجلا زاهدا فقال له كما قال للملك
فقال حبا وكرامة فقال له ملك الموت هل لك حاجة تقضيها
فقال لا حاجة الي احب من لقاء الله فقال اختر على اي حال
اقبضك فقال الك ذلك قال نعم فتوضأ وصلى فلما سجد قبضه
وعن عتبة المعروف بالغلام لكثرة خدمته انه كان مقيما بالجبانة
فبلغ خبره علي بن سليمان امير العراق فخرج حتى وقف عليه فسلم
فرفع راسه ورد عليه فقال له الامير كيف اصبحت قال متفكرا في
القدوم على الله بخير ام بشر ثم بكى واطرق راسه ينكت الارض
فقال الامير قد امرت لك بالف درهم فقال قبلتها على ان تقضيني

معها حاجة فقال وقد سر بذلك وما هي قال تقبل مني ما وهبتني
فقال قد فعلت وانصرف وكان عتبة هذا لا ينام الا اول الليل
ثم يستيقظ فزعا مرعوبا ينادي النار النار قد شغلني ذكر النار عن النوم
والشهوات ثم يتوضا ويقف للخدمة وان البكاء ليمنعه القراءة وكثيرا
ما يقول اللهم انت عالم بحاجتي غير معلم بما اطلب وما الطلب الا فكاكي
من النار اللهم الجزع قد اذقتني من الخوف فلم تؤمني وكل هذا من نعمتك
السابغة علي وكذلك فعلت باوليائك واهل طاعتك الهي قد علمت
ان لو كان لي عذر في التخلي ما اقمت مع الناس طرفة عين وعن سهل ابن
عبد الله الناس ثلاثة اصناف صنف مضروب بسوط المحبة مقتول
بسيف الشوق مضطجع على بابه ينتظر الكرامة وصنف مضروب بسوط
التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو وصنف
مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر
العقوبة وعن حيان القيسي العباد مع الله على ثلاث طبقات فقوم
يضن بهم عن البلاء لئلا يستفز الجزع سرهم فيكون هذا حكمه او
يكون في صدورهم حرج من قضائه وقوم يضن بهم عن مساكنة اهل

المعاصي لئلا تغتم قلوبهم فمن اجل ذلك سلمت صدورهم للعالم وقوم
صب عليهم البلاء صبا فما ازدادوا بذلك الا حبا اقول والتقسيم الاول
شامل لطبقات العالم السعيد منهم والشقي الا ان القسم الاول بعد
السعداء واما هذا التقسيم فهو تقسيم لاهل الله فقط على ان لنا ان
نتكلف في الاول ان يكون مثله وفي هذا يلمح الى التسليم عن البحث في
القضاء والقدر والاول الى الاختيار وعن سمنون ابن حمزة الخواص
وهو ابو بكر البصري وكان من اكابر الاولياء مات قبل الجنيد بيسير و
كان قد سمى نفسه الكذاب لبيت قاله وهو

فليس لي في سواك حظ	فكيف ما شئت فامتحني

فحصر بوله اثر قوله هذا فتضجر فسمى نفسه الكذاب في المحبة

وله ولو قيل طأ في النار اعلم انه	رضى لك او مدن لنا من وصالكا
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها	سرورا لاني قد خطرت ببالكا
وله وكان فؤادي خاليا قبل حبكم	وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك اجابه	فلست اراه عن فنائك يبرح
رميت ببين منك ان كنت كاذبا	وان كنت في الدنيا بغيرك افرح

وان كان شيء في البلاد باهلها | اذا غبت عن عيني بعيني يماثل

فان شئت واصلني وان شئت لا تصل | فلست لدى قلبي بغيرك بصابل

وله يا من فؤادي عليه موقوف | وكل همي اليه مصروف

يا حسرتي حسرة اموت لها | ان لم يكن لي اليه معروف

وعن الجنيد رض قال انفذني السري في حاجة فلما قضيتها
دفع الي رقعة وقال قد اجزتك هذه الرقعة ففتحتها فاذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتني | الست ارى منك العظام كواسيا

وما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا | وتذهل حتى لا تجيب المناديا

وتضعف حتى لا يبقي لك الهوى | سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

ودخل ابو بكر الشبلي يوما الى المارستان فوجد غلاما اسود في
غل الى سارية فلما رآني قال يا ابا بكر قل لربك ما كفاه ان يتيمني

بحبه حتى قيدني وانشد | على بعد لا يصبر من عادته القرب

وعن قربك لا يصبر من تيمه الحب | فان لم تراك العين فقد ابصرك القلب

فصعق الشبلي وخر مغشيا عليه فلما افاق وجد القيود مطروحة ولم
ير الاسود وعن علي بن سعيد العطار قال مررت بعبد مكفوف

مجذوم فاذا الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه فقلت الحمد لله الذي عافاني
مما ابتلاه وفتح من عيني ما اغلق من عينيه قال فبينما انا اردد الحمد اذ صرع
فبينما هو يتخبط اذ نظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف يصرع مقعد
مجذوم قال فما اتممت كلامي حتى صاح يا مكلف ما دخولك فيما بيني
وبين ربي دعه يعمل بي ما شاء ثم قال وعزتك وجلالك لو قطعتني
اربا اربا او صببت علي العذاب صبا صبا ما ازددت لك الا حبا حبا
وعن احمد بن عيسى الخراز قال دعتني امرأة الى غسل ولدها فلما جردته
قبض على يدي فقلت سبحان الله احياة بعد موت فقال ان المحبين
لله احياء وان ماتوا ودعى عبد الواحد يوما جماعة من الصوفية
فاولمهم وكان فيهم عتبة الغلام فقام يخدمهم ولم ياكل فلما انصرفوا
قال له عبد الواحد لم لا تاكل قال ذكرت اهل الجنة واجتماعهم على
الموائد وقيام الخدم على رؤسهم فاشتقت الى ذلك فابت نفسي الطعام
فبكى عبد الواحد فتفرقوا متعاهدين على ان لا ياكلوا ولا يشبعوا من
نوم ولا طعام وقرا غلام بين يدي صالح المري بالجمعة نسبه الى
قوم بدمشق وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين

ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فقال كيف يكون لهم حميم وشفيع مطاع والمطالب لهم رب العالمين والملائكة تسوقهم بمقامع الحديد يسحبون تارة على الوجوه ويمشون اخرى ما بين باكٍ ومنادٍ بالويل ثم صاح ياويلتاه ويا سوء منظراه وبكى وبكت الناس فقام شاب فيه تانيث فقال اوكل ذلك في القيامة يا ابا بشر فقال واكثر من ذلك لقد بلغني انهم يصرخون الى ان تنقطع اصواتهم فقال الشاب انا لله ثم بكى وخر ميتا بعد ان استقبل ودعا بالتوبة فرأى بعد قليل في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال ادخلني الجنة ببركة اخلاص صالح

ودعا صالح يوما فمر به مخنث وهو يقول في دعائه اللهم اغفر لاقسانا قلبا واجمدنا عينا واعهدنا بالذنوب فسمع المخنث فمات فرأى في المنام فقال كما قال الشاب وقال عبد الوارث نظرت الى رباح القيسي يقبل غلاما من اهله فقلت اتحبه قال نعم فقلت ما كنت اظن ان في قلبك بقية لاحد فخر مغشيا عليه فلما افاق مسح وجهه وقال انما هي رحمة منه القاها في قلوب العباد وحكى ابن سعيد التيمي قال نظرت الى جارية سوداء تنسف الخوص وهي تقول شعر لك علم بما يجن فؤادي فارحم ذا

ذلتي وانفرادي فقلت لها ما علامة الحب وكان الى جانبها رجل يصرع فقالت يا بطال علامة الحب ان تقول لهذا المجنون قم فيقوم ورمقته فقام وانشات تقول وحبك لا عدت اليه ابدا فهذا ملخص ما ناسب ترجمة الباب وقد ذكر في الاصل ما لا يليق له بر اذا امعن النظر بهذا المحل وربما ناتي به حيث نجد له محلا فصل من الباب في ذكر من فارقت روحه من الاحباب قال عبد الرحمن الصوفي عبرت في بغداد بسوق النخاسين فرايت جمعا كثيرا على شاب مطروح فقلت ما باله قالوا سمع قاريا يقرأ الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فسقط مغشيا عليه قال فلما سمع الكلام انتبه وهو يقول

الم يان للهجران ان يتصرما	وللغصن غصن البان ان يتبسما
وللعاشق الصب الذي ذاب وانحنى	اما آن ان يبكى عليه ويرحما

وروى الحافظ مغلطاي عن ابي القاسم في الامالي وابن ابي الدنيا في كتاب الخائفين ان صالحا ومحمد بن واسع وحبيب وثابت البناني ومالك بن دينار انهم قالوا اتينا ابا زهير وقت الظهيرة للزيارة فخرج الينا وكانه قد نشر من قبره فصلى وجلس كالمهموم فسلمنا عليه فقال

لصالح اقرا فقرا فقدمنا الى ما عملوا من عمل الى قوله واحسن مقيلا
فخر ميتا فقلنا هل له من احد فقال الحاضرون نعرف امرأة تأتيه من ها
بعض حاجاته فاستحضرناها واخبرناها بالقصة فقالت لعل فيكم صا
قلنا وما يدريك به قالت كثيرا ما كان يقول لي ان قرا علي صالح
قتلني فجهزناه رحمه الله **اخبر** ابو الطيب وكان صوفيا من اهل سر من راى
قال حضرنا يوما في مجلس ومعنا رجل صوفي يقال له ابو الفتح فقرا قا
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فقال الرجل بلى وخر مغشيا عليه
فلم يفق الى ان ذهب النهار ثم مضى فبلغني بعد ايام انه حضر بالكرخ
مجلسا فانشدت فيه جارية الابيات المنسوبة الى عبد الصمد المغربي الا

يا بديع الدلال والغنج	لك سلطان على المهج
ان بيتا انت ساكنه	غير محتاج الى السرج
وجهك المعشوق حجتنا	يوم تأتي الناس بالحجج

فلما بلغت اخر الابيات خر ميتا **وحكى** ابو الفرج الصوفي قال كنا نجتمع
للخدمة وكان بالقرب منا رجلا اسمه القاسم الشاكي برعي عنبرا
وكلما دعوناه للسماع ابى فمر به صبي يوما يغني بهذه الابيات

ان هواك الذي بقلبي	صيرني سامعا مطيعا
اخذت قلبي وغمض عيني	سلبتني العقل والهجوعا
فاردد فؤادي وخذ رقادي	فقال لا بل هما جميعا
فراح مني بجانبيه	فبت تحت الهوى صريعا

فاعتراه اضطراب شديد واقبل يقول للصبي كيف قلت فخاف
الصبي منه ومضى فجعل يقول لا باس عليك كيف قلت فلم يجبه
وانصرف فرجع هائما الى رجل هناك بطبرية يقال له حامد الفا دوري
وكان عارفا بالاشعار فجعل يردد عليه الابيات ثلاثة ايام وهو
يضطرب حتى مات **واخرج** مغلطاي عن ابن ابي الدنيا والمنذري في
اخر الترغيب في فضل الخوف عن ابن عمر صححه الحاكم ان رجلا اتى
رسول الله صـ فقال يا رسول الله فضلتم بالقران والنبوة افرايت
ان امنت بما امنت به وعملت بما عملت اكون معك في الجنة قال نعم
ثم قال صـ من قال لا اله الا الله كان له بها عهدا عند الله ومن قال
٢٣٧ سبحان الله كتب له بها مائة الف حسنة فقال رجل يا رسول الله
كيف نهلك بعد هذا فقال النبي صـ والذي نفسي بيده ان الرجل

ليجيء يوم القيمة بعمل لو وضع على جبل لاثقله فتقوم نعمة من نعم الله
فتكاد تستنفذ ذلك كله لولا ما يتفضل الله من رحمته ثم نزلت هل اتى
على الانسان الى قوله وملكا كبيرا فقال الحبشي يا رسول الله وهل ترى
عيني في الجنة مثل ما ترى عينك فقال نعم فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه
قال ابن عمر رايت رسول الله صلعم يدليه في حفرته بيده واخرج
مغلطاي عن ابن ابي الدنيا في كتاب الخوف باسناده الى عاصم البصري
قال كنت اماما بمسجد ابن جراد وكان يتردد الى رجل فاتاني يوما
مصحفا ينظر فيه فاعطيته اياه فخرج وهو يقول سيكون لي ولهذا المصحف
نبأ عظيم واختفى فلم اره بقية اليوم يحضر الصلوات فلما كان الصباح
دخلت عليه فوجدته ميتا والمصحف على صدره فخرجت متفكرا في
شيء اكفنه فيه واذا بجماعة من العباد منهم حسان وحبيب وابن واسع
ومع كل كفن وحنوط فقالوا تعرف هنا رجلا مات قلت لا اعرف
الا رجلا غريبا كان يصلي هنا فقالوا انت اشقى من ان تعرفه فجاؤا
ثم دخلوا عليه وجعلوا يتنافسون في تجهيزه ثم صلوا عليه ودفنوه
ورايت هذه الحكاية في انيس الجليس الا انه زاد ورايت المصحف مفتوحا

واقول سطر فيه الله نزل احسن الحديث الاية وفي الحلية عن ابن
السماك قال دخلت البصرة على رجل اعرفه فسألته ان يدلني على رجل
من العباد فدخلنا على رجل منكس الراس كثير الصمت لا يرفع فلم
يكلمنا وخرجنا فقال لي ادخل على ابن العجوز فدخلنا على شخص
يشبه الاول وعنده ام له عجوز فقالت لا تذكروا لولدي جنة ولا
نارا فتفجعوني فيه فلما جلسنا عنده رفع راسه وقال اما للعباد
موقف يقفون فيه فقلنا بين يدي من فشهق شهقة فارق الدنيا
وفيها قال دخل جماعة على ابن سعيد القطان فقرأ رجل منهم سورة
الدخان فلما انتهى الى قوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين جعل
يضطرب ويعلو صدره حتى غشي عليه واصاب صدره فادمي فجاءت
النساء فخرجنا الى الباب فلما سكن الصوت دخلنا عليه فاذا هو على
فراشه يردد الاية حتى قضى وحكى مغلطاي عن ابن ابي الدنيا قال
كرر ابن خليد قوله عز وجل كل نفس ذائقة الموت فناداه مناد كم
تكرر هذه الاية فقد قتلت بها اربعة نفر من الجن لا يرفعون رؤسهم
حتى يموتون ورايت في انيس الجليس ان رجلا قصد الحج فعدل عن

الطريق نايها انى نوم فاذا هو في ارض لا يعهد مثلها واذا بقوم قد
اقبلوا الى ماء هناك فتوضؤا ودعوه الى الصلوة بهم فصلى وقرأ
الاية المذكورة فخروا الى الارض وحركوا فوجدوا امواتا وقال
له يا عبد الله ان هؤلاء قوم من الجن قد اعتزلوا للعبادة ههنا وان
الحق لم يترك فيهم بقية وانت ان اردت الحاج فامض امامك فتلحق
باصحابك طلوع الفجر قال الرجل وكان كذلك وعن محمد بن منصور قال
مررت في جوف الليل واذا انا بشاب قائم يصلي وهو يقول في
مناجاته الهي ما اردت بمعصيتي مخالفتك ولقد عصيتك اذ عصيتك
وما انا بنكالك جاهل ولكن خطيئة عرضت واعانني عليها شقائي
وغرني سترك المرخي وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي فالان
من عذابك من يستنقذني وبحبل من اتصل ان قطعت حبلك مني
واشباباه واشباباه فلما فرغ تلوت فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فسمعت
دكدكة وانقطع الصوت فلما اصبحت رجعت على الاثر واذا بجنازة
وعجوز قد اخذ منها الكبر فسألتها ما الخبر فقالت ما اضر بولدي
فقرأ اية فتقطرت مرارته ومات وعنه من طريق اخر الحكاية زاد فيها

بعد قوله ان قطعت حبلك عني واسوأتاه اذا قيل للمخفين جوزوا واذا قيل
للمثقلين حطوا فيا ليت شعري مع المثقلين نحط ام مع المخفين نجوز ويحي
كلما طال عمري كثرت ذنوبي ويحي كلما كبر سني كثرت خطاياي فيا
ويلي كم اتوب وكم اعود ولا استحيي من ربي قال منصور فلما سمعت
كلام الشاب وضعت فمي على باب داره وقرأت الاية المذكورة وعلمت
الباب فلما رجعت الحكاية الا انه ذكر عن العجوز ان الشاب كان يعمل
الخوص ويبيعه ويقسمه بين القوت والصدقة واشترى الخوص وعن
ذا النون المصري بينما اسير على جانب البحر في الليل واذا انا بجارية
عليها اطمار الحزن وهي ناحلة ذابلة فدنوت منها لسماع ما تقول فاذا
هي متصلة الاحزان بالاشجان وقد عصفت الرياح واضطربت
الامواج وظهرت الحيتان فصرخت وسقطت الى الارض فافاقت
وهي تقول سيدي بك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك
سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تصافقت
الامواج المتلاطمات انت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار
والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شيء

عندك بمقدار لانك العلي القهار ثم انشدت

احبك حبين حب الهوى	وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذي هو حب الوداد	فحب شغلت به عن سواكا
واما الذي انت اهل له	فكشفك للحجب حتى اراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فوقفت متعجبا واذا بنسوة على
احسن ما يكون من الحالات قد اقبلن فاحتملنها ثم غبن واقبلن بها
قد جهزت فقدمنني للصلوة وهن ورائي فلما فرغت مضين بها وعن
ابي الحسين احمد بن ابي الحواري قال مررت في الشام بقبة واذا بامراة تدق
الحائط فقلت ما بالك قالت امراة ضالة دلني على الطريق فقلت اي
الطرق تريدين قالت طريق النجاة قلت هيهات ان بيننا وبينه عقبات
لا تقطع الا بسير حثيث وتصحيح المعاملة وقطع العلائق الشاغلة من
امور الدنيا فقالت سبحان من امسك عليك جوارحك فلم تقطع و
حفظ عليك فؤادك فلم يتصدع ثم خرت مغشية عليها فقلت للنساء
حركنها فاذا هي ميتة فوصيتها الى حاجبها ان كفنوني في اثوابي و خلوا

ما بيني وبينه فان كان لي عنده خير فهو اسعد لي والا فبعدا لنفسي
وفي الاصل قيل كان بالموصل رجل نصراني يكنى ابا اسمعيل وانه
سمع يوما قاريا يقرأ وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها
واليه ترجعون فبكى حتى غشي عليه ثم اسلم وصحب فتح الموصلي فحدث
عنه انه نظر يوما الى الدخان يفور من المدينة فبكى وقال قد قرب الناس
قربانهم فليت شعري ما قرباني وجعل يبكي حتى فارق الدنيا هذا ما
قرره في اول باب الى هنا وفي كل نظر من انه عقد الباب كله لعشاق
الله ثم ذكر فصلا لمن مات بذلك على انه قد ذكر قبل الفصل من مات
وبعده من لم يمت ثم فصل باخر وقال انه لعشاق الحور العين وقد
اطلنا ما يتوقف فيه النظر حيث لم نذكر الا ما نظمه فيه طرق المناسبة ومن
هنا الى اخر الباب لم يخالف اوله فلا فائدة الى الفصل فتامل عن
منصور بن عمار قال بينا انا في السياحة اذ مررت بخدم وقصر ملكي
لا يمكن الاحاطة بوصفه فهممت ان ادخله فانتهروني فلم ابال بهم و
دخلت واذا انا بشاب في ارفع طبقات الجمال والملابس وقد احتضر
صبية مناسبة فلما انا في هم بقتلي فقلت انا طبيب وقد رايت فيك

ذاءٍ وأريد أعالجك فقال وما هو قلت ميلك إلى الفاني وحبك ما
لا يبقى وغفلتك عما عند الله ثم وصفت له الجنة والنار وما فيهما فتحرّ(ك)
من وقته وكان ملك البصرة فلما أخرجنا وقد زال ما في القصر من اللهو
تعلقت الصبية به وقالت إلى أين تتركني ثم تجرّدت وخرجا هائمين فلما كان
بعد مدة وأنا في الطواف وإذا أنا به يتضرع وقد أخلقته العبادة حتى
لم أعرفه إلى أن قال لي أما تعرفني يا طبيب ثم ذكر لي الحالة التي كان
عليها ثم قال أهل لك أن تنظر إلى نشوان يعني الصبية قلت نعم فأخذ
بيدي حتى أوقفني عليها فلما رأتني قالت مرحبا أيها الطبيب ثم شهقت
شهقة فارقت الدنيا فقال الرجل إني على إثرها فلا أبرح ثم نظر إليها
وخر ميتا وعن عبد الواحد بن زيد قال اشتكيت ألما في ساقي منعني
القيام فتحاملت حتى عجزت فجمعت إزاري في المحراب وتوسدته فغفيت
وإذا أنا بجارية كأنها القمر وعليها من الملابس ما يبهر العين نو
وخلفها جوار كأنهن الأقمار فقالت لبعضهم احملنه ولا تؤذينه
قالت أفرشنه وأقبلت تملس على ألمي ثم قالت قم إلى صلاتك
أذى فانتبهت كأن الذي نشط من عقال وعنه في رواية أخرى أنه

قالت له أنا التي فجدّ في طلبي فأنا في طلبك قال فلم أرَ بعدها وفي
أخرى عنه قال فما أخذتني السنة حتى رأيت شابا وبيده ورقة بيضاء
فناولني إياها فإذا فيها

ينام من شاء على غفلة	والنوم كالموت فلا تتكل
تنقطع الأعمال فيه كما	تنقطع الدنيا على المنتقل

وكان كثيرا ما يردد هذه ويقول فرق الموت بين المصلين ولذة الصلاة
ويعدّدا أفعال الخير ولعل الوقائع متعددة وعن صاحب المصارع
بسنده إلى محمد بن الفرج قال نظرت إلى جارية تباع فقلت بكم هذه
قيل بألف دينار فرفعت رأسي إلى السماء وقلت اللهم إنك تعلم
أني لا قدرة لي على ذلك وأني لو سألتك إياها لوهبتها لي ولكنني
أسألك أنفس منها عندك من لا تمرض ولا تسقم ومهرها عندي أن
لا أنام ليلا ولا أطعم نهارا ولا أضحك إلى أحد وها أنا مجدّ في المهر
فلم يزد بعد ذلك على عبرها قال حتى مات وعن رابعة العدوية قالت
كان لي ورد بالليل قد اعتدته فمرضت مرضا أعقبني فترة عنه فبينما
أنا راقدة إذ نظرت كأني في روضة كثيرة النبات والقصور وجارية تطأ

طيرا اخضر نريد ان ناخذه فالتهيت بحسنه عنها قلت دعيه فاني
ار احسن منه فقالت الا اريك احسن منه فقلت بلى فاخذت بيدي
فادخلتني الى قصر ثم قالت لجواريه افتحوا باب القبة ففتح لها باب
فدخلت الى بيت يحار فيه البصر من تلالاء نوره ثم رفع عن بستان
وخرج منه وصائف بايديهم مجامر الند والعنبر فقالت لهم الاخذ
بيدي الى اين فقالوا الى فلان قد قتل في البحر فقالت الا تخبرونني
هذه المراة فقالوا قد كان لها حظ في ذلك فتركته فانتبهت فزعا
ولم انم بعدها

الباب الثاني في احوال عشاق الجواري والكواعب

وذكر ما صدر لهم من العجائب وفيه خمسة اقسام قد تقدم في احوال
العشق انه من الاحوال القديمة حتى ورد فيه ما سمعت من الاخبار
والاثار وغالب ما يكون من قبل النساء حتى قال بعض العارفين
واظنه الجنيد ان النساء حبائل الشيطان فهن حبائل العرفان
اذ قد يتوصل العاقل من عشقهن الى معرفة مبدعهن لان المقدمات
الصحيحة تنتج الاغراض الصحيحة والجزئية لا مع النظر في مخلوقات
ذا ايل توفي عند معرفة غايته الى دائم فاعل وهذا مثل قولهم ال

قنطرة الاخلاص

اخبار بريرة

عن ابن عباس قال لما عتقت بريرة و
كان زوجها حبشيا وفي رواية اسود خيرت بين الفسخ والرجوع اليه
فاختارت الفسخ جعل يطوف في المدينة باكيا يترضاها فقال الهادي لو
افقه لو تزوجتيه فقالت ان امرتني بذلك فقال لا آمرك ولكني شفيع
وقد اخرج القصة البخاري وفي تتمة ذيل الامالي للقالي عن ابن الانباري
قال دخلت على ابرهيم ابن محمد وقد سامه جارية له البيع فاجابها
وكان يحبها حبا شديدا وانشد

نات الغداة بوصلها غدار	فدموع عينك لا تجف غزار
واستبدلت بك صاحبا ومؤانسا	وكذا الغواني وصلهن معار

وكان ابن عباس يوما جالسا بفناء الكعبة اذ وضع بين يديه شخص
قد حمله قومه الى الكعبة يستشفون له فكشف عنه فراى دسما عافيا
وحسا خافيا وجسما باليا فمكث اربعون يوما لا يسأل الله بعد
صلاته الا المعافاة من العشق وكان كثيرا ما يقول

بنا من جوى الاحزان والحب لوعة	تكاد بها نفس الشفيق تذوب
ولكنما ابقى حشاشة ما ترى	على ما ترى عود هناك صليب

واخرج ابن عساكر في الامالي ان هذا المذكور عذري وقال الب
في شرح الشواهد ان اسمه عروة ابن قيس وانه ولع بجارية من العرب فزوجو
بها بشفاعة الحسين ابن علي عليه السلام فاقام معها مدة وكانت امه تقسم علي
ان يفارقها وهو يقول لها اخاف تلاف نفسي فلم ترض فلما كان
حر شديد وقفت حافية على الرمل واقسمت لا تزول او يفارقها
ففارقها رفقا بامه فجعل يزداد به الوجد حتى امتنع من الطعام و
وعاود اهلها فابوا عليه فاقام اياما وحمل كما ذكر الى الكعبة فل
يغن عنه فلما عادوا به توفي في الطريق وحكي ان الاحوص بن
الشاعر المشهور كان يهوى اخت زوجته ولا يفصح باسمها وفي
ان اسمها نخلة فتزوجت برجل من العرب اسمه مطر فاشتد بالاحوص
الغرام فاباح به وانشد

الا يا نخلة من ذات عرق … عليك ورحمة الله السلام
لئن نادى هديلا ذات فرخ … مع الاشواق في فنن حمام
ظللت كان دمعك در سلك … هوى نسقا واسلمه النظام
تموت تشوقا طربا وتحيى … وانت جوى بدائك مستهام
كانك من تذكر ام حفص … وحبل وصالها خلق رمام
صريع مدامة غلبت عليه … تموت لها المفاصل والعظام
وانى من بلادك ام حفص … سقى بلدا تحل به الغمام
احل النعف من احد وادنى … مساكنها الشبيكة او سنام
سلام الله يا مطر عليها … وليس عليك يا مطر السلام
فلا غفر الاله لمنكحيها … ذنوبهم وان صلوا وصاموا
كان المالكين نكاح سلمى … غداة يرومها مطر نيام
فان يكن النكاح احل شيء … فان نكاحها مطرا حرام
فلو لم ينكحوا الا كفيا … لكان كفيها الملك الهمام
فطلقها فلست لها بكفو … والا يعل مفرقك الحسام

واخرج ابو الفرج الاصفهاني عن زياد ابن عطف قال كنا بباب بعض
الولاة واذا اعرابي ينادي من اراد ان يسمع العجاب فليدن مني فدنونا
منه واذا هو الرماح ابن مالك الفقعسي فقلت ما عندك فقال اعلم
اني علقت امراة يقال لها ام جحدر فاتصلت بها وطال الامر واني
عتبتها يوما فقلت لها الوصل عليك مردود فقالت ما قضى الله فهو

خبر وارتحلوا عنا وطال الامر وراجعني الشوق فقد زرت اجمعتها ا
دنت دارها فلما كان ذلك خرجت اتصفح احياء العرب حتى وجدت
امام البيت في كساء فسلمت عليها فردت احداهن وسالتني عن شاني
فاخبرتها فاشارت لي بدخول بيت فدخلت فاذا الشاكية لم تجد
وقامت لتدخل الي واذا بغراب ينعق فتغيرت فاقسمت عليها الا ما
اخبرتني عن تغيرها فقالت ان الغراب يخبرني ان لا اجتماع ففارقتها وعد
فلما اصبح النهار اخبرتني امراة اخيها ان شاميا خطبها الى اهلها فزوجو
بها فخلت بالغريب عن خباها مترددا اياما الى ان مضى بها فكنت انشد

لجارتنا ان الخطوب تنوب | علينا وبعض الامنين نصيب
لجارتنا انا غريبان هاهنا | وكل غريب للغريب نسيب
لجارتنا لست الغداة ببارح | ولكن مقيم ما اقام عسيب
فان تسالني هل صبرت فانني | صبور على ريب الزمان صليب
جرى بانبتات الحبل مزاح جحدر | ظباء وطير بالفراق نعوب
نظرت فلم اعيف وعافت ونبهت | لها الطير فيلي واللبيب لبيب
فقالت حرام ان نرى بعد يومنا | جميعين الا ان يلم غريب
لجارتنا صبرا فيا رب هالك | تقطع من وجد عليه قلوب

وما نقله هنا من ان ابن ميادة سرق الابيات فغير مسلم في الجميع وابن
ميادة هو الرماح بن مالك بن ابان بن ميادة الشاعر المشار اليه والابيات له ما عدا
الثلاثة الاولى فالثلاثة لامرئ القيس بن حجر الكندي ولها حكاية عجيبة
وهو انه لما قتل والده مضى الى قيصر ملك الروم يستنصره فوعده النصر
فاقام بالقسطنطينية اياما فراى ابنة قيصر فعلقته وراسلته فاجتمع بها
وهو يقول الا انعم صباحا القصيدة المشهورة وان القصة بلغت قيصر
فكره قتله جهارا للشنعة فالبسه حلة قد دهن بنيقها بالسم وامره
بالمسير فلما بلغ جبلا يقال له عسيب عن القسطنطينية مسافتين لعب فيه
السم فنزل الى جانب قبر فلما احس بالموت سال عن القبر فقيل هو قبر
امراة عربية غريبة فقال ادفنوني الى جانبها وانشد الابيات الثلاثة
ولخبر ابن دريد عن عمه قال عشقت حبيبة الخضرية ابن عم لها

فدرى قومها فحجبوها فانشدت

هجرتك لما ان هجرتك اصبحت | بنا شمتا تلك العيون الكواشح
فلا يفرح الواشون بالهجر ربما | اطال المحب الهجر والحب ناصح

وبعدُ النوى بين المحبين والهوى	مع القلب مطويٌّ عليه الجوانح

وهذا الذي ذكره من أول الباب الى هنا كالمقدمة لهذا الباب وقد
آن الشروع في مقاصده وصدّرتها باحد العشاق الاربعة قال الفا
في تنزيه النفس لما اراد الله الافق على نظام التربيع حيث جعل دائرة
العالم العلوي اربعة والعناصر والرياح والطبائع كذلك جعل
وطريقة الحقيقة يعني مسالك الصوفية والعشاق وكل من هذه معروف
في مواضعه واما العشاق فجميل بثينة ومجنون ليلى وكثير عزة و
لبنى وهذا سر اشارة الاستاذ في النابتة وغيرها الى من ذكرنا كقوله

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق	كمجنون ليلى او كثير عزة

اخبار جميل وصاحبته بثينة وقدم الكلام على جميل لانه كما يقال انسب
الاربعة فلما نقدمه في نزهة النفوس المجنون مراعاة للاولوية وجميل
المذكور هو ابن عبد الله ابن معمر يتصل نسبه بقضاعة كذا قال المغلطاي
ابن ابي الفرج الاصفهاني كان شاعرا فصيحا منطيقا صادق الصبابة
عفيفا منزها عن الرذائل عارفا بالتشبيب روى عنه كثير وهو عن هدبة
ابن الخشرم عن الحطيئة عن زهير ابن ابي سلمى بضم السين صاحب المعلقة

نشأ في قومه بني ربيعة بوادي القرى بين المدينة ومكة فعلق بثينة
بنت حيي ابن ثعلبة من قومه صغيرين فلما انتشبا خطبها فرد لان العرب
كانت تمنعهن ان تتزوج من جرى بينهما عشق وكان يأتيها سرا باتخاذ
فعلموا به فارادوا قتله وانها غمزته عن ذلك فاستخفى وفي ذلك يقول

فلو ان الغادين بثينة كلهم	غيارى وكل حارب مزمع قتلي
لحاولتها اما نهارا مجاهرا	واما سرى ليل ولو قطعوا رجلي

فلما شاع ذلك شبب حواش أخو بثينة باخت جميل وتفاخرا فغلبه
جميل بشهادة العرب حتى قالوا له قل ما ثبت في نفسك **ويقال** ان سبب
عشقه بثينة انه سرح ابله يوما بوادي البغيض فاستمع جواري علون
الماء فعبثت بفصيل له فسبها وهذا اخذه من قوله

واول ما قاد المودة بيننا	بوادي بغيض يا بثين سباب
وقلت لها قولا فجاءت بمثله	لكل كلام يا بثين جواب

واستعدى اهلها عليه مروان ابن هشام الحضرمي وكانوا واليا من قبل
عبد الملك ابن مروان على تيم وقيل ربعي ابن دجاجة فتوعده فمضى
مستخفيا الى الشام ونزل على سيد من بني عذرة فاحسن مكانه

وقد بنى له سبع بنات رجاء أن يعلق بواحدة فيزوجه بها فكن يرعين
الجبا إذا أقبل جميل ففطن لذلك فأنشد

حلفت لكيما تعلميني صادقا … وللصدق خير في الأمور وأنجح
لتكليم يوم واحد من بثينة … ورؤيتها عندي ألذ وأملح
من الدهر لو أخلو بكن وإنما … أعالج قلبا طامحا حيث يطمح

فقال الشيخ ارخين الجبا فوالله لا يفلح أبدا يعني لا يرجع عن العشق
وعن مغلطاي عن أبي الفرج وشت جارية بجميل وبثينة إلى أبيها
وأنه الليلة عندها فأتى وأخوها مشتملين معهما سيفيهما القتلة فسمعاه
يقول لها بعد شكوى شغفه بها هل لك في طفي ما بي بما يفعل المتحابان
فقالت قد كنت عندي بعيدا من هذا ولو عدت إليه لن ترى وجهي
فضحك ثم قال والله ما قلته إلا اختبارا ولو أجبتني إليه لضربتك بسيفي
هذا إن استطعت وإلا هجرتك أما سمعتني قولي

وإني لأرضى من بثينة بالذي … لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى … وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي … أواخره لا نلتقي وأوائله

فقالا ما ينبغي لنا ابتداء من هذه حالته ولا منع التزاور فانصرفا
وسأل عبد الملك يوما كثيرا عن حال جميل وبثينة فقال سايرته يوما
إليها فلما وصلنا بالقرب منهم أقبلت مع نسوة فلما رأته وقفن ووقفنا
من أول الليل حتى طلع الفجر ثم قالت حين أزمعا الفراق ادن
مني فدنى منها فأسرت إليه فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشد

فما ماء مزن في جبال منيفة … ولا ما أكنت في معادنها النحل
بأشهى من القول الذي قلت بعد ما … تمكن في حيزوم ناقتي الرحل

وعن كثير قال سألني جميل أخذ موعد من بثينة فقلت بينكما عهد
قال بوادي الدوم وهي تغسل الثياب فجئت أباها وهو جالس فحادثته قليلا ثم أنشدته

وقلت لها يا عز أرسل صاحبي … على نأي دار والموكل مرسل
بأن تجعلي بيني وبينك موعدا … وأن تأمريني بالذي فيه أفعل
وآخر عهد منك يوم لقيتني … بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فضربت بجانب البيت وقالت اخسأ فقال أبوها ما هذا فقالت
كلب يأتينا من وراء هذه الرابية إذا نام الناس فمضيت وأخبرته
فأقبل حتى اجتمعا ليلة وسارته كما سلف فأنشد البيتين المتقدمين

وعن مغلطاي قال دخلت بثينة على عبد الملك وقد اخلقها الدهر
فقال لها ما الذي رأى فيك جميل حتى هيمك فقالت ما رأى فيك
الناس حين ولوك الخلافة فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها
مصعب بن الزبير يوماً على زوجته عائشة بنت طلحة وكان
شغفاً بها فتمثل

ما انس لا انس منها نظرة عرضت … بالحجر يوم جلتها ام منظور

فقيل له ان ام منظور المشار اليها في هذا البيت موجودة فاستحضرها
واستحكاها عن سبب قول جميل هذا البيت فقالت كنت ماشطة
لبثينة واني زينتها يوماً فاقبل على بعيرها فراها بموخر عينيه فانشد
البيت فامرها مصعب ان تصنع بعائشة كذلك وصنع هو كجميل ولـ
فيها من الاشعار ما لا يحصى ما بين وصف ونسيب وذكر حكايات
الى غير ذلك فمن مستجاداتها اللامية التي انشدها لعمر بن ابي ربيعة
وكان من اجل معاصريه في الشعر لقيه يوماً فتفاخرا واستنشده جميل فانشد

الم تسال الاطلال والمتربعا … ببطن حليات دوارس بلقعا
اتانا رسول من ثلاث كواعب … ورابعة تستكمل الحسن اجمعا

فلما توقفنا وسلمت اقبلت … وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفنني … وقلن امرؤ باغ اضل واوضعا
وقربن اسباب الهوى لمتيم … يقيس ذراعاً كلما قسن اصبعا
فقلت لمطريهن بالحسن انما … ضررت فهل تستطيع نفعاً فتنفعا

فانشد جميل آخره هذه القصيدة واولها

لقد فرح الواشون ان صرمت حبلي … بثينة او ابدت لنا جانب البخل
يقولون مهلاً يا جميل وانني … لاقسم ما بي عن بثينة من مهل
احلماً فقبل اليوم كان اوانه … او اخشى فقبل اليوم هددت بالقتل
اذا ما تناشدنا الذي كان بيننا … جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
كلانا بكى او كاد يبكي صبابة … الى الفه فاستعجلت عبرة قبلي
فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها … ويا ويح اهلي ما اصيب به اهلي
خليلي فيما عشتما هل رأيتما … قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

ومنها بيتان انشدهما وقد مر به رجل فاضافه ثريداً فجعل ياكل وهو يبكي
وجداً به على ابنة عمه حتى غشي عليه

ويعجبني من جعفر ان جعفرا … يلح على قرصي ويبكي على جمل

فلو كنت عذري العلاقة لم تكن … بطيناً وانساك الهوى كثرة الاكل

ولما انشد جميل هذه القصيدة قال لعمر يا ابا الخطاب هل لك في هذا الروي شيء قال نعم وانشد

جرى ناصح بالود بيني وبينها … فقربني يوم الخطاب الى قتلي

وطارت بوجد من فؤادي ونازعت … قرينتها حبل الصفاء الى حبلي

فما انس م الاشياء لا انس موقفي … وموقفها يوماً بقارعة النخل

فلما توافقنا عرفت الذي بها … كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

ومنها فسلمت واستانست خيفة ان يرى … عدو بكائي او يرى كاشح فعلي

واقبلن امثال الدمى يكتنفنها … وكل يفدي بالابوة والاهل

وقالت وارخت جانب الستر انما … معي فتحدث غير ذي رقبة اهلي

فقلت لها ما بي لهم من ترقب … ولكن سري ليس يحمله مثلي

وقيل ان جميلاً لم ينشده في هذه المرة شيئاً بل قال له امض بنا الى بثينة فقال قد حجر عليها فقال دلني على ابياتها ففعل ومضى عمر فاجتمع بها ثم عاد نائبة فتلاقيا وانشد جميل

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما … على عذبة الانياب طيبة النشر

فانكما ان عجتما لي ساعة … شكرتكما حتى اغيب في قبري

وانكما ان لم تعوجا فانني … ساصرف وجدي فاذنا اليوم بالهجر

ومالي لا ابكي وفي الايك نائح … وقد فارقتني شحنة الكشح والخصر

ايبكي حمام الايك من فقد الفه … واصبر ما لي عن بثينة من صبر

يقولون مسحور يجن بذكرها … واقسم ما بي من جنون ولا سحر

واقسم لا انساك ما ذر شارق … وما هب آل في ملمعة قفر

وما لاح نجم في السماء معلق … وما اورق الاغصان من ورق السدر

لقد شغفت نفسي بثين بذكركم … كما شغف المجنون يا بثن بالخمر

ذكرت مقامي ليلة البان قابضاً … على كف حوراء المدامع كالبدر

فكدت ولم املك اليها صبابة … اهيم وفاض الدمع مني على النحر

فيا ليت شعري هل ابيتن ليلة … كليلتنا حتى يرى ساطع الفجر

تجود علينا بالحديث وتارة … تجود علينا بالرضاب من الثغر

فليت المنى تقضي بذلك مرة … فيعلم ربي عند ذلك ما شكري

ولو سألت مني حياتي بذلتها … وجدت بها ان كان ذلك من امري

فلما سمعها عمر اعجب بها ثم قال لجميل دونك هذه وانشد

امن آل نعم انت غاد فمبكر … غداة غد ام رائح فمهجر

ومنها

وغاب قمير كنت ارجو غيوبه … وروّح رعيان ونوّم سمّر

فحييت اذ فاجأتها فتولهت … وكادت بمكتوم التحية تجهر

فقالت وعضت بالبنان فضحتني … وانت امرؤ ميسور امرك اعسر

اريتك اذ هنا عليك الم تخف … رقيبا وحولي من عدوك حضر

فوالله ما ادري اتعجيل حاجة … اتى بك ام قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى … اليك وما عين من الناس تنظر

فيا لك من ملهى هناك ومجلس … لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكاء المسك منها مفلج … رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر

يرف اذا تفتر عنه كأنه … حصى برد او اقحوان منور

وترنو بعينيها الي كما رنا … الى ربرب وسط الخميلة جوذر

فلما تولى الليل الا اقله … وكادت توالي نجمه تتغور

اشارت بان القوم قد كان منهم … هبوب ولكن موعد لك عزور

فما راعني الا مناد برحلة … وقد لاح مفتوق من الصبح اشقر

فلما رأت من قد تنور منهم … وايقاظهم قالت اشر كيف تأمر

فقلت اباديهم فإما افوتهم … واما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت اتحقيق لما قال كاشح … علينا وتصديق لما كان يؤثر

اذا كان ما لا بد منه فغيره … من الامر ادنى للخفاء واستر

اقص على اختيّ بدء حديثنا … وما لي الى من تعلما متأخر

لعلهما ان يبغيا لك حيلة … وان ترحبا صدرا بما كنت احصر

فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا … اقلي عليك الخطب فالامر ايسر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا … فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

وكان مجني دون من كنت اتقي … ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فلما اجزنا ساحة الحي قلن لي … الم تتق الاعداء والليل مقمر

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا … اما تنتهي او ترعوي او تفكر

وقد انشد عمر هذه القصيدة لعبد الله ابن عباس بحضرة نافع ابن الازرق واتفق اهل ذلك العصر على ان ليس احد اشعر من جميل وعمر ابن ابي ربيعة وكثير وكان الناس يقولون هو في عينيته اشعر وجميل في لاميته اشعر والذي يظهر ان جميل اشعر مطلقا عند الناس ومن اشعار جميل ايضا قوله

ألا ليت أيام الصفاء جديد ... ودهرا تولى يا بثين يعود

فنغنى كما كنا نكون وأنتم ... صديق وإذ ما تبذلين زهيد

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها ... وقد قربت نضوي أمصر تريد

ولا قولها لولا العيون التي ترى ... أتيتك فاعذرني فدتك جدود

خليلي ما أخفي من الوجد ظاهر ... ودمعي بما أخفي الغداة شهيد

ألا قد أرى والله أن رب عبرة ... إذا الدار شطت بيننا ستزيد

إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي ... من الحب قالت ثابت ويزيد

وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به ... مع الناس قالت ذاك منك بعيد

فما ذكر الخلان إلا ذكرتها ... ولا البخل إلا قلت سوف تجود

فلا أنا مردود بما جئت طالبا ... ولا حبها فيما يبيد يبيد

جزتك الجوازي يا بثين سلامة ... إذا ما خليل بان وهو حميد

وقلت لها بيني وبينك فاعلمي ... من الله ميثاق له وعهود

وقد كان حبيكم طريفا وتالدا ... وما الحب إلا طارف وتليد

وإن عروض الوصل بيني وبينها ... وإن سهلته بالمنى لصعود

فأفنيت عمري في انتظاري نوالها ... وأبليت بذاك الدهر وهو جديد

فليت وشاة الناس بيني وبينها ... تدوف لها سما سود

وليت لهم في كل ممسى وشارق ... تضاعف أكبال لهم وقيود

ويحسب نسوان من الجهل أنني ... إذا جئت إياهن كنت أريد

فأقسم طرفي بينهن فيستوي ... وفي الصدر بون بينهن بعيد

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بوادي القرى إني إذا لسعيد

وهل أهبطن أرضا تظل رياحها ... لها بالثنايا الذاريات وئيد

وهل ألقين سعدى من الدهر مرة ... وما رث من حبل الصفاء جديد

فقد تلتقي الأهواء من بعد يأسها ... وقد تطلب الحاجات وهي بعيد

وهل أزجرن حرفا علاة شملة ... بخرق تباريها سواهم قود

على ظهر مرهوب كأن نشوزه ... إذا جاز هلاك الطريق رقود

سبتني بعيني ربرب وسط جؤذر ... وصدر كفاثور اللجين وجيد

تزيف كما زافت إلى سلفاتها ... مباهية طي الوشاح ميود

إذا جئتها يوما من الدهر زائرا ... تعرض منفوض اليدين صدود

يصد ويغضي عن هواي ويجتني ... ذنوبا علينا إنه لعنود

فأصرمها خوفا كأني مجانب ... ويغفل عنا مرة فنعود

يقولون جاهد يا جميل بغزوة | وأي جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة | وكل قتيل بينهن شهيد
إذا فكرت قالت قد أدركت وده | وما ضرني بخلي ففيم أجو
ألم تعلمي يا أم ذي الودع بيننا | أضاحك ذكراكم وأنت صلو

ومن كان يلهج بهذه القصيدة لرصافتها ولطفها معبد وكان من أ
بالدخول وضرب العود والغنا والغريض كان أعظم منه حكي عنه في
أن الجن افتتنت به فأخرجوه إلى مكة فأقام بها لا يفتح بابه وإن مع
أراد الاجتماع به فقصده فأقام يطرق الباب فلم يجب فحدث بأنه
يخرجه إلا الغنا فأنشد: علقت الهوى منها وليدا البيت فلم يتم ال
فتح الباب وأذن له فدخل عليه فتحادثا فأنشده: وما أنس ما الأ
لا أنس قولها: إلى خمسة أبيات ثم قال إنما غنيتك ذلك لأني علمت
تريد أن أغنيك: وما أنس ما الأشياء لا أنس شادنا: بمكة مكح
أسيلا مدامعه: وأن الجن نفتني عن ذلك قال معبد لم نفدها إ
ثم فارقته حين رأيته يستثقل المجالسة وطلبت أن يكمل لي السرو
أضم إلى اجتماعي به اجتماعي بمن رأى جميل لآخذ عنه القصيدة فق

إلى أن خرج في بني عذرة فجئته فسألته عن جميل فحدثت أنه كان في إبل له
فإذا برجل غشاه فنزل به فلما استلقاه قال له هل لك أن تصنع معي من الخير
ما لو كانت لك الدنيا ذهبا وأنفقتها علي لم تبلغ معشاره قلت وما ذاك
قال تمضي إلى خدراء هذا الشيخ فتنشد لي بكرة صفتها كذا وكذا فقلت
نعم ومضيت فوجدت العرب مجتمعين على جزور ينحر فاستطلعتهم عنها
ثم استأذنتهم في البيوت وقلت لهم إن النساء أدرى بالمارة فأذنوا
فانصرفت أتصفح إلى أن احتدم النهار ولم أظفر بطلبته وإذا أنا بثلاث
بنات فقلت أنصرف إليه وأدع هذا البيت فجئتهن فسلمت فرددن
ثم استنشدتهن البكرة فقالت إحداهن قد أصبت حاجتك ثم
أدخلتني بيتا وأتتني بقدح مفضض فيه تمر وصحفة شامية مفضضة
فيها لبن فتناولت كفايتي ثم قالت إن بكرتك تأتي هذه الشجرة فتطوف
بها الليلة فرجعت إليه وحدثته القصة فابتهج كالذي أصاب بغيته
وأنا لا أدري فلما جاء الليل وآنس أن قد نمت عمد إلى رحله فاستخرج
بردين ملوكية من برود الخلافة فأتزر بأحدهما واتشح بالآخر ومضى
فتبعته من حيث لم يشعر حتى تلاقيا فلم يك بينهما إلا أن رضي الوفا

الى ان رايا الصبح فلما انمعا الفراق سبقته فقمت وجاء وصلى ثم نهبني
وهو مسرور فاكل معي وشرب ثم اخبرني ان جميل وانها بثينة ثم اعطاني بردا
واعتذر وودعني بعد ان قال هل لك ان تمضي فتنشدها ابياتا قلتها بعد
منصرفي عنها قلت نعم فانشدني وما انس ما الاشياء الابيات الخمسة فمضيت
اليها فقلت قد جيئت بالامس طالبا واليوم مسلما وذكرت شاه وجدي
ثم قلت هل لك بادرة الي قالت نعم فسمعت جارية تقول لها يا بثينة ان
عليه برد جميل ثم خرجت في زينة ثم قالت يا الخاتم ان برد لك لم يلبس
عليك واستخرجت ملاءة مصبغة بالعصفر واقسمت ان اتشح بها ففعلت
وانشدتها ما قال ورجعت بملحفة بثينة وبرد جميل

ومن قوله برد ابن مغلطاي

وكان طارقها على علل الكرى ... والنجم وهنا قد دنى لتغور
نشوان ريح مدامة معلولة ... تجني كمسك او سحيق العنبر
اني لاحفظ سركم ويسرني ... لو تعلمين بصالح ان تذكري
ويكون يوم لا ارى لك مرسلا ... او نلتقي فيه علي كاشهر
ياليتني اغشى المنية بغتة ... ان كان يوم وصالكم لم يقدر

اوا استطيع تجلدا عن ذكركم ... فيفيق بعض صبابتي وتفكري
لو تدعين كما لجن من الهوى ... لعذرت او لظلمت ان لم تعذري
فلتبكيني الباكيات ولم ابح ... يوما بسرك معلنا لم اغدر

ومن قوله ايضا

منع النوم شدة الاشتياق ... وادكار الحبيب يوم الفراق
ليت شعري اذا بثينة بانت ... هل لنا بعد بينها من تلاق
ولقد قلت يوم نادى المنادي ... مستحثا برحلة وانطلاق
ليت لي اليوم يا بثينة منكم ... مجلسا للوداع قبل الفراق
حيث ما كنتم وكنت فاني ... غير ناس للعهد والميثاق

وعن ابن عباس قال لقيت عجوزا من بني عذرة فقلت لها هل تروين
شيئا عن جميل ومحبوبته قالت نعم كنت يوما وبثينة قد انفردنا نغزل
غزلا والعرب قد اعتزلت الطريق خوف المارة الى الشام واذا برجل
قد اقبل الينا فاستشبناه فاذا هو جميل فقلنا له قد عرضتنا وافسدت
شرا من اين قال من هذه الهضبة ولي بها ثلاثا انتظر الفرصة لاحدث
بكم عهدا فاني ذاهب الى مصر فحادثنا ساعة وهو لا ينماسك فجئته

بعلج فيه ثم وافقط فقال له منه بيرا ثم ودع ومضى فما لبث ان جاء نعيه ومن

ارى كل معشوقين غيري وغيرها … يلذان في الدنيا ويغتبطان
وامشي وتمشي في البلاد كأننا … أسيران في الاعداء مرتهنان
اصلي فابكي في الصلوة لذكرها … لي الويل مما يكتب الملكان
ضمنت لها ان لا اهيم بغيرها … وقد وثقت مني بغير ضمان
الا يا عباد الله قوموا لتسمعوا … خصومة معشوقين يختصمان
وفي كل عام يستجدان مرة … عتابا وهجرا ثم يصطلحان
يعيشان في الدنيا غريبين اينما … اقاما وفي الاعوام يلتقيان

وعن سهل الساعدي قال قال لي رجل هل لك ان تعود جميل
فانه مريض فدخلنا عليه واذا هو يجود بنفسه فنظر الي وقال
تقول في رجل لم يزن قط ولم يشرب خمرا ولم يسفك دما يشهد
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله منذ خمسين سنة قلت من هذا
فاني اظنه ناج قال انا قلت عجيب منك تشبب ببثينة هذه المد
وانت كذلك قال انا في اخر يوم من ايام الدنيا لا نالتني شفاعة محمد
ان كنت وضعت يدي عليها بريبة واكثر ما كان مني ان اسند

الى فؤادي استريح ساعة ثم اغمي عليه فلما افاق انشد

صرح النعي وما كنى بجميل … وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد اجر الذيل في وادي القرى … نشوان بين مزارع ونخيل
قومي بثينة فاندبي بعويل … وابكي خليلك دون كل خليل

فلما حضرته الوفاة قال من ينعاني الى بثينة قال رجل انا فاعطاه
حلة فراح حتى جاء الحي فانشد

بكر النعي وما كنى بجميل … وثوى بمصر ثواء غير قفول
بكر النعي بفارس ذي همة … بطل اذا حم اللقاء مذيل

فسمعته بثينة فخرجت مكشوفة تقول

وان سلوي عن جميل لساعة … من الدهر لا كانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل ابن معمر … اذا مت باساء الحيوة ولينها

ثم قالت للناعي يا هذا ان كنت صادقا فقد قتلتني وان كنت كاذبا
فقد فضحتني فقال لها والله اني لصادق واخرج الحلة فلما رآها
صرخت وصكت وجهها واقبلن النسوان يبكين معها حتى خرت
مغشية ثم افاقت وانشدت وان سلوي البيتين فلم يسمع منها

عنهما حتى قضت **اخبار كثير وصاحبته عزة** هو ابو صخر كثير ابن عبد الر
ابن الاسود الشهير بابي جمعة قد اوصله الكلبي في النسب الى ماء ا
ابن حارثة ابن ثعلبة المشهور لحد اولاد الازد من اجداد عمرو ابن ر
الذي دعى العرب عن دين ابرهيم عليه السلم الى عبادة الاصنام و اقتر
السوائب والبحيرة فراه رسول الله صلعم ليلة المعراج يجر قصبه في ال
وهو من خزاعة سموا بذلك لانقطاعهم عن الازد ايام سيل العرم
جاوا الى الشام وكثير هو صاحب عزة بنت جميل ابن حفص ابن ا
ابن عبد العزى يتصل نسبه الى عبد مناف علقها جارية قد كعب

هويها بدليل قوله

نظرت اليها نظرة وهي عاتق | على حين ان شبت وبان نهو
نظرت اليها نظرة ما يسرني | بها حمر انعام البلاد وسو

وكان سبب دخول الهوى بينهما ان كثيرا مر بغنم له يرد الما
على نسوة من ضمرة بوادي الخبت فارسلن له عزة بدريهمات تشتر
كبشا لهن منه فنظرها نظرة متامل فدخله منها ما كان فرد الد
واعطاها الكبش وقال اذا رجعت اخذت حقي فلما عاد سالته

فقال لا اقتضي الا من عزة فقلن له ليس فينا كفاءة فاخر لحدانا
فابى وانشد البيتين فجعلن يبرزنها كارهة له ثم دلها ما داخله
ولما خرج لزيارتها يوما ومعه اداوة ماء فجففت من الحر ودفعت له نا
فاتها واذا بعجوز فاستسقاه من الرجل فقال صاحب عزة فقالت له انت القا

اذا ما اتتنا خلة كي تزيلنا | ابينا وقلنا الحاجبية اول
سنوليك عرفا ان اردت وصالنا | ونحن لتلك الحاجبية اوصل

هلا قلت مثل جميل

يا رب عارضة علينا وصلها | بالجد تخلطه بقول الهازل
فاجبتها بالقول بعد تامل | حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامة | فضلا لغيرك ما اتتك رسائلي

والله لا سقيتك شيئا فانصرف **ودخلت عزة** على ام البنين بنت عبد
العزيز فقالت لها ما الحق الذي مطلتيه وقال فيه كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه | وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت وعدته قبلة فقالت انجزيها وعلي اثمها **والبيت** حكاية
عجيب الاتفاق وهو ان كثيرا كان له غلام يتجر على العرب فاعطى

٥١

الثناء إلى أجل فلما انقضى ما له منهن مطلته عزة فقال لها يوما وقد
حضرت في نساء أما آن أن تقضي ما عندك فقالت كرامة لم يبق إلا الوفا فقال
صدق مولاي حيث يقول قضى كل ذي دين وافتقد البيت فقلن له أتدري
من غريمك قال لا قلن هي والله عزة فقال أشهدكن على أنها في حل مما
عندها ومضى وأخبر مولاه بالحكاية فقال له وأنت حر وما عندك لك و
اعتق الغلام
رأيت في روضة الدولتين لأبي شامة أن الذي وهبه كثير ألف دينار وأنشد

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم ... إذا غاله من حادث الدهر غائله
يود بأن يمسي سقيما لعلها ... إذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف في طلب العلى ... لتحمد يوما عند عز شمائله

ودخلت عزة على عبد الملك فقال لها أتروين قول كثير

لقد زعمت أني تغيرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
تغير جسمي والخليقة كالتي ... عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت لا أعرف هذا ولكن أروي قوله

كأني أنادي صخرة حين أعرضت ... من الصم لو تمشي بها العصم زلت
صفوحا فما تلقاك إلا بخيلة ... فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فضحك من ذلك وهذان البيتان من قصيدة طويلة رواها في الذيل
عن ابن دريد عن عمه عن حماد وقال إنها من عجائب شعره وهي هذه

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت أدري قبل عزة ما البكا ... ولا موجعات القلب حتى تولت
فقد حلفت جهدا بما نحرت له ... قريش غداة المأزمين وصلت
أناديك ما حج الحجيج وكبرت ... بفيفا غزال رفقة وأهلت
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها ... كناذرة نذرا وفت وأحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبة ... إذا وطنت يوما لها النفس ذلت
ولم يلق إنسان من الحب نعمة ... تعم ولا عمياء إلا تجلت

كأني أنادي البيتين

أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها ... وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
فليت قلوصي عند عزة قيدت ... بحبل ضعيف غر منها فضلت
وغودر في الحي المقيمين رحلها ... وكان لها باغ سواي فبلت
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكانت كذات الظلع لما تحاملت ... على ظلعها بعد العثار استقلت

اريد الثواء عندها واظنها ... اذا ما اطلنا عندها المكث ملت
فما انصفت اما النساء فبغضت ... الي واما بالنوال فضنت
يكلفها الخنزير شتمي وما بها ... هواني ولكن للمليك استذلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر ... لعزة من اعراضنا ما استحلت

ولهذين البيتين حكاية هي ان كثيرا سافر مع جماعة الى مكة فاتفق ان خرجت عزة وزوجها مع تلك العير فلما كان في اثناء الطريق مر بجمل له فسلمت على الجمل فبلغ كثيرا ذلك فجاء الى الجمل فحله واطلقه من الحمل

حييت عزة بعد الهجر وانصرفت ... فحي ويحك من حياك يا جمل
ليت التحية كانت لي فاشكرها ... مكان يا جمل حييت يا رجل

ثم اتفق ان امرها زوجها ليلة ان تقتبس نارا وقال في النزهة سمنا فلقيها كثير فاخبرته حاجتها فاخرج اداوة سمن وجعل يسكب في اناء عزة وهما يتحادثان فلم يشعر حتى غرقت ارجلهما فلما انكر زوجها كثرة السمن واقسم عليها فاخبرته فحلف ليضربنها او لتحج فتشتم كثيرا بحيث يسمع ففعلت فانشد يكلفها الخنزير شتمي البيتين وفي منازل الاحباب انها وقفت عليه وهو يبري سهاما

فجعل يبري ساعده فدخلت عليه فمسحت الدم بثوبها وان زوجها لم ينكر الا وجود الدم وقيل له انت اشعر ام جميل فقال كيف يكون اشعر مني وهو القائل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى ... وفي الغر من انيابها بالقوادح

وانا القائل هنيئا مريئا البيت قلت وليس فيما ذكر على كونه اشعر وانما يدل على كونه ارق قلبا واشفق على محبوبته فلو سيق الكلام كذلك كان اولى وتمام القصيدة

فوالله ما قاربت الا تباعدت ... بصرم ولا اكثرت الا اقلت
فان تكن العتبى فاهلا ومرحبا ... وحقت لها العتبى لدينا وقلت
وان تكن الاخرى فان وراءنا ... منادح لو سارت بها العيس كلت
خليلي ان الحاجبية طوحت ... قلوصيكما وناقتي قد اكلت
فلا يبعدن وصل لعزة اصبحت ... بعاقبة اسبابه قد تولت
اسيئي بنا او احسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية ان تقلت
ولكن انيلي واذكري ابن مودة ... بنا خلة كانت لديكم فطلت
واني وان صدت لمثن وصادق ... عليها بما كانت الينا ازلت

فما أنا بالداعي لعزة بالردى ... ولا شامتا ان نعل عزة زلت

فلا يحسب الواشون ان صبابتي ... بعزة كانت غمرة فتجلت

فوالله ثم الله ما حل قبلها ... ولا بعدها من خلة حيث حلت

وما مر من يوم علي كيومها ... وان عظمت ايام اخرى وجلت

واضحت باعلى شاهق من فؤاده ... فلا القلب يسلاها ولا العين ملت

فيا عجبا للقلب كيف اعترافه ... وللنفس لما وطنت كيف ذلت

واني وتهيامي بعزة بعدما ... تخليت مما بيننا وتخلت

لكالمرتجي ظل الغمامة كلما ... تبوء منها للمقيل اضمحلت

كأني واياها سحابة ممحل ... رجاها فلما جاوزته استهلت

وخرج يوما من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار في روثة

فقالت من انت قال صاحب عزة فقالت انت القائل

وما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

باطيب من اردان عزة موهنا ... اذا اوقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم فقالت ويحك اذا اوقد المندل الرطب على هذه الروثة يعني
بزاتك العجوز الشنعاء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس

ألم ترياني كلما جئت زائرا ... وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فانقطع مطرف خز كان معه وقال استريحي على ذلك وهذه الحكاية نقلها
قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الادب
قال ليس على كثير شيء فان قوله اذا اوقدت بالمندل الرطب نارها
نعت للروضة المذكورة وهذا جيد لولم يطلب كثير من العجوز التي فانه
عرفنا بذلك انه ما اراد الا المعنى المعترض عليه فيكون هذا تصحيحا لبيان
قصده وتوفي كثير سنة خمس ومائة في اليوم الذي مات فيه عكرمة مولى
ابن عباس ودفن في مقابر الدبنة وله في عزة اشعار كثيرة من محاسنها

يقولون سوداء القلوب مريضة ... فاقبلت عن اهلي اليها اعودها

فوالله ما ادري اذا انا جئتها ... اأبرئها من دائها ام ازيدها

ومنها اذا جئتها وسط النساء منحتها ... صدودا كان النفس ليس تريدها

ولي نظرة بعد الصدود من الجوى ... كنظرة ثكلى قد اصيب وحيدها

وقيل ان هذه الابيات لذي الرمة لا لابن بعدها

وكنت اذا ما جئت سيا ازورها ... ارى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها ... اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

ومنها وقد سأل عبد العزيز ان يرشده الى قبر عزة فلما وقف عليه انشد

وقفت على ربع لعزة ناقتي … وفي البرد رشاش من الدمع يسفح

فيا عز انت البدر قد حال دونه … رجيع تراب والصفيح المضرح

وقد كنت ابكي من فراقك خفية … فهذا لعمري اليوم اناي اصرح

فهلا فداك الموت من انت زينه … ومن هو اسوا منك حالا واقبح

الا لا ارى بعد ابنة النضر لذة … لشيء ولا ملحا لمن يتملح

فلا زال رمس ضم عزة سائلا … بها نعمة من رحمة الله تسفح

فان التي احببت قد حال دونها … طوال الليالي والضريح المرجح

اردت بعيني البكا كل ليلة … فقد كاد مجرى الدمع عيني يقرح

اذا لم يكن ماء تحللنا دما … وشر البكاء المستعار الممنح

ومنها الا حبذا ليلى اجد رحيلي … وآذن اصحابي غدا بقفول

بدت له ليلى لتذهب عقله … وشاقتك ام الصلت بعد ذهول

اريد لانسى ذكرها فكانما … تمثل لي ليلى بكل سبيل

اذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة … تعل بها العينان بعد نهول

ومنها حلفت برب الراقصات الى منى … خلال الملا يمددن كل جديل

يمين امرئ مستغلظ من اليمين … لتكذب قيلا قد الح بقيل

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم … بليلى ولا ارسلتهم برسيل

فان جاءك الواشون عني بكذبة … فروها ولم ياتوا لها بحويل

فلا تعجلي يا ليل ان تتفهمي … بنصح اتى الواشون ام بحبول

ومنها تذكرت اترابا لعزة كالمها … حببن بلبط ناعم وقبول

وكنت اذا لاقيتهن كانني … مخالطة عقلي سلاف شمول

ومنها كفى حزنا للعين ان رد طرفها … لعزة عير آذنت برحيل

وقالوا نات فاختر من الصبر والبكا … فقلت البكا اشفى اذا لغليلي

تولين محزونا وقلت لصاحبي … أقاتلتي ليلى بغير قتيل

لعزة اذ ما حل بالخيف اهلها … فاوحش منها الخيف بعد حلول

وبدل منها بعد طول اقامة … بشعب نكباء العشي حفول

لقد اكثر الواشون فينا وفيكم … ومال بنا الواشون كل مميل

وما زلت من ليلى لدن طر شاربي … الى اليوم كالمقصى بكل سبيل

ومنها لا تغدرن بوصل عزة بعدما … اخذت عليك مواثقا وعهودا

ان المحب اذا احب حبيبه … صدق الوفاء وانجز الموعودا

الله يعلم لو اردت زيادة ... في حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم ... يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها ... خروا لعزة خاشعين سجودا
والميت ينشر ان تمس عظامه ... مسا ويخلد ان يراك خلودا
لولا ابوح بحب بثنة انها ... اخذت علي مواثقا وعهودا

قيس اخبار وصاحبته لبنى

اخبار قيس وصاحبته لبنى هو قيس بن ذريح ابن سنة وفي رواية ابن الخ
يتصل نسبه ببكر ابن عبد مناة عذري او هو من خزاعة واسمه علي او
هو جده وكان ينزل بظاهر المدينة وهو رضيع الحسين ابن علي
ابي طالب عليهما السلام **وسببه** اعتلاقه بلبنى بنت الحباب الكعبية انه
ذهب لبعض حاجاته فمر ببني كعب وقد احتدم الحر فاستسقى الما
من خيمة منهم فبرزت اليه امراة مديدة القامة بهية الطلعة عذ
الكلام سهلة المنطق فناولته اداوة ماء فلما صدر قالت له الا
عندنا وقد تمكنت من فؤاده فقال نعم فمهدت له وطاء واستخفته
يعالج اليه وان اباها جاء فلما وجده رحب به ونحر له جزورا
فاقام عندهم بياض اليوم ثم انصرف وهو اشغف الناس بها

سبب

يكتم ذلك الى ان غلب عليه فنطق فيها بالاشعار وشاع ذلك عنه
والله مر بها ثانيا فنزل عندهم وشكى اليها حين تخاليا ما نزل به من حبها
فوجد منها اضعاف ذلك فانصرف وقد علم كل ما عند الآخر
فمضى الى ابيه وشكى اليه ذلك فقال له دع هذا وتزوج باحدى
بنات عمك فغم منه وجاء الى امه فكان منها ما كان من ابيه فتركهما
وجاء الى الحسين ابن علي عليهما السلام واخبره بالقصة فرثى له والتزم ان
يكفيه هذا الشان فمضى معه الى ابي لبنى فساله في ذلك فاجاب
بالطاعة وقال يا ابن رسول الله لو ارسلت لكفيت بيد ان هذا من
ابيه اليق كما هو عند العرب فشكره ومضى الى ابيه **قال** السيوطي في
شرح الشواهد عن ابن عساكر ان الحسين عليه السلام لما بلغه انقباض ابي
قيس عن ذلك جاء اليه حافيا على حر الرمل فقام ومرغ وجهه على
اقدامه وكان ذريح مليا فمضى مع الحسين عليه السلام حتى زوجا قيس
بلبنى **وعن** الجلال السيوطي ان الحسين ع ادى المهر من عنده ولما
تزوجها اقاما مدة مديدة على ارفع ما يكون من محاسن الاحوال و
مراتب الاقبال وفنون المحبة وان قيسا كان على ابلغ ما يكون

من انواع البر بامه فشغله الانهماك مع لبنى عن بعض ذلك فحسنت
لابيه التفريق بينهما فقالت له يوما لو زوجته بمن تحمل فيجيء بولد كان
ابقى لنسلك واحفظ لبيتك ومالك فاتيهما عرضا على قيس ذلك فامتنع
امتناعا يؤذن باستحالته وقال لا اسيئها قط وقام يدافعهما عشر سنين
الى ان اقسم ابوه او هي امه لا يكنه سقف او يطلق فبرز لبنى وكان
اذا اشتد الهجير يجتاه فيظله بردائه ويصطلي هو حتى يجيء الفيء فيدخل
الى لبنى فيتعانقان ويتباكيان وهي تقول له لا تفعل فتهلك الى
ان قدر ان طلقها فلما ازمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد قوض
فسطاطها فسال الجارية عن امرهم فقالت سل لبنى فاتى اليها فمنعوه اهلها
واخبروه انها غداة غد ترحل الى اهلها فسقط مغشيا عليه فلما افاق انشد

وانّي لمفنٍ دمع عينيّ بالبكا — حذار الذي قد كان او هو كائن
وقالوا غدا او بعد ذاك بليلة — فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت اخشى ان تكون منيّتي — بكفّيك الا انّ ما حان حائن

وانشد
يقولون لبنى فتنة كنت قبلها — بخير فلا تندم عليها وطلّق
فطاوعت اعدائي وعاصيت ناصحي — واقررت عين الشامت المتملّق

وددت وبيت الله انّي عصيتهم — وحمّلت في رضوانها كلّ موثق
وكلّفت خوض البحر والبحر زاخر — ابيت على اثباج موج مغرّق
كانّي ارى الناس المحبّين بعدها — عصارة ماء الحنظل المتفلّق
فتنكره عيني وما كلّ منظر — وتكره سمعي بعدها كلّ منطق

وسقط غراب بحيث ينظر فنعق حين رحيلها فانشد

لقد نادى الغراب ببين لبنى — فطار القلب من حذر الغراب
وقال غدا تباعد دار لبنى — فقلت تعست ويحك من غراب
وكان الدهر سعيك في تباب — وتنأى بعد ودّ واقتراب

وتبعها حين ارتحلت ينظر اليها فلما غابت رجع فجعل يقبّل اثر
خفّها فليم على ذلك فانشد

فما احببت ارضكم ولكن — اقبّل اثر من وطئ الترابا
لقد لاقيت من كلفي بلبنى — بلاء ما اسيغ له شرابا
اذا نادى المنادي باسم لبنى — عييت فلا اطيق له جوابا

ولمّا جنّه الليل اوى الى مضجعه فلم يطق قرارا فجعل يتململ ويتمرّغ
في موضعها ويقول

بث والهم يا لبينى ضجيعي ... وجرت مذ نابت عني دمو[عي]
وتنفست إذ ذكرتك حتى ... زالت اليوم عن فؤادي ظلو[عي]
يا لبينى فدتك نفسي وأهلي ... هل لدهر مضى لنا من رجو[ع]

وقال قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف ... فقضي اللبانة ما قضيت فانـ[صرف]
قد كنت أحلف جهدي لا أفارقها ... أف لكثرة ذاك القيل والحـ[لف]
حتى تكنفني الواشون فافتتنت ... لا تأمنن أبداً من غش مكتـ[نف]
هيهات هيهات قد أمست مجاورة ... أهل العقيق وأمسينا على [سرف]
حي يمانون والبطحاء منزلها ... هذا لعمرك شكل غير مؤتـ[لف]

وأرسلت إليه يوماً أمة بنات يعين لبنى عنده ويلهينه بالتعرض لوصـ[الهن]

يقر بعيني قربها ويزيدني ... بها عجباً من كان عندي يعيـ[بها]
وكم قائل قد قال تب فعصيته ... وتلك لعمري توبة لا أتو[بها]
فيا نفس صبراً لست والله فاعلمي ... بأول نفس غاب عنها حبيـ[بها]

فلم ينصرفن ودمن على ما كن فيه فنادى يا لبنى فقلن ما لك فقال [قد]
خدرت رجلي وكان من المعلوم عند العرب أنه إذا خدرت الرجل [فذكر]
لها أحب الناس سكنت ثم قال

إذا خدرت رجلي تذكرت من لها ... فناديت لبنى باسمها ودعوت
دعوت التي لو أن نفسي تطيعني ... لفارقتها في حبها فقضيت
برت نبلها للصيد لبنى عشية ... وريشت بأخرى مثلها وبريت
فلما رمتني أقصدتني نبلها ... ولم أخطأتها بالسهم حين رميت
وفارقت لبنى ضلة وكأنني ... قرنت إلى العيوق ثم هويت
فيا ليت أني مت قبل فراقها ... وهل يرجعن فوت القضية ليت
فوطن لهلك منك نفساً فإنني ... لعلة ما بي يا ذريح قضيت

فلما اشتد شوقه وتمادى غرامه أفضى به الحال إلى أن لزم الوساد و
لاختلال العقل واشتغال البال لام الناس أباه على سوء فعله فجزع
وندم وجعل يتلطف به فأرسل إليه طبيباً وفتيات يسألون عن
حاله ويلهونه فلما أطالوا عليه أنشد

عند قيس من حب لبنى ولبنى ... داء قيس والحب صعب شديد
فإذا ما دعى له العوايد يوماً ... قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعودني ثم أقضي ... إنها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها ... داء خبل فالقلب منه عميد

فقال له الطبيب مذ كم هذه العلة بل كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت

تعلق روحي روحها قبل خلقنا … ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا واصبح ناميا … وليس اذا متنا بمنفصم العقد
ولكنه باق على كل حادث … وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

فقال انما يسليك عنها تذكر ما فيها من المساوي والمعايب وما تعافه النفس

اذا عبتها شبهتها البدر طالعا … وحسبك من عيب لها شبه البدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثلما … على الف شهر فضلت ليلة القدر
اذا ما مشت في هذه الارض ارجفت … من البهر حتى ما تزيد على شبر
لها كفل يرتج منها اذا مشت … ومتن كغصن البان منضم الخصر

وان اباه دخل وهو يخاطب الطبيب بذلك فجعل يؤنبه
ويلومه فلما لم يعد عن ذلك عرض عليه التزويج فانشد

لقد خفت ان لا تقنع النفس بعدها … بشيء من الدنيا وان كان مقنعا
وازجر عنها النفس ان حيل دونها … وتأبى اليها النفس الا تطلعا

فلما آيس منه استشار قومه في دائه فاتفقت اراؤهم ا
يأمروه بتصفح احياء العرب فلعل ان تقع عينه على امرأة

عقله فاقسموا عليه ان يفعل وانه اتفق ان نزل بحي من فزارة فراى جارية
قد حسرت عن وجهها برقع خز وهي كالبدر حسنا وبهجة فسأل عن اسمها
فقيل لبنى فسقط مغشيا عليه فارتاعت منه ونضحت على وجهه بالماء
وقالت ان لم يكن قيس فمجنون فلما افاق استنسبته فبان هو فاقسمت
عليه ان ينال من طعامها فتناول قليلا وركب فجاء اخوها على اثره فاعلمته
القصة فركب حتى استرده فاقسم عليه ان يقيم عنده شهرا فقال لقد شققت
علي واجاب فكان الفزاري يعجب به ويعرض عليه المصاهرة حتى لامته العرب
وقالوا نخشى ان يصير فعلك سبة فيقول دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغب
الكرام وقيس يقول له ان فيكم الكفاية ولكني في شغل لا ينتفع بي معه
فالح عليه حتى عقد له على اخته فدخل بها فاقام معها اياما لا تهش نفسه
اليها ولا يكلمها ثم استأذن في الخروج الى اهله فاذنوا له فخرج الى المدينة
وكان له بها صديق فاعلمه ان لبنى قد بلغها تزويجه فغمت لذلك وقالت
انه لغدار واني طالما خطبت فابيت والان اجيب هذا وان ابا لبنى
قد اشتكى قيسا الى معوية وانه يتشبب بابنته فكتب الى مروان بهدر دمه
وامره ان يزوج ابنته بخالد بن خلدة الغطفاني او هو كندي حليف فزر

فجعل النساء ليلة زفافها يغنينها

لبيني زوجها اصبح لا حر بواديه … له فضل على الناس وما باتت تناجيه
وقيس ميت حقا صريع في بواكيه … فلا يبعده الله وبعدا لنواعيه

فلما بلغ ذلك قيسا اشتد به الغرام فركب حتى اتى محلة قومها فقلن له النساء ما تصنع هنا فتمرغ به وانشد

الى الله اشكو فقد لبنى كما شكى … الى الله فقد الوالدين يتيم
يتيم جفاه الاقربون فجسمه … نحيل وعهد الوالدين قديم

وانشد حين بلغه هدر دمه

فان يحجبوها او يحل دون وصلها … مقالة واش او وعيد امير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا … ولن يذهبوا ما قد اجن ضميري
الى الله اشكو ما الاقي من الهوى … ومن كرب تعتادني وزفير
ومن حرق للحب في باطن الحشا … وليل طويل الحزن غير قصير
سابكي على نفسي بعين غزيرة … بكاء حزين في الوثاق اسير
وكنا جميعا قبل ان يظهر النوى … بانعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا … بطون الهوى مقلوبة بظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا … ولكنما الدنيا متاع غرور

وقال ايضا في المعنى

وان يك لبنى قد اتى دون قربها … حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا … ونبصر قرن الشمس حين تزول
وارواحنا بالليل في الحي تلتقي … ونعلم انا بالنهار نقيل
وتجمعنا الارض القرار وفوقنا … سماء نرى فيها النجوم تجول
الى ان يعود الدهر سلما وتنقضي … ترات براها عندنا وذحول

وحجت لبنى في تلك السنة فاتفق حجه ايضا فتلاقيا فابهت وارسلت اليه السلام مع امراة تستخبر عن حاله فاعاد السلام والسؤال وانشد

اذا طلعت شمس النهار فسلمي … فآية تسليمي عليك طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس اشرقت … وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها
ولو ابلغتها جارة قولي اسلمي … طوت حزنا وارفض منها دموعها

وحين انقضى الحج مرض مرضا انهكه فاكثر الناس من عيادته فجعل يتفكر في لبنى وعدم رؤيته لها فانشد

لبنى لقد جلت عليك مصيبتي … غداة غد اذ حل ما اتوقع

تمنيتني نيلاً وتلويتني به … فنفسي شوقاً كل يوم تقطع

الومك في شاني وانت مليمة … لعمري واجفى في المحب واقطع

لخبرت اني فيك مت بحسرة … فما فاض من عينيك للوجد مدمع

اذا انت لم تبكي علي جنازة … لديك فلا تبكي غداً حين ارفع

فحين بلغتها الابيات جزعت جزعاً شديداً وخرجت اليه خفية على ميعاد خوفاً عليه ان يهلك فان عندها ما عنده ولكنها اجلد قال الحافظ مغلطاي واخبرت لبنى بمرضه فقالت دفعاً للوهم انما …

فبلغه القصة فانشد

تكذبني بالود لبنى وليتها … تكلف مني مثله فتذوق

ولو تعلمين الغيب ايقنت انني … لكم والهدايا المشعرات صديق

تتوق اليك النفس ثم اردها … حياءً فمثلي بالحياء حقيق

اذود سوام النفس عنك وما لها … على احد الا عليك طريق

وانك قسمت الفؤاد فنصفه … رهين ونصف في الحبال وثيق

كان الهوى بين الحيازيم والحشا … وبين التراقي واللهاة حريق

فان كنت لما تعلمي الغيب فاسألي … وبعض لبعض في الفعال يفوق

سلي هل قلاني من خليل صحبته … وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق

وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي … اذا اغبر مخشي الفجاج عميق

واكتم اسرار الهوى فاميتها … اذا باح مزاح بهن بروق

هل الصبر الا ان اصد فلا ارى … بارضك الا ان يكون طريق

وروي ان قيساً اشترى ناقة من اهله وقصد المدينة ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه ثم قال له ائتني غداً في دار كثير ابن الصلت اقبضك الثمن فجاء وطرق الباب فادخله وقد صنع طعاماً وقام لبعض حاجته فقالت المرأة لخادمتها سليه ما بال وجهه متغيراً شاحباً فتنفس الصعداء ثم قال هكذا من فارق الاحبة فقالت استخبره عن قصته فشرع يحكي امره فرفعت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها لا ينطق ساعة ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال ما بالك ألم تقبض مالك وان شئت زدناك فلم يكلمه ومضى فدخل الرجل فقالت له امرأته ما هذا الذي فعلت انه قيس فحلف انه لم يعرفه فانشد قيس مغاضباً نفسه

أتبكي على لبنى وانت تركتها … وكنت عليها بالملا انت اقدر

فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت … فللدهر والدنيا بطون وظهر

كأني في أرجوحة بين أحبل	إذا ذكرت منها على القلب تخط

وقيل انه حين جاء ليقبض ثمن المطية رأى لبنى فعاد مبهوتاً فسأله ال
فقال لا تركب لي مطيتين فقال انت قيس قال نعم قال ارجع لتخيّرها
فإن اختارتك طلقتها وظن الرجل انها تبغض قيساً فخيرها فاختارت
قيساً فطلقها لوقته وحكي ان سبب طلاقها ان قيساً قصد ابن ابي عتيق
وكان اكثر اهل زمانه مروة فجاء الى الحسن والحسين عليهما السلام واعلم
ان له حاجة عند زوج لبنى وطلب ان يجدانه عليه فمضيا معه حتى
اجتمعوا به فكلموه في ذلك فقال سلوا ما شئتم فقال له ابن ابي عتيق
اهلاً كان او مالاً قال نعم فقال اريد ان تطلق لبنى ولك ما شئت
فقال اشهدكم انها طالق ثلاثاً فاستحيوا منه وعوضه الحسن مائة الف
درهم وقال له لو علمت الحاجة ما اجبت ويروى ان لبنى حين عا
قيساً على تزويج الفزارية حلف لها ان عينه لم تكتحل برؤيتها و
يكلمها لفظة واحدة وانه لو رآها لم يعرفها ثم كاتبت زوجها
انها لم تتزوجه رغبة فيه بل شفقة على قيس حين اهدر دمه ليحل
فطلقها حين علم ما بينهما فارسل اخو الفزارية الى قيس حين ابى

عنده بسالة الرجوع فاعاد الرسول بالخبار في امر اخته فاختار الرجل
عدم الفرقة وقصد قيس معوية فمدحه فرق له وكان ذلك قبل طلاق
لبنى فقال له ان شئت كتبت الى زوجها بطلاقها فقال لا ولكن
اذن لي ان اكون ببلدها ففعل فنزل قيس حين زال هدر دمه بحيها
وتظافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض واحزابهما فرق
الناس له هذا ولما طلقت لبنى نقلت الى العدة بامر ابن ابي عتيق
فمن ذاهب الى انها اكملت عدتها وتزوجها واقاما بدليل مدحه لابن ابي عتيق حين قال

جزى الرحمن افضل ما يجازي	على الاحسان خيراً من صديق
فقد جربت اخواني جميعاً	فما الفيت كابن ابي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع	ورأي جرت فيه عن الطريق
وأطفى لوعة كانت بقلبي	أغصتني حرارتها بريقي

ومن ذاهب وهم الاكثرون الى انها ماتت في العدة وان مدحه
لابن ابي عتيق حين لم يتلك في عودها اليه وقد نهاه عن هذا وقال
من سمع هذا يعتني قوّاداً والقائلون بموت لبنى في العدة اجمعوا
ان قيساً خرج حين بلغه ذلك حتى وقف على قبرها وانشد

ماتت لبينى فموتها موتي / هل تنفعن حسرة على الفوت

اني سابكي بكاء مكتئب / قضى حيوة وجدا على ميت

ثم بكى حتى اغمي عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن الى جانبها وكان ذلك في سنة وله فيها اشعار كثيرة منها ما حكاه الشهاب في منازل الاحباب عن ابي العباس على تردد في انه لابن الدمينة

وفي عروة العذري ان مت اسوة / وعمرو ابن عجلان الذي قتلت هند

وبي مثل ما ماتا به غير انني / الى اجل لم ياتني وقته بعد

ومنها لقد عنيتني يا حب لبنى / فقع اما بموت او حياة

فان الموت ايسر من حياة / منغصة لها طعم الشتات

وقال الامرون تعز عنها / فقال نعم اذا حانت وفاتي

ومنها فما وجد وجدي بها ام واحد / ولا وجد النهدي وجدي على هند

ولا وجد العذري عروة في الهوى / كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

ومنها لو ان امرا اخفى الهوى عن ضميره / لمت ولم يعلم بذاك ضميري

ولكن سالقى الله والنفس لم تبح / بسرك والمستخبرون كثير

ومنها عفا سرف من اهله فسراوع / فجنبا اريك فالبلاد الدوافع

فغيقة فالاخياف اخياف ظبية / لها من لبينى مخرف فمرابع

لعل لبينى ان يحم لقاؤها / ببعض بلاد ان ما حم واقع

بجزع من الوادي خلا انيسه / عفا وتخطته العيون الخوادع

ولما بدا منها الفراق كما بدا / بظهر الصفا الصلد الشقوق الشوارع

تمنيت ان تلقى لبيناك والمنى / تعاصيك احيانا وحينا تطاوع

وما من حبيب وامق لحبيبه / ولا ذي هوى الا له الدهر فاجع

وطار غراب البين وانشقت العصا / لبين كما شق الاديم الصوانع

الا يا غراب البين قد طرت بالذي / احاذر من لبنى فهل انت واقع

وانك لو ابلغتها قولي اسلمي / طوت حزنا وارفض منها المدامع

اتبكي على لبنى وانت تركتها / وكنت كآت غيه وهو طائع

فلا تبكين في اثر شيء ندامة / اذا انتزعته من يديك النوازع

فليس لشيء حاول الله جمعه / مشتت ولا ما فرق الله جامع

كانك لم تقنع اذا لم تلاقها / وان تلقها فالقلب راض وقانع

فيا قلب خبرني اذا شطت النوى / بلبنى وصدت عنك ما انت صانع

اتصبر للبين المشت مع الجوى / ام انت امرؤ ناسي الحياء فجازع

فما أنا إن بانت لبينى بهاجع   إذا ما استقلت بالنيام المض
وكيف ينام المرء مستشعر الجوى   حليف الأسى فيه نكاس رو
فلا خير في الدنيا إذا لم تواتنا   لبينى ولم يجمع لنا الشمل جا
أليست لبينى تحت سقف يكنها   وإياي هذا إن نأت لي نا
ويلبسنا الليل البهيم إذا دجى   ونبصر ضوء الصبح والفجر سا
تطا تحت رجليها بساطا وبعضه   أطاه برجلي ليس يطويه خا
وأفرح إن تمسي بخير وإن يكن   بها الحدث العادي ترعني الر
كأنك بدع لم تر الناس قبلها   ولم يطلعك الدهر فيمن يط
وقد كنت أبكي والنوى مطمئنة   بنا وبكم من علم ما البين صا
وأهجركم هجر البغيض وحبكم   على كبدي منه كلوم صو
فوا كبدي من شدة الشوق والأسى   ووا كبدي إني إلى الله را
وأعجل للإشفاق حتى يشفني   مخافة شحط الدار والشمل
وأعمد للأرض التي من ورائكم   لترجعني يوما إليك الرو
فيا قلب صبرا واعترافا لما ترى   ويا حبها قع بالذي أنت وا
لعمري لمن أمسى وأنت ضجيعه   من الناس ما اختيرت عليه ال

ألا إنما لبنى قد تراخى مزارها   وللبين غم ما يزال ينازع
إذا لم يكن إلا الجوى فكفى به   جوى حرق قد ضمنتها الأضالع
أبائنة لبنى ولم أقطع المدى   بوصل ولا صرم فييأس طامع
نهاري نهار الوالهين صبابة   وليلي تنبو فيه عني المضاجع
وقد كنت قبل اليوم خلوا وإنما   تقسم بين العاشقين المصادع
ولولا رجاء القلب أن تعطف النوى   لما حملته بينهن الأضالع
له وجبات إثر لبنى كأنها   شقائق برق في السحاب لوامع
نهاري نهار الناس حتى إذا دجى   لي الليل هزتني إليك المضاجع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى   ويجمعني بالليل والهم جامع
إذا نحن أنفدنا البكاء عشية   فموعدنا قرن من الشمس طالع
وللحب آيات تبين للفتى   شحوب وتعرى من يديه الأشاجع
وما كل ما منتك نفسك خاليا   تلاقي ولا كل الذي انت بايع
تداعت له الأحزان من كل وجهة   فحن كما حن الطيور السواجع
فجانب قرب الناس يخلو بهمه   وعاوده فيها هيام مراجع
أراك اجتنبت الحي من غير بغضة   ولو شئت لم تجنح إليك الأصابع

كأنّ بلاد الله ما لم تكن بها	وإن كان فيها الناس قفر بلاقع
ألا إنما أبكي لما هو واقع	وهل جزع من وشك بينك نافع
لحال علي الدهر من كل جانب	ودامت فلم تقلع علي الفجائع
فمن كان محزونا غدا لفراقنا	فليبك ملالا لما هو واقع

أخبار المجنون وصاحبته ليلى قد اختلف في اسمه هل هو عامر أو مهدي أو الأقرع أو معاذ وقيس أبوه أو ابن الملوح أو البحتري ابن الجعد الصحيح الأول لإشارة عارف الوقت وفي نسبه عامري أو كلابي جعدي أو قشيري أو المجانين متعددة أو هم اثنان في بني عامر أو لم يكن أحد وإنما امرؤ تعشق فاستكبر أن يصرح باسمه واسم محبوبته فنوه بالمجنون وليلى والصحيح أنه من بني عامر وهو عامر ابن الملوح ابن مزاحم يتصل نسبه عند صاحب الأغاني إلى كعب ابن ربيعة ابن صعصعة كان مليح القامة جعد الشعر أبيض اللون ولم يزل به الهزال والجنون وتغير اللون إلا من العشق وصاحبته ليلى هي بنت مهدي ابن سعد يتصل نسبه في كعب ابن ربيعة وكنيتها أم مالك وهذا أخذ من قوله ذلك في شعره كثيرا كقوله

تكاد بلاد الله يا أم مالك	بما رحبت يوما علي تضيق

وهذا كالاستدلال لهم بأن اسم أبيه ملوح وأنه مات قبل اختلاط عقله

فعقر عليه ناقته بقوله

عقرت على قبر الملوح ناقتي	بذي السرح لما أن جفاه أقاربه
وقلت لها كوني عقيرا فإنني	غداة غد ماش وبالأمس راكبه
فلا يبعدنك الله يا ابن مزاحم	فكل امرئ للموت لا بد شاربه

ويروى بإسقاط هاء النكت وحذف البيت الأخير وذكروا أن سبب محبته لليلى أنه مر يوما على ناقة له وعليه حلتان من حلل الملوك بامرأة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فأعجبهن فاستنزلنه للمنادمة فنزل وعقر لهن ناقته وأقام معهن بياض اليوم فأقبل فتى اسمه منازل يسوق غنما فانصرفن وتركن المجنون فقام مغضبا وأنشد

أأعقر من جرا كريمة ناقتي	ووصلي مقرون بوصل منازل
إذا جاء قعقعن الحلي ولم أكن	إذا جئت أخفقوا أصوات تلك الخلاخل

فقوله من جرا كريمة يعني من أجلها وكريمة اسم المرأة التي كن عندها وروي ووصلي مفضول أي دون وصل منازل وهو الأليق بالقافية

٩٥

إذا جاء فعقعق الحلي ولم يكن ... إذا جئت بل أخفين صوت الخلاخل

وهذا هو اللائق ولم يؤخذ من البيت السابق وقيل تداعبا الى الصراع
والصراع فقال له المجنون قم الى حيث يرونك ولا تراهن فافعل وانا
إذا ما انتضلنا في الخلاء نضلته ... وإن يرم رشقا عندها فهو ناضلي

فعلى هذا يكون ضمير عندها عائد على النسوة وهذا دليل على شدة انخجا

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ... الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

وقال له ما دمت تنظر اليهن فانك تغلبني وهذا على حد قوله

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي ... فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

قلت هذا ما نقل في الأصل ولا دليل فيه على تعلقه بليلى وا
الدليل فيما رواه صاحب نزهة المشتاق قال لما دعته النسوة الى
النزول نزل وجعل يحادثهن ويقلب طرفه حتى وقعت عينه على ليلى
فلم يصرف عنها طرفا وشاغلته فلم يشتغل ثم قال لها أما عندكما ما يؤكل
قالت لا فعمد الى الناقة فنحرها وقطعها وجاءته لتمسك معه اللحم
يجزه بالمدية في كفه وهو شاخص فيها حتى أغرق كفه فجذبتها من
ولم يدر ثم قال لها أما تأكلين الشواء قالت نعم فطرح من اللحم شيئا على

الغضا وأقبل يحادثها فقالت له انظر الى اللحم هل استوى أم لا فمد
يده الى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر فلما علمت ما
داخله صرفته عن ذلك ثم شدت يده بهدب قناعها ثم ذهب وقد تحكم
عشقها من قلبه وقيل انها بعد هذا المجلس استدعته الى المحادثة وقد
داخلها الحب فقالت له هل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف
فقال ومن لي بذلك ثم نزل وعقر ناقته كما مر وانها كانت مغرمة
بأحاديث الناس والأشعار وكان هو أروى الناس لذلك فكانت
تستدعيه لتستمع منه وكان يجيبها الى ذلك فتداخلت بينهما المحبة
وفي نديم المسامرة أنهما انتشأ صغيرين يرعيان الغنم فتحابا والفها
حجبت عنه فداخله جنون وعلى كل الطرق لا أعرف كل منهما ما عنده
الآخر وتمكنت المحبة منهما جعل يأتيها نهارا أقبل الحجب ويذهب ليلا

وفي ذلك يقول

فهاري نهار الناس حتى إذا بدا ... لي الليل هزتني اليك المضاجع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني بالليل والهم جامع

قلت وقد تقدم أن البيتين لقيس ابن ذريح وصرح في نزهة العشاق

بذلك وقيل ان المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح فانهما كانا
متعاصرين حكى نوفل في الاغاني ان قيسا مر بالمجنون وهو في مبادي
مخالطة العقل والانفراد وكان كل منهما يحب لقاء صاحبه فسلم عليه
فلم يرده فعرفه بنفسه فقام اليه واعتنقه وتباكيا فاشتكى كل الى
الاخر ما عنده فقال المجنون لقيس ان حي ليلى قريب فهل لك ان
تبلغها سلامي فمضى حتى وقف بها ونسب نفسه فتعارفا وبلغها
واخبرها ان وجدها به اعظم ولكن قالت انا غانية عليه حيث يقول

اتت ليلة بالغيل يا ام مالك ... لكم خبر حق صادق ليس بكذب
الا انما ابقيت يا ام مالك ... صدى اينما تذهب به الريح يذهب

فاي ليلة كانت ومتى اختليت معه بالغيل او غيره فقال لها تحملي على
قول الناس فلم يرد سوءا وانصرف قيس الى الخيمة فلم يجده وكان المجنون
عند ابيه اعظم منزلة من اخوته وكان ابوه ذا ثروة فدفع له خمسين
بعيرا ورعاتها في مهر ليلى فلم يقبل ابوها مع انه كان دونهم لما
مر من ان العرب كانت تكره تزويج اثنين انتشرت اخبارهما بالحب
فزوجها بينه وبين رجل اسمه ورد فهددوها على ان تختار ورد

تفعلن كارهة وفي ذلك يقول المجنون

الا يا ليل ان ملكت فينا ... خيارك فانظري لمن الخيار
ولا تستبدلي منا دنيا ... ولا برما اذا حب القتار
يهرول في الصغيرة ان رآها ... وتعجزه ملمات كبار
فمثل تأيم منه نكاح ... ومثل تمول منه افتقار

وابصر يوما في طريقه الى زيارتها جارية عسرا فتطير وانشد

وكيف ترجى وصل ليلى وقد جرى ... بجد القوى من ليل اعسر حاسر
صريع العصى جذب الزمان اذا التحى ... لوصل امرء لم تقض منه الاواطر

وشكى ذلك اليها فقالت لا باس عليك والله لا اجتمعت بغيرك الا كارهة
وكانت قد امتحنته لتنظر ما عنده من المحبة لها فدعت شخصا بحضرته
فسارته وصرفت وجهها عنه الى غيره ثم نظرت اليه فقد تغير حتى كاد ان يتقطر فانشد

كلانا مظهر للناس بغضا ... وكل عند صاحبه مكين
واسرار الملاحظ ليس تخفى ... وقد تغري بذي اللحظ العيون

فسر بذلك حتى كاد يذهب عقله فانصرف وهو يقول

اظن هواها تاركي بمضلة ... من الارض لا مال لدي ولا اهل

تحاجبها حب الاولى كن قبلها … وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

وخرج يوما في سفر مع قوم فافضت الطريق الى مسلكين احدهما يمر
برهط ليلى ولكنه يزيد بمرحلة فتقدم الى القوم ان يسلكوها او يكونوا
له حتى يرجع فابوا عليه فقال انشدكم الله لو ان شخصا تحرم بكم فضل
بعيره اكنتم تسعفونه قالوا نعم فقال ان ليلى لاعظم من ذلك وانشد

أتترك ليلى ليس بيني وبينها … سوى ليلة اني اذا لصبور
هبوني امرأ منكم اضل بعيره … له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المتروك اعظم حرمة … على صاحب من ان يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها … اذا وليت حكما علي تجور

واستنشد شخصا عن عروة ابن حزام فاخبره بحاله وانه مات بالحب
فتعجب من كثرة ذكر الناس له مع حسن حاله في العشق وانشد

عجبت لعروة العذري امسى … احاديثا لقوم بعد قوم
وعروة مات موتا مستريحا … فها انا اموت بكل يوم

ولما اشتهر امرهما في العرب وشاع شعره فيها منعه اهلها الزيارة
وكان في حي ليلى امراة من بني عامر قد تزوجها رجل من قريش ومات

عنها وقد تركت لها صبية وكان بابنها المجنون يتعرف منها اخبار ليلى
فبلغ اهلها ذلك فزجروا المراة وجاء المجنون فاخبرته فانشد متمثلا
ببيت امرء القيس وضم اليه ثانيا وهما

أجارتنا انا غريبان ها هنا … وكل غريب للغريب نسيب
فلا تزجريني عنك خيفة كاشح … اذا قال شرا او اخيف لبيب

لم تركها وكان يأتي عقيب لاني الحي فلما علموا بذلك شكوه الى مروان
فكتب الى عامله يهدر دمه اذا وجد عند ليلى فقرؤوا عليه ذلك فانشد

لئن حجبت ليلى وآلى اميرها … علي يمينا جاهدا لا ازورها
واوعدني فيها رجال ابوهم … ابي وابوها خشنت لي صدورها
على غير شيء غير اني احبها … وان فؤادي عند ليلى اسيرها

فلما ايس من زيارتها قلق لذلك قلقا ادى الى زوال عقله فهام على
وجهه يلعب بالتراب والعظام لا يعقل غير ذكرها وانها جزعت له
جزعا ادى الى سقمها فحج بها اهلها فرآها ثقفي فخطبها اليهم فاجابوا
بعد ان تذوقوا جماعة ونمي الى المجنون ذلك فانشد

الا ان ليلى العامرية اصبحت … تقطع الا من ثقيف حبالها

هم احبسوها محبس البدن وابتغى … بها المال اقوام الا قل ما لها
اذاما التفت والعيس صعر من البرى … من العين خلى عبرة العين حالها

وحين تحقق عنده تزويجها انشد

الا ايها البيت الذي لا ازوره … وان حله شخص الي حبيب
هجرتك اشفاقا وزرتك خائفا … وفيك على الدهر منك رقيب
سأستعتب الايام فيك لعلها … بيوم سرور في الزمان تثوب
وافردت افراد الطريد وباعدت … الي النفس حاجات وهن قريب
لئن حال يأس دون ليلى فربما … اتى اليأس دون الامر وهو قريب
ومنيتني حتى اذا ما رأيتني … على شرف للناظرين يريب
صددت واشمت العدو بصرمنا … اثابك يا ليلى الجزاء مثيب

وبقي ابيات من هذه القصيدة لاخرها الان لها حكاية وحين بلغه ان زوجها عزم على الرحيل معها انشد

كأن القلب ليلة قيل يغدى … بليلى العامرية او يراح
قطاة عزها شرك فباتت … تجاذبه وقد علق الجناح
فلا في الليل نالت ما ترجى … ولا في الصبح كان لها براح

وفي شرح الناظر عن الامالي قال اجتمع الى المجنون عزوة من قومه ممن كان ينادمه حال صحته وقد ذهب به حين تمتا الثقفي بليلى فعزموا على ان يسافروا به متنزهين في احياء العرب ليذهب ما به فساروا وهو معهم تعاوده الصحة دورا والجنون اخرى واذا يردونه كل متنزه يعرضون عليه بنات العرب كل من اجمع على حسنها وانهم غفلوا عنه ليلة ثم افتقدوه ورأوه قد ذهب فركب ابن عم له في طلبه فرآه عند مشرعة وبين يديه ظبية لا حراك بها وهو يمسح عنها التراب ويقبلها ويبكي فقال له اذهب بنا فلم يجبه فقال اذهب لنتم بليلى فقام معه فلما جاء الى اصحابه جلس متفكرا لا يخاطبهم حتى جاء الليل فلما كان السحر هبت نسمة وابرق برق مما يلي نجد فانشد

طربت وشاقتك الحمول الدوافع … غداة دعى بالبين اسفع نازع
شحا فاه نعبا بالفراق كأنه … حريب سليب نازح الدار جازع
فقلت الا قد بين الامر فانصرف … فقد راعنا بالبين قبلك رائع
سقيت سماما من غراب فانني … تبينت ما اخبرت اذ انت واقع
الم تر اني لا محب الومه … ولا ببديل بعدها انا قانع

الم تر دار الحي في رونق الضحى / بحيث انحنت للهضبتين الاجارع
وقد يتنائى الالف من بعد الفه / ويصدع ما بين الخليطين صادع
وكم من هوى او جيرة قد الفتهم / زمانا فلم يمنعهم البين مانع
كاني غداة البين ميتة حوية / لخوطما اسدت عليه المشارع
تخلص من اوصال ماء صبابة / فلا الشرب مبذول ولا هو نافع
وبيض تطلى بالعبير كانها / نعاج الملا جيبت عليها البراقع
تحملن من وادي الاراك واوضعت / لهن باطراف العيون المرابع
فما من ربع الدار حتى تشابهت / هجائنها والجون منها الجوامع
وحتى حملن الحور من كل جانب / وخاضت سدول الليل منها الخوالع
فلما استوت تحت الخدور وقد جرى / عبير ومسك بالعرانين رادع
اشرن بان حثوا الجمال فقد بدا / من الصيف يوم لافح الحر مانع
فلما لحقنا بالحمول تباشرت / بنا مقصرات غاب عنها المطالع
يعرضن بالدل المليح وان يرد / جناهن مشغوف فهن موانع
فقلت لاصحابي ودمعي مسبل / وقد صدع الشمل المشتت صادع
اليلى بابواب الخدور تعرضت / لعيني ام قرن من الشمس طالع

ومرض قبل الاختلاط فقلق شديدا ودخل عليه جماعة او هو ابوه للعيادة فسمعوه ينتحب باشد تحرق وينشد

الا ايها القلب الذي لج هائما / بليلى لم تقطع تمائمه
افق قد افاق العاشقون وقد انى / لما بك ان تلقى طبيبا تلائمه
فما لك مسلوب العزاء كانما / ترى نأي ليلى مغرما انت غارمه
اجدك لا تنسيك ليلى ملمة / تلم ولا ينسيك عهدا تقادمه

وليدا

فاستتر واحتى اتم نشيده ودخلوا عليه فحادثوه في السلو فزاد في الهيام ولما عوفي جعل يعاود موضعها ويتمرغ بالتراب ويبكي وعزم على التوحش والخروج فراجعه ابن عم له في ذلك وكان يعزم عليه ان لا يفعل ويشاغله الى ان بلغه ان ليلى دخلت الى جارة لها فنضت اثوابها واغتسلت ونظرت الى نفسها وقالت ويح ابن الملوح لقد علق بي عظيما على غير استحقاق فانشدك الله اصادق هو في وصفي ام كاذب فقالت بل صادق ثم خرجت من عندها وعادت لاخذ سواك نسيته فلما صار في يدها قالت سقى الله من اعطانيه فقالت لها جارتها ومن اعطاكه فقالت قيس فخرج هائما وانشد

بُنيتُ لبلى وقد كنا بساحتها || قالت سقى الله منه منزلاً خرِبا
قالت لجارتها يوماً تسائلها || لما استحمت والقت عندها السلبا
وحبذا راكبٌ كنا نهشُّ له || يهدي لنا من اراك الموسم القضبا
يا عمرك الله الا قلت صادقةً || اصادقٌ وصفهُ المجنون ام كذبا

وقيل انما كان خروجه من نظرة اليها يوم رحلها زوجها او قومها حين بلغهم زيارته لها وكان حضوره يوم رحيلها على خيفةٍ رجاء ان يبكي ما به فراغ واختشى قومه ان يفتضح فيقتل لما تقدم من انه كان هدد ان دخل الحي وحده فقال الموت اولى وخرج على وجهه **وعن الهيثم بن عدي** عن رجل من بني عامر او هو رباح ابن سعد ابن اثالة قال خرجت اثر سماء اربعنا بها واخصبت الارض بعد الجدب فبينا انا بجانب وادي النقا اذ لاح لي شخص الى جانب حجر يبكي فقصدته وسلمت عليه واذا هو المجنون فقلت ما يبكيك فقال هذا السيل ثم تنفس الصعداء وانشد الابيات التي وعدنا بها وهي تمام القصيدة التي اولها الا ايها البيت

قيل انشد الكل بذلك الوقت

جرى السيل فاستبكاني السيل اذ جرى || وفاضت له من مقلتيّ غروبُ
فما ذاك الا حين ابنت انه || يكون بوادٍ انت منه قريبُ
يكون اجاجاً دونكم فاذا انتهى || اليكم تلقى طيبكم فيطيبُ
فيا ساكني اكناف نخلة كلكم || الى القلب من اجل الحبيب حبيبُ
اظل غريب الدار في ارض عامرٍ || الا كل مهجورٍ هناك غريبُ
وان الكئيب الفرد من جانب الحمى || الي وان لم آته لحبيبُ
ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر || حبيباً ولم يطرب اليك حبيبُ

وقيل ان اخر مجلس للمجنون من ليلى انه لما اختلط عقله وعزوا عليه وتوحش جاءت امه اليها فاخبرتها بذلك وسالتها ان تزوره فعساها ان تخفف ما به فقالت لها اما نهاراً فمتعذرٌ خيفة اهلي وسآتيه ليلاً فلما امكنتها الفرصة اتته وهو مطرقٌ يهذي فسلمت عليه

ثم قالت له

لخبرت انك من اجلي جننت وقد || فارقت اهلك لم تعقل ولم تفقِ

فرفع راسه اليها وانشد

قالت جننت على راسي فقلت لها || الحب اعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه || وانما يصرع الانسان في الحين

نادعليهما في نديم المسامرة

لو تعلمين إذا ما غبت ما سقمي | وكيف تسهر عيني لم تلوميني

ثم فارقته فهام من ثم مع الوحش وقيل سئل عن سبب خروجه فقال
لقيتها يوماً فشكوت إليها ما نزل بي من حبها وقلت إن لم ترحميني ذهب
عقلي فقالت هو المطلوب فتممت لمرادها وقيل كان هيامه مقاصة لقولها

فقضاها لغيري وابتلاني بحبها | فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

ثم إن الأسانيد الصحيحة والإشارات المتظافرة دلت على أنها كانت
من الغرام به والميل إليه أيضاً بمنزلة عظيمة حكى رباح بن عامر وكان
من الحويثيين قال رحلت عن نجد أريد الشام فأصابني مطر عظيم
فقصدت خيمة رفعت لي فإذا أنا بامرأة فسألتها التظليل فأشارت إلى
ناحية فدخلت وقد أقبل رعاة وإبل وغنم كثيرة ثم قالت للعبيد سلوه
من أين الرجل فقلت من نجد فتنفست الصعداء فقالت نزلت بمن
فقلت بني الحريش وفي رواية بني جعدة فرفعت ستارة كانت بيننا
وإذا بامرأة كأنها القمر ثم قالت أتعرف رجلاً فيهم يقال له قيس
يلقب بالمجنون قلت إي والله سرت مع أبيه حتى أوقفني عليه
وهو مع الوحش لا يعقل إلا إذا ذكرت له ليلى فبكت حتى أغمي عليها
فقلت مما تبكين ولم أقل الأخيرة فقالت أنا والله ليلى المشومة عليه
غير المساعدة له أو قالت غير المكافئة والمواسية له ثم أنشدت

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة | متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسي من لا يستقل بنفسه | ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع

فلما آيس من ليلى حين ارتحلت مع زوجها واشتد هيمانه اجتمعوا قومه
أن يتقدموا إلى أبيه في حمله إلى مكة فلعل الله أن يخفف عنه ففعل
وسار معه ابن عمه زياد بن كعب فمروا بحمامة على دوحة تنوح فوقف
المجنون صاغياً لها وتخلف معه ابن عمه فقال له سر بنا فقد بعد الرفاق فتنفس الصعداء

وأنشد

لئن هتفت يوماً بواد حمامة | بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر
دعت ساق حر بعدما علت الضحى | فهاج لك الأحزان إن ناح طائر
تغني الضحى والصبح في مرجحنة | كثاف الأعالي تحتها الماء حائر
كأن لم يكن بالغيل أو بطن أيكة | أو الجزع من تول الإشاءة حاضر
يقول زياد إذ رأى الحي هجروا | أرى الحي قد ساروا فهل أنت سائر
وإني وإن غال التقدم حاجتي | ملم على أوطان ليلى فناظر

فنظر الى الناس وهم يدعون ربهم محرمين فانشد

دعى المحرمون الله يستغفرونه ... بمكة وهنا ان تمحى ذنوبها
ونادیت ان یا رب اول سؤلتي ... لنفسي ليلى ثم انت حسيبها
فان اعط ليلى في حياتي لا يتب ... الى الله خلق توبة لا اتوبها

فزجره ابوه عن ذلك وامره ان يدعو الله ان ينسيه ذكرها واخذه حتى اسكنه استار الكعبة ثم قال له قل اللهم انسني ذكرها وامح من قلبي حبها فقال اللهم اجمعني بها وادم فيّ حبها وزدني بها كلفا وفيها تلفا وانشد مكملا للابيات السابقة

يقر بعيني قربها ويزيدني ... بها عجبا من كان عندي يعيبها
فكم قائل قد قال تب فعصيته ... وتلك لعمري توبة لا اتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلمي ... بأول نفس غاب عنها حبيبها

اجتمع الناس بمنى سمع هاتفا يهتف بليلى فخر مغشيا عليه الى الصباح ثم افاق متغيرا حائل اللون وانشد

عرضت على قلبي العزاء فقال لي ... من الآن فايأس لا اعزك من صبر
اذا بان من تهوى واصبح نائيا ... فلا شيء اجدى من حلولك في القبر

وداع دعى اذ نحن بالخيف من منى ... فهيج احزان الفؤاد وما يدري
دعى باسم ليلى ضلل الله سعيه ... وليلى بارض عنه نازحة قفر

ثم انساب منهم وكانت هذه سياحته الكاملة فجعل يقتات بعشب البر حتى طالت اظفاره وغطاه شعره فألفته الوحوش وكان يرد الماء معها ثم يهيم على وجهه حتى يقع بالشام فيرى اقواما وارضا ينكرها فيقول اين جبل توباد من ارض بني عامر وهو جبل كان يرعى هو وليلى عنده الغنم فيقولون له اين انت من توباد ويعرضون عليه الثياب والطعام فيأبى ويقول دلوني عليه فيرحمونه ويقولون له اتبع نجم كذا يوصلك اليه فيمضي حتى يقع باليمن فيكون له مثل ذلك الى ان يظفر احيانا بالجبل فينشد حين ينظره

وأجهشت للتوباد حين رأيته ... وكبر للرحمن حين رآني
واذريت دمع العين لما عرفته ... ونادى بأعلى صوته ودعاني
فقلت له قد كان حولك جيرة ... وعهدي بذاك الصرم منذ زمان
وقلت له اين الذين عهدتهم ... بقربك في خفض وطيب امان
فقال مضوا واستودعوني ديارهم ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

وانّي لأبكي اليوم من حذري غدًا … فراقك والحيّان مؤتلفان
سجالًا وتهتانًا ووبلًا وديمةً … وسحًّا وتسجالًا وتهملان

وعن قحذم من قيس او هو رباح ابن مالك قال لمّا اخذ المجنون الى مكّة للاستشفاء كما مرّ مررت يومًا واذا انا بجماعة قد تعلّقوا بشخص متغيّر اللون ناحل البدن وقد همّ ان يلقي نفسه من جبل فسألت عنه فاذا هو المجنون خرج ليستنشم صبا نجد فقلت على ما تحبسونه قالوا نخاف ان يجني على نفسه ولو تقدّمت اليه فاخبرته انك من نجد لسكّنت روعه ففعلت فجعل يسائلني عن موضع موضع ويبكي احرّ بكاء ثم انشد

ألا حبّذا نجد وطيب ترابها … وارواحها ان كان نجد على العهد
ألا ليت شعري عن عوارضتي قنا … لطول الليالي هل تغيّرتا بعدي
وعن جارتينا بالتبيل الى الحمى … على عهدنا ام لم يدوما على العهد
وعن علويّات الرياح اذا جرت … بريح الخزامى هل تهبّ على نجد
وعن اقحوان الرمل ما هو صانع … اذا هو اسرى ليلةً بثرى جعد
وهل اسمعنّ الدهر اصوات هجمة … تطالع من وهد خصيب الى وهد
وهل انفضنّ الدهر افنان لمّتي … على لاحق المتنين مندلق الوخد

ومرّ يومًا على جبلي نعمان وهو موضع من نجد به جبلان ليسا بالعظيمين بينهما فاصل كبير فقال لرفقته معه هذا مكان بقرب منزل كانت تنزله ليلى قال فايّ الرياح تهبّ به قالوا الصبا فحلف لا يبرح من مكانه حتى تهبّ فمضوا وتركوه ثم عادوا بعد ثلاث فاقاموا معه حتى هبّت فانشد

ايا جبلي نعمان بالله خلّيا … نسيم الصبا يخلص اليّ نسيمها
فانّ الصبا ريح اذا ما تنسّمت … على نفس مهموم تجلّت همومها
اجد بردها او تشف منّي حرارةً … على كبد لم يبق الّا صميمها
الا انّ اشواقي بليلى قديمة … واقتل داء العاشقين قديمها

قلت قال في النزهة بعد ذكر هذه الابيات انّ ابا الفرج ابن الجوزي تزوّج امرأة اسمها نسيم الصبا فاقام معها مدّة ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها فاشتدّ بها كلفه وزاد غرامه وراسلها فابت عليه وطال بينهما الامر وانها حضرت مجلس وعظه يومًا فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجاريتين فتنفّس الصعداء وانشد ايا جبلي نعمان الابيات فاستحيت ثم ذهبت وقد داخلتها الرقّة له فحكت لبعض النساء ذلك فمضين واخبرنه فراسلها فاجابت فتزوّج بها ومرّ يومًا بعدما تمكّن منه التوحّش بليلى ظاعنة فلمّا

رآها سقط مغشيًا عليه فأخذه بعض قومها فمسح عنه التراب وسألوها أن
تكلمه برفق عليه فاستعذرت من الخوف فأرسلت امرأة تأمنها بالسلام وإلا
والا سيعذرونها ولولا الخوف لأتته فلما بلغته المرأة ذلك ثاب إليه عقله وأنشد

أقول لأصحابي هي الشمس ضوءها … قريبٌ ولكن في تناولها بعدُ
لقد عارضتنا ريح ليلى بنفحةٍ … على كبدي من طيبها لرواحها برد
فمازلت مغشيًا عليّ وقد مضت … أناةٌ ولا عندي جوابٌ ولا ردّ
أقلّب بالأيدي وأهلي بعولةٍ … يفدّونني لو يستطيعون أن يفدوا
ولم يبق إلا الجلد والعظم عاريًا … ولا عظم لي إن دام ما بي ولا جلد
أدنياي ما لي في انقطاعي وغربتي … إليك ثوابٌ منك دينٌ ولا نقد
عديني بنفسي أنتِ وعدًا فربما … جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد
وقد يبتلي قومٌ ولا كبليّتي … ولا مثل جدّي في الشقاء بكم جدّ
غزتني جنود الحب من كل جانبٍ … إذا حان من جندٍ قفولٌ أتى جند

وسُئل يومًا وهو حاضر من الغمرة ما أحسن ما رأيت قال ليلى فقيل له ذلك
معلوم وإنما نعني غيرها فقال ما رأيت شيئًا غيرها إلا سقط من عيني إلا
ظبيًا رأيته يومًا فذكرت ليلى فزاده في عيني حسنًا فانطلقت أعدو خلفه

حتى كلّت رجلاي وغاب من عيني فأخذت راحلتي ثم انطلقت حتى
وجدته وقد قتله ذئب فأخذت سهمًا وضربت به الذئب فلم يخطئ قلبه
فشققت بطنه وأخرجت ما أكل فضممته إلى ما بقي من الظبي ودفنتهما وأنشد

أبى الله أن يبقى لحيٍّ بشاشةٌ … فصبرًا على ما شاءه الله لي صبرا
رأيت غزال الأيك يرعى وسط روضةٍ … فإنك لي جارٌ ولا ترهب الدهرا
وعندي لكم حصنٌ حصينٌ وصارمٌ … حسامٌ إذا أعملته لحسن العبرا
فما راعني إلا ذئبٌ قد انتحى … فأعلق في أحشائه الناب والظفرا
فبوّأت سهمي في كتوم غمزتها … فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا
فأذهب غيظي قتله وشفى جوى … بقلبي إن الحرّ قد يدرك الوترا

واجتمع إليه النساء يومًا فقلن له أما آن لك أن تصرف عنك هوى ليلى
ليرد إليك عقلك فإنها امرأة من النساء وفينا عنها كفاية فاختر إحدانا
فقال لو ملكت لفعلت ولكني مغلوب فقلن ما أعجبك منها فكل شيء
رأيته أو سمعته فقلن صفها فأنشد

بيضاء خالصة البياض كأنها … قمرٌ توسّط جنح ليلٍ مبرد
موسومةٌ بالحسن ذات حواسدٍ … إن الجمال مظنةٌ للحسد

وترى مدامعها ترقرق مقلة … سوداء ترغب عن سواد الاثمد
خود اذا ذكر الكرام رأيتها … تحمي الحياء وان تكلم تقصد

قال له رجل من قومه اني قاصد حي ليلى أعندك شيء تقوله لها
قال نعم انشدها اذا وقفت بحيث تسمعك هذه الابيات

الله يعلم ان النفس قد هلكت … باليأس منك ولكني امنيها
منيتك النفس حتى قد اضربها … وابصرت خلفا مما امنيها
وساعة منك الهوها ولو قصرت … اشهى الي من الدنيا وما فيها

قال الرجل فمضيت حتى وقفت بخبائها فلما امكنتني الفرصة انشدت
بحيث تسمع الابيات فبكت حتى اغمي عليها ثم قالت ابلغه عني السلام وانشد

نفسي فداؤك لو نفسي ملكت اذا … ما كان غيرك يجزيها ويرضيها
صبرا على ما قضاه الله فيك على … مرارة في اصطباري عنك اخفيها

قال الرجل فلما بلغته ذلك بكى حتى غشي عليه ثم افاق وهو ينشد
تمثل لعروة العذري البيتين السابقين ولما آيس اهله منه وخالط
الوحوش اخذوا يحتالون في اصلاحه فقال ابوه يوما للشخص اريد
ان تمر به فتذكر له ليلى وانك عندها وانها تذكره كثيرا فاذا اعطاك

سمعه وتمكنت منه فاذكر انها تشتمه وتنتقصه فعسى ان يداخله كرهها قال الرجل
فمضيت حتى اجتمعت به واعلمته بذلك حتى ذكرت انها تشتمه فانشد

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا … ويصدع قلبي ان يهب هبوبها
اذا هبت الريح الشمال فانما … جوى بي بما تهدي الي جنوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما … هوى كل نفس حيث كان حبيبها
وحسب الليالي ان طرحنك مطرحا … بدار قلى تمسي وانت غريبها
حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا … هنيئا ومغفور لليلى ذنوبها

وعن نوفل ابن مساحق ابن عبد الله ابن المسور ابن مخرمة وكان واليا على
الصدقات من قبل مروان او عبد الملك قال قدمت على بني عامر لاخذ اموال
الصدقة فرأيت شخصا عاريا يلعب بالتراب فامرت له بثوب فقيل لي لو
كان يلبس لكان في مال ابيه كفاية فانه سيد الحي ولكنه تولع بحب امرأة
فصيره هكذا قال فقمت اليه فكلمته فلم يعقل فقيل لي ان اردت ان
يفهم ما تقول فاذكر له ليلى فقلت اتحب ليلى قال نعم فقلت له اريد
ان ازوجك بها فقال او يمكن ذلك قلت نعم فقال بالله من جميل لو ان
اهل الارض شكروك معي لم يفوا فعند ذلك قام فلبس ثيابه واقام معه

بوعد منه الى يوم مجتمع لهم فيه ليأخذه فأخبر باهدار السلطان دمه فهرب
وقبل هو وابنتاليه فعرفه انما كان خوف الفتنة فقال المجنون له والله انك
لم تفي بالوعد ثم مزق ما عليه وانصرف ثم ان نوفل لم يزل من ذلك اليوم متطلبا
لاخبار المجنون جامعا لاشعاره وانه قدم سنة من السنين فسأل عنه فقالوا
لن نعرف له خبرا فركب في طلبه حتى لاح له من وراء اداكه بين قطيع من
الغزلان وقد غطاه شعره فصعد نوفل الحجرة مستخفيا وهربت الظباء
وانصرفت فوقف المجنون يرعى هذا ما في الاصل وفي نزهة المشتاق انه
انصرف معها ولم يمكنه الاجتماع به فرجع متأسفا وشكى ما به الى شيخ كبير من
بني سعد فقال له الشيخ ان للمجنون دابة يألفها وانها تحمل له الخبز احيانا
فيأكل منه ولو صحبتها لامكن ان تظفر به ففعل فهرب المجنون منهما فرجع
واخبر الشيخ فقال له الشيخ قد قرأت في سالف الاخبار ان سلطانا قال لوزيره
اخبرني عن اعظم رائحة واقوى لذة واشد حافر على الارض وقد امهله ثلاثا
وقال له ان لم تجب جللتك بالسيف فمضى مهموما وكان له ابنة قد الجته
قصرا مفتوحا الى الاربع على قارعة الطريق للنزهة فلما رأت ما بابيها استعطفته
حتى اخبرها فاستسهلت الامر وقالت له اذا عدت اليه من الغد فاخبره ان اقوى

رائحة الخبز واعظم الاشياء لذة الجماع واشد حافر على الارض البغال فلما
اعلمه قال له اخبرني من اين لك ذلك فصدقه الامر فاستحضر ابنته وقال
لها لئن لم تخبريني عن تعليل ذلك والا ضربت عنقك فانك بكر لم تعلمي
احوال النساء ولا لذة الجماع فقالت له ايد الله الملك ان قصري منفتح
للاهوية فلم اجد من لدن فطنت رائحة يتكيف بها الهوى اعظم من رائحة
الخبز ولم يتحرك جدار القصر من شيء غير البغال واما الجماع فانما اخذت
من شدة الم الوضع وما شاهدته من مقاساة النساء فيه فلو لم يكن الجماع
اعظم لذة ما عدن اليه والراي عندي ان تصنع خبزا وتجعله في طابق
بغم بخاره وتفتحه حيث يشمه فانه يقف لبعد عهده به فتذكر له ليلى
فيزداد انسا قال الرجل فمضيت وعملت براي الشيخ وطيبت الخبز بالافاويه
حتى اذا اقبل ولحته من خلال الاراكة كشفت الخبز وصعدت فقرب الظباء

وانسرن ووقف يشم الرائحة فانشد

ابكي على ليلى ونفسك باعدت ... مزارك من ليلى وشعبا كما معا

فاندفع ينشد

فما حسن ان تأتي الامر طائعا ... وتجزع ان داعي الصبابة اسمعا

فقد فاقدا عاجدا ومن حل بالحمى ... وقل لنجد عندنا ان تودعا

بنفسي تلك الارض ما اطيب الربا ... وما احسن المصطاف والمتربعا

وليست عشيات الحمى برواجع ... عليك ولكن خل عينيك تدمعا

ولما رايت البشر اعرض دوننا ... وجالت بنات الشوق يحنن نزعا

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا

واذكر ايام الحمى ثم انثني ... على كبدي من خشية ان تصدعا

ثم سقط مغشيا عليه فتمثلت بقوله

يا دار ليلى بسقط الحي قد درست ... الا الثمام والا موقد النار

ابلى عظامك بعد اللحم ذكركها ... كما تجرد قرح السوحط الباري

ما تقنؤ الدهر ليلى تموت كمدا ... في موقف وقفته او على دار

فرفع راسه وقال من انت حياك الله فقلت له نوفل اخبرني ما صنع بعدي فانشد الا حجبت ليلى الابيات ثم اخذ يقاوضني في الكلام حتى سنح له قطيع ظباء فطفق يعدو حتى اختلط بها وفارقته فلم اره بعد **قلت** وفي النزهة انه تطلبه مرة اخرى غير هذه فوجده بين حجر

ميتا فاحتمله ودفنه وسيجيء ذكر ما روي له من الاشعار منقوشا له في التراب او ورده اخر القصة **ومر** برجلين قد اصطادا ظبية وربطاها فعزم عليهما ان يطلقاها فابيا عليه فاطلقها بشاة من غنمه **وانشد**

لهبت بكبش شبه ليلى ولو ابوا ... لاعطيت ما الحي من طريف وتالد

فيا بابي شبهها لليلى فلتما ... وجيدهما ما انا له كل عابد

فلو كنتما حرين ما بعتما فتى ... شبيها بليلى بيعة المتزايد

واعتقتماها رغبة في ثوابها ... ولم ترغبا في ناقص غير زائد

هذا ما تلخص من صحيح اخباره واما ما قيل من انه مر بزوج ليلى وهو في حي بني عامر عند ابن عم له يصطلي فوقف على راسه **وانشد**

بربك هل ضممت اليك ليلى ... قبيل الصبح او قبلت فاها

وهل رفت عليك قرون ليلى ... رفيف الاقحوانة في نداها

فقال اما اذا حلفتني فنعم فصرخ المجنون وقبض بكلتا يديه على الجمر فسقط مغشيا عليه فاكل الجمر راحتيه فقام زوج ليلى مغموما **وما قيل** في المنام من ان ابا المجنون طرقه ضيوف ليلا فارسله الى ابي ليلى ليقترض سمنا فامرها ابوها ان تخرج اليه بنحي فتملا وعاءه فجعلت تسكب وفيه

ويتجادنان حتى احترقت ارجلهما وانه جاء ليلة اخرى بقبسها نار
فتعلق به النار وكلما احترقت قطعة اخذ اخرى حتى صار عريانا فلم
يصح اسناده عندنا كصحة غيره ومثل ذلك ما قيل من ان سبب جنونه
مجازاة لقوله قضاها لغيري او سماع هاتف انشده

كلانا معدم في حب ليلى … بفي وفيك من ليلى التراب

فاختلط عقله واما حال عوتر فالصحيح ما قدمناه وقيل ان رجلا
شاميا كان مغرما باشعاره واشعار قيس بن ذريح قدم للاجتماع
به او الرجل من بني جعد او مرة او هو الصباح ابن عامر كذا في اقوال
فسال اهله عنه فاخبروه انه متوحش من الانس لا صديق له يذهب
اليه في كل يوم يكتب ما يقول من الاشعار ودابة تذهب اليه بطعامه
فمضى لها يسالها الحيلة في الاجتماع به فقالا لا له اقصده في موضع كذا
فتجده جالسا قد خط حوله التراب وهو يعبث باصابعه فيه فاذا
رآك احذ الاحجار وهم ان يضربك فاصرف بطرفك عنه واطل الجلوس
ثم انشد ما يحضرك من شعر قيس فانه مغرم به فاذا فعلت ذلك بلغت
ما تريد منه فمضى الرجل يقتفي اثره حتى وجده على ما وصف فلما

آنس به فقال رحم الله قيسا حيث يقول

تبيت وتضحى كل يوم وليلة … على منهج تبكي عليه القبائل
قتيلا للبنى صدع الحب قلبه … وفي الحب شغل للمحبين شاغل

فقال انا والله اشعر منه حيث اقول

سلبت عظامي لحمها فتركتها … مفرقة تضحى اليه وتخصر
واخليتها من مخها فكانها … قوارير في اجوافها الريح تصفر
اذا سمعت ذكر الفراق تقطعت … علائقها مما تخاف وتحذر
خذي بيدي ثم انهضي بي تبيني … بي الضر الا انني اتستر

ثم اناب بعده وفارقته فلما كان اليوم الثاني جئت على العادة فانشدت قول قيس

أتباكر ام تروح غدا رواحا … ولن يستطيع مرتهن براحا
سقيم لا يصاب له دواء … اصاب الحب مقتله فباحا
وعذبه الهوى حتى براه … كما القين بالسفن القداحا
وكاد يذيقه جرع المنايا … ولو سقاه ذلك لاستراحا

فقال انا والله اشعر منه حيث اقول

فما وجد مغلول بصنعاء موثق … بساقيه من ثقل الحديد كبول

قليلُ الموالي مستهامٌ مروَّعُ ... لَرُبَعدَ نوماتِ العشيِّ عويل
يقولُ لهُ الحُدّاءُ انتَ معذَّبٌ ... غداً مطلقٌ او مسلَمٌ فقتيل
باعظمَ منّي روعةً يومَ راعني ... فراقُ حبيبٍ ما اليهِ سبيل

ثم قال فعلته بالامس وعاودته فقلت احسن والله قيس حيث يقول

الا يا غرابَ البينِ ويحكَ نبّني ... بعلمكَ في لبنى فانتَ خبير
فان انتَ لم تخبر بشيءٍ علمتَهُ ... فلا طرتَ الا والجناحُ كسير
ودرتَ باعداءٍ حبيبُكَ بينهم ... كما قد تراني بالحبيبِ ادور

وفي رواية ابن الاعرابي

الا يا غرابَ البينِ هل انتَ مخبري ... بخيرٍ كما اخبرتَ بالنأيِ والشر
وخبّرتَ ان قد جدّ بينٌ وقرّبوا ... جمالاً للبنى مثقلاتٍ من الغد
وهجتَ قذا عيني للبنى مريضةٍ ... اذا ذكرتْ فاضتْ مدامعُها تجري
وقلتَ كذاك الدهرُ ما زالَ فاجعاً ... صدقتَ وهل شيءٌ باقٍ على الدهر

فقال احسن والله ولكني اشعر منه حيث اقول كان القلب ليلة
فامهلته حتى فرغ ثم قلت واحسن قيس ايضا حيث يقول وا
دمع عيني بالبكا الابيات السابقة في قصة قيس قال فبكى حتى ظن
ان قد فاضت نفسه ثم قال احسن والله وانا اشعر منه حيث اقول

فاديتني حتى اذا ما سبيتني ... بقولٍ يحلُّ العصمَ سهلَ الاباطحِ
تناءيتِ عنّي حين لا لي حيلةٌ ... وغادرتِ ما غادرتِ بين الجوانحِ

قال ولم ازل اعاوده واكتب ما يقول الى ان تطلبته فوجدته بين الاحجار
ميتا وفي رواية ان هذا الرجل لم يجتمع به واخرى راه ميتا مجهولا فدل قد
دلت عليه دابته وانه لم يكتب اشعاره الا من عند صديقه المقدم ذكره
وبالجملة فمحل الاجماع انه وجد ميتا فاحتمل وغسل ودفن وحضر جنازته
جمع بني جعد وسعد والحريش وحضر ابو ليلى فاظهر جزعا شديدا وتنصل
واعتذر بانه لم يعلم ان الامر يفضي الى هذه الحالة ولو علم لاحتمل العار
وزوجه ولما غسل وجد في ظهره رقعة مكتوب فيها

الا ايها الشيخ الذي ما بنا يرضى ... شقيتَ ولا هنّيتَ من عيشك الخفضا
شقيتَ كما اشقيتني وتركتني ... اهيمُ مع الهلّاك لا اطعمُ الغمضا
كانّ فؤادي في مخاليبِ طائرٍ ... اذا ذكرتْ ليلى يشدُّ به قبضا
كانّ فجاجَ الارضِ حلقةُ خاتمٍ ... عليَّ فما تزدادُ طولاً ولا عرضا

وقيل ان ليلى توفت قبله وانه سمع هاتفا يقول

أمنعية بالموت ليلى ولم تمت … كأنك عما قد أظلك غافل

فسقط ميتا وهذا أمر يتعذر الوصول إلى تحقيقه وله أشعار كثيرة بلا

من محاسنها قوله

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى … فصادف قلبا فارغا فتمكنا

ومنها تقول العدى لا بارك الله في العدى … قد اقصر عن ليلى ورثت وسائله

ولو أصبحت ليلى تدب على العصا … لكان هوى ليلى جديدا أوائله

ومنها فلو تلتقي في الموت روحي وروحها … ومن بين رمسينا من الأرض منكب

لظل صدى رمسي وإن كنت رمة … لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

قلت قال في النزهة وشتان ما بين هذا وما بين قول توبة في ليلى الأخيلية حيث قال

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت … علي ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقى … إليها صدى من جانب القبر صائح

أقول وفحوى كلامه أن قول المجنون أبلغ لأن تلاقي روحين أعظم في جانب المبالغة من تلاقي حي وميت وكلام توبة من الثاني ويمكن نقل هذا إلى بحث حكمي وعكس كلام صاحب النزهة فقد اجتمعت الحكماء بل وأصحاب الشرع بأن استلذاذ الأرواح بعد مفارقة الهياكل الجسمية

وأقوى فتأمله ومنها

فلو ترث بيت الله ثم رأيتها … بأبوابه حيث استجار حمامها

لست بآت إن تدنت ببابها … فلم ينهني عن سيتهن حمامها

ولو شهدتني يوم تأتي منيتي … جلا سكرات الموت عني ابتسامها

ومنها أقول لإلفي إذ أتت يوم لقيته … بمكة والأنضاء ملقى رحالها

بربك أخبرني ألم تأثم التي … أضر بجسمي من زمان خيالها

فقال بلى والله سوف تمسها … عذاب وبلوى في الحياة نكالها

فقلت ولم أملك سوابق عبرة … سريع إلى جيب القميص انهمالها

عفى الله عنها ذنبها وأقالها … وإن كان في الدنيا قليلا نوالها

ومنها ألا ليت ليلى أطفأت حر زفرة … أعالجها لا أستطيع لها ردا

إذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا … وجدت لمسراها ومبسمها بردا

على كبدي قد كاد يبدي بها الهوى … ندوبا وبعض القوم يحسبني جلدا

وإني يماني الهوى منجد النوى … سبيلان ألقى من خلافهما جهدا

سقى الله نجدا من ربيع وصيف … وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا

بلى إنه قد كان للعيش مرة … وللعيس والركبان منزلة حمدى

أبى القلبُ أن ينفكّ من ذكر نسوةٍ ... رقاقٍ لم يُخلقن شوهًا ولا نُكدا

إذا رحن يسحبن الذيولَ عشيّةً ... ويقتلن بالألحاظ أنفسنا عمدا

مشى عطلاتٍ رُجَّحٍ بخصورها ... روادفُ وعثاتٌ تردّ الخطى ردّا

وفيهنّ ليلى العامريّة إن مشت ... ولاثت بسبت القزّ أغزرها جعدا

إذا حرّكته المدرى طفا فوقها العلى ... تمجّ ندى الريحان والعنبر الوردا

ومنها

وأحبس عنكِ النفسَ والنفسُ صبّةٌ ... بذكراكِ والممشى إليكِ قريبُ

مخافةَ أن يسعى الوشاةُ بظنّةٍ ... وأحرسكم أن يستريبَ مُريبُ

لقد جعلت نفسي وأنتِ اخترمتها ... وكنتِ أعزّ الناسِ عنكِ تطيبُ

فلو شئتُ لم أغضب عليكِ ولم يزل ... لكِ الدهرَ منّي ما حييتُ نصيبُ

أما والذي يبلو السرائرَ كلّها ... ويعلم ما يُبدى به ونغيبُ

لقد كنتِ ممّن تصطفي النفسُ خلّةً ... لها دون خلّان الصفاءِ حجوبُ

ومنها

أبى القلبُ إلّا حبّها عامريّةً ... لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرو

تكاد يدي تندى إذا ما لمستُها ... وينبت في أطرافها الورقُ الخضرُ

ومنها وقد ضعف فقاده الناس ولم يعده ليلى

ألا ما لليلى لا ترى عند مضجعي ... بليلٍ ولا يجري بذلك طائرُ

بلى إنّ عجم الطير يجري إذا جرت ... بليلى ولكن ليس للطير زاجرُ

أزالت عن العهد الذي كان بيننا ... بذي الأثل أم قد غيّرتها المقادرُ

فوالله ما في القرب لي منكِ راحةٌ ... ولا البعدُ يسليني ولا أنا صابرُ

ووالله ما أدري بأيّة حيلةٍ ... وأيّ مرامٍ أو خطارٍ أخاطرُ

وتالله إنّ الدهرَ في ذات بيننا ... عليّ لها في كلّ حالٍ لجائرُ

فلو كنتُ إذ أزمعتِ هجري تركتني ... جميعَ القوى والعقلُ منّي وافرُ

ولكنّ أيامي بحقل عنيزةٍ ... وبالرضم أيّامٌ جناها التجاورُ

وقد أصبح الودُّ الذي كان بيننا ... أمانيَّ نفسٍ والمؤمّلُ حائرُ

لعمري لقد رنّقتِ يا أمّ مالكٍ ... حياتي وساقتني إليكِ المقادرُ

ومنها

وجاؤوا إليه بالتعاويذ والرقى ... وصبّوا عليه الماء من ألم النكرِ

وقالوا به من أعين الجنّ نظرةٌ ... ولو عقلوا قالوا به نظرة الانسِ

ومنها

وشُغلتُ عن فهم الحديث سوى ... ما كان فيكِ فأنتم شُغلي

وأديم نحو محدّثي ليرى ... أن قد فهمتُ وعندكم عقلي

انتهى

ومنها

سرت في سواد القلب حتى إذا انتهى ... بها السيرُ وارتادت حمى القلب حلّتِ

فللعين تهمالٌ إذا القلبُ ملّها ... وللقلب وسواسٌ إذا العينُ ملّتِ

وواللهِ ما في القلبِ شيءٌ من الهوى ... لِأخرى سواها أكثرتْ أم اقلتْ

ومنها ذكرتُ عشيّةَ الصدفينِ ليلى ... وكُلّ الدهرِ ذكراها جديدُ

عليّ أليّةٌ إن كنتُ أدري ... أينقصُ حبُّ ليلى أم يزيدُ

ومنها لقد غرّدت في جنحِ ليلٍ حمامةٌ ... على إلفها تبكي وإنّي لنائمُ

كذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقًا ... لما سبقتني بالبكاء الحمائمُ

ومنها إذا قربتْ دارٌ كلفتُ وإن نأتْ ... أسفتُ فلا بالقربِ أسلو ولا البُعدِ

وإن وعدتْ زادَ الهوى لانتظارِها ... وإن بخلتْ بالوعدِ متُّ على الوعدِ

ففي كلِّ حبٍّ لا محالةَ فرحةٌ ... وحبُّكِ ما فيه سوى محكمِ الجهدِ

ومنها وهو كما قال في النزهة من الأشعار التي قيلت على الأوهام قال لما حضر وأبيه في مكة بات ليلة فجعل يحدث نفسه كالذي في النو ويعاتب امرأة حاضرة فقيل له في ذلك فحلف أن ليلى كانت إلى جا

في ذلك الوقت وأنشد

طرقتكَ بين مسبّحٍ ومكبّرٍ ... بحطيمِ مكّةَ حيثُ كان الأبطحُ

فحسبتُ مكّةَ والمشاعرَ كلَّها ... وجبالَها باءتْ بمسكٍ تنفحُ

وأما قصيدته الموسومة بالمؤنسة فهي أطول قصيدة أنشدها وأطب

عليها قبل أنه كان يحفظها دون أشعاره فإنه كان لا يخلو بنفسه إلا وينشدها وهي من محاسن الأشعار وأرقها لفظا وأعذبها سبكا وألطفها غزلا وأحسنها نسيبا تنهج النحو وتعين المحزون وللناس في الاقتصار على بعضها والاستصفاء منها خلاف كثير

اذكر أحسنه وهي

تذكّرتُ ليلى والسنينَ الخواليا ... وأيامَ لا أعدي على الدهرِ عاديا

ويومٍ كظلِّ الرمحِ قصّرتُ ظلّهُ ... بليلى فلهّاني وما كنتُ لاهيا

خليليّ إلّا تبكيا لي ألتمس ... خليلًا إذا أنزفتُ دمعي بكى ليا

فما أشرفُ الإيفاعَ إلا صبابةً ... ولا أنشدُ الأشعارَ إلا تداويا

لحى اللهُ أقوامًا يقولون إننا ... وجدنا طوالَ الدهرِ للحبِّ شافيا

وعهدي بليلى وهي ذاتُ موصّدٍ ... تردُّ علينا بالعشيِّ المواشيا

فشابَ بنو ليلى وشابَ ابنُ بنتِها ... وأعلاقُ ليلى في فؤادي كما هيا

إذا ما جلسنا مجلسًا نستلذّهُ ... تواشوا بنا حتى أملَّ مكانيا

سقى اللهُ جاراتٍ لليلى تباعدتْ ... بهنّ النوى حيثُ احتللنَ المطاليا

يمينَ لاحتْ نارُ ليلى وصحبتي ... بفرعِ الغضا تزجي المطيَّ الحوافيا

فقالَ بصيرُ القومِ لمحةُ كوكبٍ ... بدا في سوادِ الليلِ فردًا يمانيا

فقلت لهم نار لليلى توقدت … بعليا تسامى ضوؤها فبدا ليا
خليليّ لا والله لا أملك الذي … قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها … فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
وخبرتماني أن تيماء منزل … لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذا شهور الصيف عنا قد انقضت … فما للنوى ترمي بليلى المراميا
فلو كان واش باليمامة داره … وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وماذا لهم لا أحسن الله حفظهم … من الحظ في تصريم ليلى حباليا
وقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل … بي النقض والإبرام حتى علانيا
فيا رب سوّ الحب بيني وبينها … يكون كفافا لا عليّ ولا ليا
فما طلع النجم الذي يهتدى به … ولا الصبح إلا هيّجا ذكرها ليا
ولا سرت ميلا من دمشق ولا بدا … سهيل لأهل الشام إلا بدا ليا
ولا سميت عندي لها من سمية … من الناس إلا بل دمعي ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها … من الليل إلا بت للريح حانيا
فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادها … عليّ فلن تحموا عليّ القوافيا
فأشهد عند الله أني أحبها … فهذا لها عندي فما عندها ليا

قضى الله بالمعروف منها لغيرنا … وبالشوق مني والغرام قضى ليا
وإن الذي أملت يا أم مالك … أشاب فُوَيدي واستهام فؤاديا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة … وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني … أحدث عنك النفس بالليل خاليا
أراني إذا صليت يممت نحوها … بوجهي وإن كان المصلى ورائيا
فوالله ما أدري إذا ما ذكرتها … أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
وما بي إشراك ولكن حبها … كعظم الشجا أعيى الطبيب المداويا
هي السحر إلا أن للسحر رقية … وإني لا ألفى لنفسي راقيا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها … وأشبهه أو كان منه مدانيا
خليليّ ليلى أكبر الحاج والمنى … فمن لي بليلى أو فمن ذا لها بيا
لعمري لقد أبكيتني يا حمامة … العقيق وأبكيت العيون البواكيا
ويا جرم ليلى ثم تزعم أنني … سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
فلم أر مثلينا خليلي جناية … أشد على رغم الأعادي تصافيا
خليلان لا نرجو لقاء ولا نرى … خليلين إلا يرجوان تلاقيا
وإني لأستحييك أن تعرض المنى … بوصلك أو أن تعرضي في المنى ليا

يقول أناس علّ مجنون عامر … يروم سلوّاً قلت أنّى به ليا

بي اليوم داء للهيام أصابني … وما مثله داء أصاب فؤاديا

وقائلة وارحمتا لشبابه … فقلت لها وارحمتا لشبابيا

إذا ما استطال الدهر يا أم مالك … فشأن المنايا القاضيات وشانيا

إذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل … بخير وجلّت غمرة من فؤاديا

وأنت التي إن شئت نغّصت عيشتي … وأنت التي إن شئت أنعمت باليا

وأنت التي ما من صديق ولا عدا … يرى نضو ما أبقيت إلا رثى ليا

أمضروبة ليلى على أن أزورها … ومتخذ ذنباً لها أن ترانيا

إذا سرت في الأرض الفضاء رأيتني … أصانع رحلي أن يميل حياليا

يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن … شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا

وإني لأستغشي وما بي غشاوة … لعلّ خيالاً منك يلقى خياليا

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا … كفى للمطايا نور وجهك هاديا

ذكت نار شوقي في فؤادي فأصبحت … لها وهج مستضرم في فؤاديا

ألا أيها الركب اليمانون عرّجوا … علينا فقد أضحى هواي يمانيا

أسائلكم هل سال نعمان بعدنا … وحبّ لقلبي بطن نعمان واديا

ألا يا حمامي ذي الأراك أهجتما … عليّ العنا لمّا تغنيتما ليا

وأبكيتماني دون صحبي ولم أكن … أبالي دموع العين لو كنت خاليا

ألا أيها القمريتان تذكّرا … مباسم ليلى في الدجى واعذرانيا

فإن لم تكونا عاشقين جمالها … فما لكما بالنوح أسهرتمانيا

فيا أيها القمريتان تجاوبا … بلحنيكما ثم اسجعا عللانيا

فإن أنتما استطربتما أو أردتما … لحاقاً بأطلال الغضا فاتبعانيا

ألا ليت شعري ما لليلى وما ليا … وما للصبا من بعد شيب علانيا

ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى … إلى من تشيها أو لمن جئت واشيا

لئن ظعن الأحباب يا أم مالك … فما ظعن الحب الذي في فؤاديا

فيا رب إذ صيّرت ليلى هي المنى … فزنّي بعينيها كما زنتها ليا

وإلا فبغّضها إليّ وأهلها … فإني من ليلى لقيت الدواهيا

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه … وإن كنت من ليلى على اليأس طاويا

خليليّ إن ضنّوا بليلى فقرّبا … لي النعش والأكفان واستغفرا ليا

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما … يظنّان كل الظن أن لا تلاقيا

الشاعر عروة ابن حزام وصاحبته عفراء

هو عروة ابن حزام ابن مالك ابن حزام

ابن ضبة ابن عبد ابن عذرة شاعر لبيب حاذق متمكن في العشق قيل انه
اول عاشق مات بالهجر من المخضرمين او من العذريين ولشدة مقاساته
في العشق ضرب به المثل من العرب والمولدين قال المجنون عجبت لعروة العذري

وقال ابو عيينة

فما وجد النهدي اذ مات حسرة | عيينة بانت من حبائله هند
ولا عروة العذري اذ طال وجده | بعفراء حتى شف مهجته الوجد
كوجدي غداة البين عند لقائها | وقد طال عنها بين ابوابها البرد

وقال جرير

هل انت شافية قلبا يهيم بكم | لم يلق عروة من عفراء ما وجدا
ما في فؤادك من داء يخامره | الا التي لو راها عابد سجدا
ان الشفاء وان ضنت بنائله | فرع البشام الذي تجلو به البردا

الى غير ذلك وعفراء هي بنت هصر اخو حزام كلاهما ابناء مالك من بطن
من العذريين يقال لها هند قال في تزيين النواظر ان سبب عشقه لها
ان ابا حزام توفي ولعروة من العمر اربع سنين وكفله هصر ابو عفراء و
انشئا جميعا وكان يألفها وتألفه فلما بلغا الحلم سال عروة عمه تزويجها

فوعده ذلك ثم اخرجه الى الشام مع عير له وجاء ابن اخ له يقال له اثالة
ابن سعيد ابن مالك يريد الحج فنزل بعمه هصر فبينا هو جالس يوما
تجاه البيت اذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصمها تحمل اداوة
سمن وعليها ازار خز اخضر فلما راها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة
فخطبها من عمه فزوجه بها وان عروة اقبل مع العير وقد حمل اثالة
عفراء على جمل احمر فعرفها من البعد واخبره اصحابه فلما التقيا و عرف
الامر بهت لا يحير جوابا حتى افترق القوم فانشد

واني لتعروني لذكراك رعدة | لها بين جلدي والعظام دبيب
فما هو الا ان اراك فجاءة | فابهت حتى ما اكاد اجيب
فقلت لعراف اليمامة داوني | فانك ان ابرأتني لطبيب
فما بي من حمى ولا مس جنة | ولكن عمي الحميري كذوب
عشية لا عفراء منك بعيدة | فتسلو ولا عفراء منك قريب
بنا من جوى الاخوان والحب لوعة | تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما ابقى حشاشة معول | على ما به عود هناك صليب
وما عجبي موت المحبين في الهوى | ولكن بقاء العاشقين عجيب

وقيل انه لم ينشد في ذلك الوقت سوى البيتين الاولين واما قوله
فقلت لعراف اليمامة الى قوله ولا عفراء منك قريب فانشده حين لقي
به الطبيب وسبب ذلك انه حين وصل الحي اخذه الهذيان والقلق
واقام اياما لا يتناول قوتا حتى نشفت عظامه ولم يخبر بسره احدا
وانه رحل ليلة الى فضاء ليتنزه فيه فسمع رجلا يقول لوليده على ابنه
ناقة حملت النقب يعني قرب الماء فقال على العفراء فاغمي عليه ساعة
ثم قام مخبولا وكان باليمامة عراف يعني كاهن له قرين من الجن يعرف
الاخبال ويداوي بعض الادواء وكان يقال له رياح بن راشد وكنيته ابو
الجلا مولى لبني بكر فحملوه اليه فلما رآه اخذ يعالجه بانواع العلاج
والرقى والصب عنه واصل ذلك ان العرب كانت اذا تخيلت بشخص
سحرا جعلت على رأسه طبقا فيه ماء ثم اذابت الرصاص وسكبته في
ذلك الماء ودفنته في فضاء من الارض فيزول عن ذلك الشخص ما به
وان الكاهن فعل بعروة ذلك مرارا فلما لم ينجب اخبرهم انما به ليس الا
من العشق وقيل انه عرف ذلك من يوم قدومهم به فلما احس بالياس
انشد فقلت لعراف اليمامة الابيات ثم حمل الى عراف اخر بنجد ففعل به

مثل

مثل ذلك فانشد الابيات الآتية في نونيته وهي قوله جعلت لعراف
اليمامة فلما آيس من الشفا تمرض بين اهله زمانا حتى شاع انحاله في
في العرب مثلا وان ابن ابي عتيق مر به يوما فرأى امة تلاطف غلاما
كالخيال فسألها عن شأنه فقالت هو عروة فسألها نضو الغطاء عنه فلما
شاهده قضى عجبا ثم استنشده فانشده جعلت لعراف اليمامة حكمه الابيات
ولما علم الضجر من اهله قال لهم لو احتملتموني الى البلقاء لرجوت الشفاء
فلما حل بها وجعل يسارق عفراء النظر في مرورها عاودته الصحة فاقام
كذلك الى ان لقيه شخص من هذه فسلم عليه فلما امسى دخل على زوج
عفراء فقال له متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكرة ما بنسيبه
فقال من قال عروة قال انت احق بما وصفته به والله ما علمت بقدومه
وكان زوج عفراء موصوفا بالسيادة ومحاسن الاخلاق في قومه فلما
اصبح جعل يتصفح الامكنة حتى لقي عروة فعاتبه واقسم بالحرجات انه
لا يبرح الا عنده فوعده ذلك فذهب مطمئنا وان عروة عزم ان لا يلبث
الليلة وقد علم به فخرج فعاوده المرض فتوفي بوادي القرى دون منازل
قومه وقيل فصلها الرواية ابن العاص قال استعملني عمر في جباية صدقات

العذريين فبينا انا يوما بازاء بيت اذ نظرت امرأة عند كسر البيت والى
جانبها شخص لم يبق الا رسومه فجلست انظر اليه فتموج ساعة ثم خفق
خفقة فارق الحيوة فقلت لها من الرجل قالت عروة فقلت كانه قضى
فقالت نعم ولما بلغ عفرى وفاته قالت لزوجها قد تعلم ما بينك وبيني
وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد وان ذلك على الحسن الجميل فهل
تاذن لي ان اخرج الى قبره فاندبه فقد بلغني انه قضى فقال ذاك لك
فخرجت حتى اتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلا وانشدت قلبه

الا ايها الركب المجنون ويحكم … بحق نعيتم عروة ابن حزام
فان كان حقا ما تقولون فاعلموا … بان نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك راحة … ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى تماما بمثله … ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لا بلغتم حيث وجهتم له … وتنغصتم لذات كل طعام

ولما فرغت من شعرها القت نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة فلما
دفنت دفنت الى جانبه فنبتت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على
حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر اليهما ولا تعرفانه من ضرب من ال

وكثيرا ما انشدت فيهما الناس في ذلك قول الشهاب محمود

بالله يا سرحة الوادي اذا خطرت … تلك المعاطف حيث البان والقام
تعانقهم عن الصب الحزين فما … على معانقة الاغصان من عار

وقول صاحب الاصل

غصنان من دوحة طال التلاقي بهما … فيها فحالت صروف الدهر فافترقا
فصار من بعد من يحويه ليس له … منها براح وهذا في الفلاة لقى
حتى اذا ذويا يوما وضمهما … بعد التفرق بطن الارض واتفقا
حنا على العهد في ارجائها فحنا … كل على الفهد في الترب واعتنقا

وتوفي عروة ابن حزام على ما ذكره الذهبي في تاريخه في خلافة عثمان
سنة ثلاثين من الهجرة ورأيت في كتاب مجهول التاليف ان وفاته كانت
لعشرين من شوال سنة ثمان وعشرين ومن محاسن شعره قصيدته التي على
حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله بالفاظ رقيقة ومعان انيقة وهي

خليلي من عليا هلال ابن عامر … بصنعاء عوجا اليوم انظراني
ولا تزهدا في الاجر عندي واجملا … فانكما بي اليوم مبتليان
الم تعلما ان ليس بالمرج كله … اخ وصديق خالص فتذاني

افي كل يوم انت رام بلادها بعينين انسانا هما غرقان
وعينان ما اوفيت نشزا لتنظرا بما فيهما الا هما يكفان
الا فاحملاني بارك الله فيكما الى حاضر البلقاء ثم دعاني
على حرة الاصلاب ناجية السرى تقطع عرض البيد بالوخدان
الما على عفراء انكما غدا بشحط النوى والبين معترفان
فيا واشيا عفراء ويحكما بمن وما والى من جئتما تشيان
بمن لو اراه غائبا لفديته ومن لو يراني غائبا لفداني
فيا واشيا عفرى دعاني ونظرة تقر بها عيناي ثم كلاني
اغركما مني قميص لبسته جديدا وبردا يمنة ذهباني
متى تكشفا عني القميص تبينا بي الضر من عفراء يا فتيان
اذا تريا لحما قليلا واعظما بلين وقلبا دائم الرجفان
على كبدي من حب عفراء قرحة وعيناي من وجد بها تكفان
فعفراء ارجى الناس عندي مودة وعفراء عني المعرض المتواني
احب ابنة العذري حبا وان نأت ودانيت منها غير ما تديان
اذا رام قلبي هجرها حال دونه شغيفان من قلبي لها جدلان

اذا قلت لا قالا بلى ثم اصبحا جميعا على الراي الذي يريان
فيارب انت المستعان على الذي تحملت من عفراء منذ زمان
فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس والانعام يلتقيان
فيقضي حبيب من حبيب لبانة ويرعاهما ربي فلا يريان
فيا ليت محيانا جميعا وليتنا اذا نحن متنا ضمنا كفنان
ويا ليت انا الدهر في غير ريبة خليان نرعى القفر مؤتلفان
هواي امامي ليس خلفي معرج وشوق قلوصي في الغدو يماني
هواي عراقي وتثني زمامها لبرق اذا لاح النجوم يماني
متى تجمعي شوقي وشوقك تظلعي وما لك بالعبء الثقيل يدان
يقول لي الاصحاب اذ يعذلونني اشوق عراقي وانت يماني
تحملت من عفراء ما ليس لي به ولا للجبال الراسيات يدان
كان قطاة علقت بجناحها على كبدي من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا نعم نشفي من الداء كله وقاما مع العواد يبتدراني
نعم وبلى قالا متى كنت هكذا ليستخبراني قلت منذ زمان

فما تركا من رقية يعلمانها — ولا سلوة إلا وقد سقياني
وما شفيا الداء الذي بي كله — ولا ذخرا نصحا ولا ألواني
فقالا شفاك الله والله ما لنا — بما حملت منك الضلوع يدان
فرحت من العراف تسقط عمتي — من الرأس ما آلتاها ببناني
معي صاحبا صدق إذا ملت ميلة — وكان بدفي نضوتي عدلاني
فيا عم يا ذا الغدر لا زلت مبتلى — حليفا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية — فألزمت قلبي دائم الخفقان
وأورثتني غما وكربا وحسرة — وأورثت عيني دائم الهملان
فلا زلت ذا شوق إلى من هويته — وقلبك مقسوم بكل مكان
وإني لأهوى الحشر إذ قيل إنني — وعفراء يوم الحشر ملتقيان
ألا يا غرابي دمنة الدار بينا — أبالهجر من عفراء تنتحبان
فإن كان حقا ما تقولان فاذهبا — بلحمي إلى وكريكما وكلاني
كلاني أكلا لم ير الناس قصتي — ولا يأكلن الطير ما تذران
إذا ما جلسنا مجلسا نستلذه — تواشوا بنا حتى أمل مكاني
تكنفني الواشون من كل وجهة — ولو كان واش واحدا لكفاني

ولو كان واش باليمامة داره — أحاذره من شؤمه لأتاني
يكلفني عمي ثمانون ناقة — وما لي والرحمن غير ثمان
فوالله ما حدثت سرك صاحبا — أخا لي ولا فاهت به الشفتان
سوى أنني قد قلت يوما لصاحبي — ضحى وقلوصانا معا تخدان
ضحيا ومسنا جنوبا ضعيفة — نسيم لرياها بنا خفقان
تحملت زفرات الضحى فأطقتها — وما لي بزفرات العشي يدان
فيا عم لا أسقيت من ذي قرابة — بلالا فقد زلت بك القدمان
ومنيتني عفراء حتى رجوتها — وشاع الذي منيت كل مكان
فوالله لولا حب عفراء ما التقى — علي رواقا بيتك الخلقان
رواقان هفافان لا خير فيهما — إذا هبت الأرياح يصطفقان
ولم أتبع الأظعان في رونق الضحى — ورحلي على نهاضة الحذيان
لعفراء إذ في الدهر والناس غرة — إذ اخلقان بالصبا يسران
لأدنو من بيضاء خفاقة الحشا — بنية ذي قاذورة شنآن
كأن وشاحيها إذا ما ارتديتهما — وقامت عنان مهرة سلسان
ولبس بأبدان لها ملتقاهما — ومتناهما رضوان يضطربان

فتحتهما خفقان قد ضربتهما	فطار من الجوزاء ملتبذان
عفراء كم من زفرة قد اذقتني	وحزن الحّ العين بالهملان
فهل حاديا عفراء ان خفت فوتها	عليّ اذا ناديت مرعويان
ضروبان للتالي القطوف اذا ونى	مسيحان من يعضا به حيذان
فما لكما من حاديين رميتما	بحمّى وطاعون الا تقفان
وما لكما من حاديين كسيتما	سرابيل مغلاة من القطران
فويلي على عفراء ويلا كانه	على الكبد والاحشاء حد سنان
الا حبذا من حب عفراء ملتقى	نعم والالا حيث يلتقيان
لو ان اشد الناس حبا ومثله	من الجن بعد الانس يلتقيان
ويشتكيان الوجد ثمت اشتكي	لاضعف وجدي فوق ما يجدان
فقد تركتني ما اعي لحديث	حديثا وان ناجيته ونجاني
وقد تركت عفراء قلبي كانه	جناح غراب دائم الخفقان

الخبر عبد الله بن عجلان وصاحبته هند هو عبد الله ابن عجلان ابن عبد الاحب ابن عامر ابن كعب يتصل بقضاعة وهم فخذ من بني الحريش وسعد افترقوا من قضاعة على ما ذكر في الانساب اربعون فخذا **و**في التر

انه عذري وليس كذلك ولكن بينه وبينهم حيث لا ترمي العصى وذلك دون خمسة جدود **قال** في كتاب الانساب كانت العرب تعد الرجل منها ما لم يفارقهم بخمسة بطون فاذا بلغ ذلك قالوا قطع النسب ورمي العصى **وكان** عبد الله هذا يكنى ابا عمرة وهو شاعر مفلق وناطق لسن دمث اديب **قال** في بلغة الاشتياق في ذكر ايام العشاق ان عبد الله هذا اقل العشاق اياما عاش مكابد المحبة ثلاث سنين وعضه العشق وهو جاهلي ضرب به المثل كما ضرب بعروة فمما قيل فيه قول قيس

فما وجدت وجدي بها ام واحد	ولا وجد النهدي وجدي على هند
ولا وجد العذري عروة في الهوى	كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

فقوله النهدي اشارة لابن عجلان وقول البحتري

هوى لجميل في بثينة ناله	كنيلي ولا عبد ابن عجلان في هند

وهند هي بنت كعب بن عمرو ابن ليث النهدي تتصل مع عبد الله في النسب **قال** في الطرائف ان سبب علاقته بها انه خرج يوما الى شعبة من نجد يتصيد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه فلما علا على ربوة تشرف على النهر

المذكور فرأى هندا على تلك الحالة فمكث ينظر اليهن مستخفيا فصعدوا
وبقيت هند وكانت طويلة الشعر فأخذت تمشطه وتسبله على يديها
وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر ونهض ليركب
راحلته فعجز وقعد ساعة وكان يقال عنه قبل ذلك ان العرب كانت
تصف له ثلاث رواحل قائمة فيخلفها ويركب الرابعة فعند ذلك
داخله من الحب ما اعجزه وعطل حركاته فانشد فقودا

لقد كنت ذا باس شديد وهمة … اذا شئت لمسا للثريا لمستها
اتتني سهام من لحاظ فارشقت … بقلبي ولو استطيع ردا رددتها

ثم قال هذه والله الضالة التي لا توجد ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فأخبر
صديقا له فقال اكتم ما بك واخطبها الى ابيها فانه يزوجك بها وان
اشتهرت عنها حرمتها ففعل وخطبها فأجيب وتزوج بها واقاما
على احسن حال وانعم بال لا يزداد فيها الا غراما فمضى عليهن ثمان
سنين وانها اقامت لم تحمل على ذلك وكان ابوه ذا ثروة وليس له
غيره فأقسم عليه ان يتزوج غيرها لتولد له ولدا لحفظ النسب فلما
فعرض عليها ذلك فابت ان تكون مع اخرى فعاود اباه فامره بطلاقها

فأبى فألح عليه وهو لم يجب الى ان بلغه يوما ان عبد الله قد تمكن السكر
منه فعدها فرصة وارسل اليه يدعوه وقد جلس مع اكابر الحي فنعته هند
وقالت والله لا يدعوك لخير وما اظنه الا انه عرف انك سكران فيريد ان
يعرض عليك الطلاق ولئن فعلت لتبين واظنك فاعلا قال في الزهر
وكان قد دخل على هند قبل ذلك اليوم عجوز كاهنة تضرب الحصى فاخبرت
هندا انها ستطلق فأبى عبد الله الا الخروج فجاذبته وبلت خلفه
بالزعفران فأثرت في ثوبه فلما جلس مع ابيه وقد عرف اكابر العرب حاله
فاقبلوا يعنفونه ويبتاشونه من كل مكان حتى استحى فطلقها فلما سمعت
بذلك احتجبت عنه فوجد وجدا كاد ان يقضي معه وانشد

طلقت هندا طايعا فندمت بعد فراقها … فالعين تذرف دمعها كالدر من اماقها
خود رداح طفلة مما الفحش من اخلاقها … ولقد الذ حديثها واسر عند عناقها
ان كنت ساقية برا الدن او بحقاقها … فاسقي هي بهذا اذا اثر بو اخبار رفاقها
فالخيل تعلم كيف الحقها غداة لحاقها … باسنة زرق منحنا القوم حذر فراقها
حتى ترى قصد القنا … والبيض في اعناقها

ولم يزل شوقه ينمو ووجده بها ينمو حتى لزم الوساد وتوفي على ما

ذكره في الزهرة قبل عام الفيل باربعة اعوام وكان سبب وفاته على الاصح انه فصد هندا وقد تزوجت في نمر وهم قبيلة من عامر وكان بينهم وبين بني فهد ترات ودماء كثيرة فحذره ابوه من ذلك ومناه الاجتماع بعكاظ في الاشهر الحرم حيث تكف الجاهلية عن الحرب فابى وخرج حتى اتاها فراها على حوض وزوجها يسقي ابلا له فلما تعارفا اشتد كل منهما على صاحبه ودنا منه حتى اعتنقا وسقطا الى الارض فجاء زوجها فوجدهما ميتين وقيل ان عجوزا دخلت عليه في مرضه فاخبرتهم انه عاشق وان يطبخوا الشاة ويرفعوا قلبها ففعلوا فجعل يحولها بضعة بضعة فقال اما الشانكم قلبت فقال له ابوه او عاشق انت ولم ندر فناوه ومات وقيل انه راى زوج هند يطوف وعليه ثوب فيه كف بالخلوق كالذي في ثوبه حين جاذبته فمات وقيل انه ترنم بهذه الابيات يوما فمد بها صوته فمات

الا ان هندا اصبحت عنك محرما	واصبحت من ادنى حموتها حما
فاصبحت كالمغمود جفن سلاحه	يقلب بالكفين قوسا واسهما

وقيل ان هذه الابيات لمسافر ابن عمرو انشدها حين ولع بهند بنت عتبة

فاراد زواجها فخرج الى النعمان ابن المنذر بالحيرة ليطلب مهرها وقيل حملت منه فخرج هاربا واصابه من عشقها مرض كبر معه بطنه فاستحضر له النعمان اطباء العرب فاجمعوا على كيه فكوي وبري فقدم ابو سفيان او هو غيره فساله عن مكة فلما انتهى الى زواج هند شهق فمات وقيل خرج فمات بالطريق وقيل هي يعني الابيات للمغيرة في اسماء النهشلية والصحيح ان

ابيات المغيرة هذه

تحدثنا اسماء ان سوف نلتقي	احاديث طسم انما كنت حالما
الا اصبحت اسماء حجرا محرما	واصبحت من ادنى حموتها حما

ولابن عجلان اشعار كثيرة من محاسنها

قد طال شوقي وعادني طربي	من ذكر خود كريمة الحسب
غراء مثل الهلال صورتها	او مثل تمثال صورة الذهب
الا ابلغا هندا سلامي وان نات	فقلبي مذ شطت بها الدار مدنف
ولم ار هندا بعد موقف ساعة	بانعم في اهل الديار تطوف
اتت بين اتراب تمايس اذ مشت	دبيب القطا او هن منهن الطف
باكرم مرآة جليا ودارة	ذكيا وبالايدي مدال ومشوف

أشارت إلينا في خباء وراءها | سراة الضحى مني على الحي موقف
وقالت تباعد يا ابن عم فإنني | منيت بذي صول بغار ويعنف

ومنها خليلي زورا قبل شحط النوى هندا | ولا تأمنا من دار ذي لطف بعدا
ولا تعجلا لم يدر صاحب حاجة | أغيا بلاغي في التعجل أم رشدا
ومرا عليها بارك الله فيكما | وإن لم تكن هند لوجهكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا | ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم | وتزداد داري عن دياركم بعدا

أخبار ذي الرمة وصاحبته مي هو غيلان ابن سعدي ابن عمر الكناني القحطاني
أو هو سعدي وقيل ابن عقبة ابن بهيس من ربيعة يتصل من عبد مناف
ابن الياس ابن مضر أديب شاعر دقيق النظام جزل الكلام وقاد الحفظ
الفصاحة والشعر ورقة المزاج خبير بأحوال العشق والرمة بالضم وتكسر
قطعة حبل تجعل في عنق البعير وبالكسر العظام البالية وسمي بذلك
لأنه كان كثيرا ما يجعل في عنقه أو على عاتقه الحبل أو أنه سمي بذلك
لشدة نحوله في العشق ومي هي بنت طلابة ابن قيس ابن عاصم المنقري
أحد ملوك العرب ووالدها قيس نظير المنذر ابن ماء السماء كان ذو حظ

في الملك تميل إليه العرب وتعطي القياد حتى ضربت به الأمثال قال في
النزهة وكان ذو الرمة لطيف المنظر حسن الهيئة طويلا إلى دقة وبياض
واسع الصدر جعل الشيبة وكانت مي جارية إلى القصر ما هي سمراء بدنية
الأذان في كلامها عذوبة وفي طرفها تغزل قال في الطرائف إن سبب
اعتلاقه بها أنه مر يوما بالحي وقد ادركه الأوام إلى بيت قد شرع رواقه
وارتفعت طبافه وعلا عموده واطنابه ومدت أوتاده وأسبابه فقصد
حتى وقف بإزائه وإذا هو بامرأة تمتشط حاسرة الرأس قد أسبلت شعرا
كأنه عناكيل النخل ووجهها يشف من ضبائره فناداها أما من إداوة تبرد
الغليل فأبرزت إليه ماء قد شيب بلبن فشرب ثم ناشدته الراحة فنزل
وقدمت إليه طعاما فأكل ولم يزل ينادمه وهو يعجب بها ويحرك لها
قلبه إلى أن انصرف بعض بياض النهار وقد علق بقلبه من حبها لاعج
عجز عن الطاقة وغرام كل عن إخفائه فجعل يعاودها الزيارة فقيل له
في تقليل ذلك فإن بلادها بعيدة من بلاده وإن ذلك يوجب له
نصبا ومشقة فأنشد

وكنت إذا ما جئت ميا أزورها | أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودّ جليسها ... اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

وجلس قوم يتحادثون فافضوا الى حديث ذي الرمة وفيهم عصبة ابن مالك الفزاري وهو يومئذ شيخ قد جاوز المائة فقال مني خذوا خبره اتاني يوما فقال ان ميّة خلوف فهل تسعدني في الزيارة فركبنا حتى اتيناها فلما نظرن النساء الى ذي الرمة عرفنه فجئن حتى جلسن عنده وتفاوضوا في الحديث فقالت ظريفة من النساء اسمعنا يا ذا الرمة ما قلت فالتفت اليّ وقال لي قل فانشدت قوله

وقفت على ربع لمية ناقتي ... فما زلت ابكي عنده واخاطبه

فلما انتهيت الى قوله

نظرت الى اظعان ميّ كأنها ... ذرى النخل او اثل تميل ذوائبه

فأسبلت العينان والقلب كاتم ... بمغرورق نمّت عليه سواكبه

بكى وامق خوف الفراق ولم تجل ... حوائلها اسراره ومعاتبه

قالت الظريفة لكن اليوم فليجل ثم مضيت فلما انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله من حيث لا ارى ... ولا زال في ارضي عدو احاربه

قالت ميّ ويحك يا ذا الرمة خف عواقب الله عز وجل ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب ميّ سوارح ... على القلب آبته جميعا عوازبه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت ميّ ما اصحه وهنيئا له فتنفس ذو الرمة تنفسة كاد حرها يذهب بلحيته ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا نازعتك القول ميّة او بدا ... لك الوجه منها او نضا الدرع سالبه

فيا لك من خد اسيل ومنطق ... رخيم ومن خلق تعلل جاذبه

فقالت الظريفة هذا القول قد نوزع والوجه بدا فمن لنا بان ينضي الدرع سالبه فقالت ميّ ماذا تريدين فتضاحكن فقالت الظريفة ان لهذين لشأنا فقمن بنا فمضين وقمت بحيث اراهما فقعدا طويلا ولم يبرح من مكانه ولم اسمع منهما غير ان قالت كذبت والله ولم اعلم على ما كذبته ثم جاءني ومعه قارورة دهن قد اتحفته بها فقال لي شأنك وهي ثم قال وهذه قلائد قد اعطيتها فوالله لا اقلدتها بعيرا وعقدها في سيفه وانشد

الا فاسلمي يا دار ميّ على البلى ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وان لم تكن في غير شام بقفرة ... تجر بها الاذيال صيفية كدر

وانفضحت عيناه بالعبرة فقلت مه فقال اني لجلد وان كان مني ما ترى ثم انصرفنا فوالله ما رأيت اشد صبابة ولا احسن صبرا منه

وكان اخر العهد به وله اشعار كثيرة فمن الطفها قوله من قصيدة

ذكرتك اذ مرت بنا ام شادن … امام المطايا تشرئب وتسنح
من المؤلفات الرمل ادماء حرة … شعاع الضحى في متنها يتوضح
نعشنا كانا عامدون يصدها … ضحى فهي تنبو تارة وتزحزح
هي الشبه اعطافا وجيدا ومقلة … ومبسمة لولا بعد منها واملح
ومنها على حين راهقت الثلاثين وارعوت … لداتي وكاد الحلم بالجهل يرجح
اذا خطرت من ذكر مية خطرة … على القلب كادت في فؤادي تجرح
تصرف اهواء القلوب ولا ارى … نصيبك من قلبي لغيرك يمنح
فبعض الهوى بالهجر يمحى فينمحي … وحبك عندي يستجد ويربح
فلما شكوت الحب مما تبيني … بوجدي قالت انما انت تمزح
بعادا وادلالا علي وقد رات … ضمير الهوى قد كاد بالجسم يبرح
لئن كانت الدنيا علي كما ارى … تباريح من ذكراك للموت اروح
ومنها خليلي عدا حاجتي من هواكما … ومن ذا يواسي النفس الا خليلها
الما بمي قبل ان تطرح النوى … بنا مطرحا او قبل بين يزيلها
وان لم يكن الا تعلة ساعة … قليلا فاني نافع لي قليلها

ومنها ولما تلاقينا جرت من عيوننا … دموع كففنا غربها بالاصابع
ونلنا سقاطا من حديث كانه … جنى النحل ممزوجا بماء الوقايع
ومنها اذا هبت الارياح من نحو جانب … به ال مي هاج قلبي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما … هوى كل نفس حيث حل حبيبها

اخبار مالك وصاحبته جنوب هو مالك ابن الحارث ابن الصمصامة ابن اخرش الجعدي من بني الاخرش اخو ذو الرمة قال في الاغاني هم اكبر فخذا من قحطان ولم يعقب من اخوة ذي الرمة غيره وغير مسعود وهما من قبائل معد وكان مالك شجاعا عاجلا ذا نجدة ولكنه مات بالعشق على نحو ثمانين من عمره وجنوب هي بنت قيس ابن اصبغ ابن محصن ابن اخرش الجعدي علقها شابين وسبب ذلك انه جاء يوما الى اخيها الاصبغ بسنة فقه الى الحي من كنانة لحاجة عرضت لمالك عندهم لما بينهما من الصحبة والقرابة فراى جنوب وقد القت ما عليها خلا ثوب اخضر شفاف فراها على بغتة فوقعت من قلبه فعاد وقد تمكن حبها منه فافضى بذلك الى رجل من اصحابه فوشى به الى اخيها وكان معروفا بالشجاعة فحلف ليقتلنه ان ظفر به فضمهما يوما مجلس وقد اقبلت جنوب فلم يستطع ان يكلمها فاخذته رعدة

فضمه شخص الى صدره وفطن الاصبغ فقام عجلا وبقي مالك مغشيا
عليه فلما افاق انشد

خليلي ان حانت وفاتي فادفنا	عظامي ما بين الربيبة فالنقر
لكيما تقول العبدلية كلما	رأت جدثي حييت يا قبر من قبر

ثم ان العرب انجعت نجعة وسمية يعني مكانا امطر واعشب سابقا وفرق
مالك بصفح الظعن متخفيا حتى مرت جنوب فاخذ بخطام بعيرها وانشد

رأيتك ان ازمعتم اليوم نية	وغالك مصطاف الحمى ومرابعه
ارى عين ما استودعتم انك كالذي	اذا ما نأى هانت عليه ودايعه

فبكت ثم قالت لا رعى والله ولا تهون عندي ودايعه فاطلقها ومضى في ... يقول

الا ان وردا دونه قلة الحمى	منى النفس لو كانت تنال شرايعه
وكيف ومن دون الورود عوائق	واصبغ حامي ما احب ومانعه
فلا انا فيما صدني عنه طامع	ولا ارتجي وصل الذي هو قاطعه

ثم انصرف فبات ليلته قلقا فلما اصبح ركب وضرب الفضا لينزه نفسه فبينما
هو على ما به يتريح اذ سمع شخصا يشكو الى شخص ثقل راسه وقلة
فقال له منذ كم اصابك قال من امس فقال هذا من الهواء الذي كان

بارحة امس فانه جنوب وهوى الجنوب ضائر فلما طرق الكلام راسه
قال اي والله ولا اضر من هوى ما اجد وسقط كالمصروع فجاؤا اليه
واحتملوه بعد اذ فارب الفرق ثم مضوا به الى الحي فاقام ليلتين ثم قضى
وفي النزهة انهم دعوا له بطبيب فلما ابصره انكر حاله فدعى بشراب فسقاه
فلما تمكن منه انشد

خليلي ان العبدلية ازمعت	على الصد والهجران فاستذنبا عبس
فلا صبر لي بعد الفراق على الجفا	ولا راحة الا التوسد في الرمس
فصبر محب عن حبيب يحبه	محال وهل جسم يعيش بلا نفس

ثم شهق شهقة خرجت نفسه بها وفي لطايف الفوائد وظرايف الشوارد
لابن عبد ربه ان مالك هذا لما قضى اتصل نعيه بجنوب وقد قدم اليها
لبن فلما استقته وقع الكلام في اذنها اضطربت خفيفا ثم اضطجعت فاذا
هي ميتة **اخبار عبد الله وصاحبته جبيش** هو عبد الله ابن علقمة ابن زرارة
من قحطان وجبيش هي بنت سعد ابن اسلم من جذيمة قبيلة من اليمن
ولم يذكره في النزهة ولكني رأيت في طرايف الاخبار ان سبب اعتلاقه
بها انه اضاف اهلها فاجلسوه في مجلس لهم فخرجت جبيش وعلى

وجهها سبت اخضر فوقفت تحلب ناقة وهو ينظرها فضرب لهوا السبت
فكشف وجهها ويديها وكانت طوال الى الرقبة واسعة الصدر كأن وجهها
البدر فلما عاينها غاب عن حسه ساعة ثم عاوده الشعور فتشكى خيفة
ان يظهروا على حاله ثم جاءت اليه باللبن ليشرب فلما تناوله ارتعد
حتى سقط من يده ففطنت لما به وكان شابا كانه القمر قد اخذها ما
داخله ولم يكونا متقاربين في المنزل لانهما من فخذين فافترقا على ما
داخلهما من الهوى وان الغلام ارسل امة اليها وتبعها واقام عندها
فلم يزل كذلك يذهب مع امه ويعود اليها وكان في اوائل الهجرة
فارسل رسول الله صلى الله عليه وآله سرية الى خزيمة وعليهم خالد بن
الوليد فصادفوا العرب ظاعنين وراوا عبد الله وراء القوم يسوق
قلوصا له فمسكوه وعرضوا عليه الاسلام فقال وما هو فقالوا كذا وكذا
فقال ارايتم ان انا لم اسلم فما انتم صانعون قالوا نضرب عنقك فقال
هل لكم ان تتركوني امضي الى الظعن قالوا بلى ونحن في اثرك فمضى
يتصفح الهوادج حتى وقف على هودج حبيش فناداها اسلمي حبيش
فقد نفد العيش فقالت حييت اواسلم عشرا او تسعا وترا او ثمانيا

اوثلاثا على الخلاف في السيرة والمستدرك والتهذيب ثم انشدها

اريتك ان طالبتكم فوجدتكم … ببرزة او ادركتكم بالخوانق
اما كان حقا ان ينول عاشق … تكلف ادلاج السرى والودائق
فلا ذنب لي قد قلت اذ اهلنا معا … اثيبي بود قبل احدى الصفائق
اثيبي بود قبل ان تشحط النوى … وينأى الامير بالحبيب المفارق

فاجابته

اري لك اسباب المنية مخرجا … بها الروح من جنبي والروح زاهق

فاجابها

فان يقتلوني يا حبيش فلم يدع … هوالكهم مني سوى غلة الصدر
فانت التي قلبت جلدي على دمي … وعظمي واسبلت الدموع على النحر

فاجابته

ونحن بكينا من فراقك مرة … واخرى وقاسينا لك العسر باليسر
فانت فلا تبعد فنعم اخو الندى … جميل المحيا في المروة والبشر

ثم ضربه غلام فاطار يده وقدم فضربت عنقه فنزلت حين رأت ذلك
فقبلته وشهقت شهقة او شهقتين فماتت **فلما** اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله
بذلك قال اما كان فيكم رجل رحيم **وفي** نديم المسامرة للقديحيان عبد الله
هذا حين فنا امره مع حبيش قالوا الاميرات ولاك قد تولع بهذه وليست
من حبكم فاعرضي عليه نساءكم لعله يشتغل بواحدة منهن عنها ففعلت

لهٗ ما تقول فيهن قال حسناء وجمالاً فقيل أيما الحسن هن أم حبيش فتنفس
الصعداء ثم قال ماءٌ ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان فمضى مثلاً في العرب

أخبار عتبة وصاحبته ريا هو عتبة ابن الحباب ابن المنذر ابن الجموح الانصاري
وريا هي بنت الغطريف السلمي علقها بمسجد الاحزاب يوم تنزه وأصل ذلك
ان عبد الله ابن معمر القيسي حين دخل المدينة قال بينما انا قد زرت رسول الله
صلى الله عليه وآله ليلاً وجلست اذا انا بشخص ينشد ولا اراه

أشجاك نوح حمائم السدر	فأهجن منك بلابل الصدر
يا ليلة طالت على دنف	يشكو الفراق وقلة الصبر
أسلمت من يهوى لحر جوى	متوقد كتوقد الجمر
ما كنت أعلم أنني دنف	حتى بليت وكنت لا أدري
فالبدر يشهد أنني كلف	مغرى بحب شبيهة البدر

فتبعت الصوت فرأيت شاباً قد غرقت الدموع خده فقال لي اجلس
احدثك انا فلان كنت يوماً بمسجد الاحزاب اذا نسوة يتنزهن فيهن
جارية لم ار مثلها وقفت علي فقالت ما تقول في وصل من يطلب وصلك
ثم مضت ولم اعرف خبرها ثم غشي عليه فلما افاق انشد

أراكم بقلبي من بلاد بعيدة	تراكم تروني في القلوب على بعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم	وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى أراكم	ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

فرغبت في تسليته فقال لهيهات او يثوب القارظان مثل مشهور أصله ان
اخوين خرجا يجتنيان القرظ بنت معروف فلم يعلم لهما خبر فلما قال عبد الله
طلع الصبح قلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فانشد

يا للرجال ليوم الاربعاء أما	ينفك يحدث لي بعد النوى طربا
ما إن يزال غزال فيه يظلمني	يهوي إلى مسجد الاحزاب منتقبا
يخبر الناس أن الأجر همته	وما أتى طالباً للأجر محتسبا
لو كان يبغي ثواباً ما أتى ظهراً	مضمخاً بفتيت المسك مختضبا

فمضينا الى المسجد فحين صلينا الظهر اقبلت النسوة ولم تكن الجارية فيهن
فقلن له وما ظنك بطالبة وصلك فقال واين هي قلن لقد مضى بها ابوها الى السماوة فانشد

خليلي ريا قد أجد بكورها	وسارت إلى أرض السماوة عيرها
خليلي إني قد عشيت من البكا	فهل عند غيري عبرة أستعيرها

فقلت له قد وردت بمال جزيل اريد به الحج وقد عزمت على ابذله في

حاجتك ثم قمنا فمضينا بجمع من الانصار الى الغطريف فالتقانا باسر من ثقيف
ونحر الذبائح فاقسمنا لا ناكل منها شيئا او نقضي حاجتنا ثم اعلمناه بخطبته
عقيلته فقال من عتبة قلنا نعم فقال ذاك اليها فقلنا له اخبرها فدخل عليها
واعلمها فشكرت عتبة فقال قد نمى الي امرك معه واقسم لا ازوجك به
فقالت ان الانصار لا يردون ردا قبيحا فان يكن ولا بد فاغلظ عليهم المهر
فقال نعم ما اشرت به ثم خرج فقال قد اجابت ولكن على الف دينار وخمسة
الاف درهم هجرية ومائة ثوب من الابراد والحبرة وخمسة اكرشة من العنبر
فضمنا له ذلك وقلنا له اذا احضرناه اجبت قال اجيب فاحضرناه في اقل من
اربعين يوما ثم اخذناها ومضينا فحين قاربنا المدينة خرج علينا خيل
كثير فقاتلناهم رمانا فجاءت طعنة في نحر عتبة فسقط ودمه يفور
فجاءتنا النجدة فاذا هو ميت فحين علمت الجارية بموته جاءت حتى انكبت عليه والتزمته

تصبرت لا اني صبرت وانما	اعلل نفسي انها بك لاحقه
ولو انصفت روحي لكانت الى الردى	امامك من دون البرية سابقه
فما احد بعدي وبعدك منصفا	خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة فماتت فواريناهما قال عبد الله فاقمت سبع سنين ثم

رجعت الى زيارة النبي صلعم فقلت لا ابرح او ازور عتبة فجئت واذا انا
بشجرة عليها الوان من الخرق قد نبتت على القبر فسالت عنها فقالوا
شجرة العروسين **اخبار نصيب وصاحبته زينب** هو ابو محجن نصيب بضم النون وفتح
الصاد المهملة الشهير بالزنجي مولى راشد بن عبد العزى من كنانة وصاحبته
ام بكر زينب بنت صفوان ابن عاوي كنانية في الاصح وليست زنجية
كما زعم **وسبب** الوصلة بينهما ان نصيبا كان يرعى ابلا لمولاه وكانت تخالط
رعاة صفوان في المبارك بوادي البوا وكانت زينب تاتي رعاة ابيها فتاخذ
لبنا وان نصيبا نشأ ولم يبر بري القيس واراشة السهام وتجر الاوتار فبرع في
ذلك حتى اشتهر في احياء العرب وكان يجلس يفعل ذلك وتقوم عنه
الرعاة بالخدمة وتتخلف الحلوب عن النوق في العاطن فتاتي زينب وهي
جارية صغيرة فتاخذ اللبن فنظرها وكان حاذقا فلحظ التامل في دقائق
المحاسن ولطائف الشمائل وهي من ذلك في ارفع المراتب فنشا عنده من
حبها ما غير باله واشغل حاله فشبب بها وفشى ذلك فاتت العرب مولاه
فقالت ان عبدك هذا قد برع في الشعر ونخشى ان يهجو احدنا او يشبب
بنسائنا وليس لنا في احدى الخلتين صبر فقال له مولاه اني بائعك

١٠١

فانظر لنفسك فاقبل حتى دخل على الخليفة وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان فانشد

لعبد العزيز على غيره … وغيرهم منن ظاهرة … فبابك اسهل ابوابهم
ودارك ماهولة عامرة … وكلبك آراف بالزائرين … من الام بالابنة الزائرة
وكفك حين ترى المعتفين … اندى من الليلة الماطرة … فمنك العطاء ومنك الثناء
مال … بكل محبرة سائرة … مال

فامر له بالف دينار فقال اصلحك الله اني عبد لا آخذ الجوائز ولكن ابعني
فقال لخادمه امض به الى باب الجامع فاذا انتهت الرغبات فيه فاخبرني
فمضى فلما نودي عليه بذل فيه شخص خمسين دينارا فقال نصيب قل بحسن
كذا وكذا وجعل يعدد صنائعه وهو يرقى بها حتى انتهى الى الف دينار
فاخذه الخليفة فكان في خدمته الى ان توفي فاوصى به سليمان بعد ان
اعتقه على ما ذكر بعض المعتنين بذكر محاسن الحبش والزنج وكان من اكبر
سماره وكان يلهج بالعشق وقال ابن فاتك في محاسن العبيد ان سليمان
استخفى ليلة فسمع نصيب وقد استخلى بنفسه يبكي ويقول متمثلا ابيات
المجنون قضاها لغيري فاستحضره وقال ما هذه التي قضاها لغيرك والله
بحبها او عاشق انت فقال اي والله جعلت فداك من العشق فقال ومن

قال لجارية من كنانة علقتها فمنعت منها لقلة حظي وحقارة نسبي
عند العرب فكنت اجلس في ممرها اخالسها التسليم وفي ذلك اقول

حسبت لها كيما تمر لعلني … اخالسها التسليم ان لم اسلم
فلما رأتني والوشاة تحدرت … مدامعها خوفا ولم تتكلم
مساكين اهل العشق ما كنت اشتري … حياة جميع العاشقين بدرهم

فوعده سليمان تزويجها ففي النزهة ومحاسن العبيد لابن فاتك انه زوجه
بها واقام معها وانها توفيت عنده في خلافة سليمان وقيل انه تزوجها
على يد يزيد بن الوليد ومما ذكره هنا من ان يزيدا استخبره هل عشقت
فقال نعم عشقت جارية حمرا يعني من البيض ومنعت منها فلما توفي من
كان يمنعها كتبت اليها

فان اك حالكا فالمسك احوى … وما لسوادِ جلدي من دواءِ
وبي كرم عن الفحشاء ناءِ … كبعد الارض من جو السماءِ
ومثلي في رجالكم قليل … ومثلي لا يرد عن النساءِ
فان ترضي فردّي قول راضِ … وان تأبي فنحن على السواءِ
فقالت للمال والعقل يعطيان

غيرها وتزوجتني يدل على ان ليس ليزيد في تزويجها شيء وقيل انه زوجها

على يد ابن ابي عتيق وفي تزيين النواظر انه لم يتزوجها وانها تعلقت
حين ارسل اليها بان العرب تعيرها بزواج الزنجي والمتواتر خلاف ذلك
اخبر التنوخي والثوري كلاهما عن ابن الخثار يسنده الى العتبي قال
هوادج مزينة حين قفلنا الى مكة فلما نزل الحاج خرج من اعظمها
هودجا وقد تهيد لها مهاد فجلست واقبل زنجي حتى جلس الى جانبها
فمر بنا اتي ابل وهو يقول

بزينب الم قبل ان يرحل الركب ... وقل ان تملينا فما ملك القلب

فوثبت المراة فضربت الذي الى جانبها وقالت قد فضحتنا فسألنا عنه
فقيل هي زينب وهو نصيب ونحو هذا عن الزبير عن الخزامي وعن
ابن خلف وابن الجوهري في اخبار السودان وكل يصف المراة بالبياض
ماعدا الاول فانه قال انها زنجية وعن ابن خلف من طريق آخر قال بينا
نحن في الركب واذا بزنجي يمشي والى جانبه امراة كانها البدر وهي لا
يستطع منهما فقلت له من انت قال انا الذي اقول

الا ليت شعري ما الذي يحدثن لنا ... غدا غربة النأي المفرق والبعد
لدى ام بكر حين تقذفها النوى ... بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي
اتصرمني عند الذين هم العدى ... فتشمتهم بي ام تدوم على العهد

فصاحت المراة لا والله بل ندوم على العهد وتوفي نصيب سنة ثلاث
عشرة ومائة وقيل احدى عشرة وفي كتاب ابن الجوهري تاسع شوال من السنة
المذكورة وقيل توفيت قبله وراي باكيا عليها وهو يقول

ابا دهر ما هذا لنا منك مرة ... عثرت فاقصيت الحبيب المحببا
وابدلتني من لا احب دنوه ... واسقيتني صابا من العذب مشربا

ومن لطائف شعره قوله

كسيت ولم املك سوادا وتحته ... قميص من القوهي بيض بنائقه
وما ضر اثوابي سوادي وانني ... لكالمسك لا يخلو من المسك ناشقه
ولا خير في ود امرئ متكاره ... عليك ولا في صاحب لا توافقه
اذا المرء لم يبذل من الود مثله ... بعافية فاعلم باني مفارقه

ومنها

وما في الارض اشقى من محب ... وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا ابدا حزينا ... مخافة فرقة او لاشتياق
فيبكي ان ناوا شوقا اليهم ... ويبكي ان دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي ... وتسخن عينه عند التلاقي

خبر المرقش وصاحبته اسما هو عمرو ابن عوف ابن سعد ابن مالك ابن قيس ابن ثعلبة من ربيعة أهلي قبايل طي ولوا باليمن قبل خروج ربيعة ثم انتقلوا الى العراق فنشأ بها وله اخوان سعد وحرملة دفعهم ابوهم الى نصراني يتعلمون الكتابة وكان سعد يرى دين النصرانية ومات فقام عمرو مقامه في العرب فكان شاعرا شجاعا مهابا في العرب خرج يوما وقد قطع واديا مخران اسد ونمر لم يطق احد ان يمر منهما فلما راى عمرو الاسد وثب عليه فغاوره ووثب فصار في ظهره فمسك اذنيه متشبثا ثم دق راسه وسلخ جلده فلما احس بالنمر التف في جلد الاسد ونام رافعا سيفه فوثب النمر لينزل عليه فتلقاه بالسيف ثم سلخه واخذ جلده ووضعه عليه واقبل على العرب فسموه المرقش وقيل سمي بذلك لقوله: الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الاديم قلم ومن ولد اخيه حرملة رجل دعته العرب بالمرقش في ظهر الاصغر لشبهه ذالك **واسما** هي بنت عوف ابن سعد ابن مالك ايضا وكان عمرو وقد الفها من التربية فخطبها الى عمه فانعم ومضى عمرو الى جار الفلاة فمدحه وحظي عنده فمكث مدة وان ثعلبة طرقها جدب فقدم مرادي على عوف فخطب اسما فزوجه بها على مائة ناقة واحتملها الى قومه

وعمدوا الى عظام كبش بالية فدفنوها وصيروها قبرا فلما قدم عمرو اخبروه انها ماتت واروه القبر فلزمه حتى ضني وتغير حاله فبينما هو يوما مستجني اذ سمع ولدا قد اقتتل مع اخر على كعب وهو يقول هذا اخذته من عظام الكبش الذي دفن وقيل لعمرو انها اسما فدعاه واستعلم منه الخبر فلما عرف ذلك دعى بزوج ابنتيه وساروا في طلب المرادي فقيل ان اخوته لعمرو ابر فردوه ومات وتظافرت الاخبار بانه وصل الى واد بقرب مراد وقد ثقل في المرض فقال لزوج ابنته لها اتركيه واذهبي بنا فقد اجهدنا فلما سمع ذلك كتب على الراحلة

يا صاحبي تلبثا لا تعجلا ... ان الرواح رهين ان لا تفعلا
طفل لبثكما بقرب ثيبا ... او يسبق الاسراع سيبا مقبلا
يا راكبا اما عرضت فبلغن ... انس ابن سعد ان نعبت وحرملا
لله دركما ودر ابيكما ... ان افلت الغفلي حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام ان مرقشا ... اضحى على الاصحاب عبا مثقلا
وكانما ترد السباع بشلوه ... اذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا

فلما راى اخوته الكتابة قتلا الرجل والمراة **واما** عمرو فحين ذهبا عنه

بكى مطروحا فاوى الى غار هناك وكان بالقرب راع من غزاد فلما
بعمرو سأله ممن فقال الراعي واعلمه باسم الذي هو عنده فاذا هو زوج
اسما فقال له هل تكلم مولاتك قال لا ولكن تاتيني جارية من عندها
لاخذ اللبن قال في النزهة وكانت اسما قد مرضت ايضا شوقا فلم تقتد
الا بقدح من لبن في اليوم فنزع عمرو خاتمه وقال للراعي في القدح
فتصيب بخير فلما ادارت دعت الجارية فاخبرتها ان لا اعلم الا انها فقدت
زوجها واخبرته القصة فاستخبر الراعي فلما عرفه ركب واركب ذويه
فادركوا عمرو او به رمق فاحتملوه الى عندهم فمات وقيل انشد عنده

سما نحوي خيال من سليمى ... فاذكرني واصحابي هجود
فبت اديرا مري كل حال ... واذكر اهلها وهم بعيد
على ان قد سما طرفي لنار ... يشب لها بذي الارطى وقود
حواليها مهى بيض التراقي ... واارام وغزلان رقود
نواعم لا تعالج بؤس عيش ... اوانس لا تروح ولا ترود
يرحن معا بطاء المشي رودا ... عليهن المجاسد والبرود
سكن ببلدة وسكنت اخرى ... فقطعت المواثق والعهود

فما بالي اقي ويخان عهدي ... وما بالي اصاد ولا اصيد
ورب اسيلة الخدين بكر ... منعمة لها فرع وجيد
وذو اشر شتيت النبت عذب ... نقي اللون براق برود
لهوت بها زمانا في شبابي ... وزارتها النجائب والقصيد
اناس كلما اخلقت وصلا ... عناني منهم وصل جديد

وله اغالبك القلب اللجوج صبابة ... وشوقا الى اسماء ام انت غالبه
يهيم ولا يعيى باسماء قلبه ... لذات الهوى امراره وعواقبه

وعلى قوله يا راكبا البيتين اورد المصنف الحكاية المشهورة دليلا على ذكاء
العرب واسندها الى مجهول واصلها قال في روضة القلوب للامام ابن
غسان ان الحارث الكناني قتل ابوه صبرا في تميم فخرج يستجيش له نصرة
وذلك قبل يوم الاوادي باعوام يسيرة فلما طال عليه المدى وقد صحب
عبدين له حبشيين فحقدا عليه فعزما على قتله فلما احس ذلك قال لهما هل
انتما مبلغا ابنتي هذين البيتين فقالا لا وما هما قال تقولا

الا يا بنات الحي ان اباكما ... لله دركما ودر ابيكما

فلما اتيا الحي اخبرا بموته فقالوا هل اوصى بشيء فقالا لا الا امر علينا

فيما ذكره وذكر الهم القول فقالت لاحدى بناتها اقتلوا العبدين قد
قتلا ابي فقالوا ومن اين ذلك قالت ان هذا الكلام سفه وهذه
وقد كان ابي مصونا من ذلك وانما كتم عنهما تكملة البيتين والاصل

الا يا بنات الحي ان اباكما	اضحى قتيلا في التراب مجدلا
لله دركما ودر ابيكما	لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستخبروهما فاقرا بالقصة **اخبار الصمة وصاحبته ريا** هو ابو مالك الصمة
بن عبد الله بن سعود بن رقاش القشيري الثعلبي من بني ربيعة كان اديبا
شجاعا عارفا بايام العرب ووقايعها ومواضعها وكثيرا ما يسند اليه
ابن دريد والاصمعي قال ابن الفرات انه ادرك اوايل الاسلام **وريا**
هي بنت سعود بن رقاش ايضا كانت ذات ظرافة وفراسة ومعرفة
وحسن نشأت مع الصمة صغيرين وكانا يتذاكران الادب وملح الاشعار
فاعجب بها وتمكنت منه ولم يكن عندها منه مقدار ما عنده منها
فلما شكى ما يجد منها الى بعض اصدقايه ارشده الى تزويجها فخطبها
الى عمه فانعم على ماية من الابل فمضى الصمة الى ابيه فاعطاه تسعا
وتسعين فابى سعود الا التمام وعبد الله الا ذاك وحلف كل على ما

اخبار الصمة وصاحبته ريا

وريا

قال واتفقوا الامر فحملت الصمة الانفة على ان خرج عنهما الى العراق
فقالت ريا ما رايت رجلا اضاعه ابوه وعمه ببعير الا الصمة لما
عندها من العلم بحبه لها فلما طال عليه الامر وتنازعه الشوق
والشهامة المانعة له من العود بلا طلب عرض حتى اضناه السقم
وقيل ان كاهنا بالعراق ساله عما اضمر فاخبره انه لم يتزوج بها
ابدا فضعف والصحيح كما حكاه صاحب فوت القلوب في اخبار
المحب والمحبوب انه قدم رجل يقال له غاوي بن رشيد بن طلحة
المدحجي على سعود فخطب منه ريا وامهرها ثلاثماية ناقة برعاتها
فزوجه بها فحملها الى مدحج فبلغ الصمة ذلك فلزم الوساد وطال
امره فدخل عليه رجل كان يالفه فعنفه وسلاه فانشد

امن ذكر دار بالرقاشين اعصفت	بها بارحات الصيف بدأ ورجعا
حننت الى ريا ونفسك باعدت	مزارك من ريا وشعباكما معا
فما حسن ان تاتي الامر طايعا	وتجزع ان داعي الصبابة اسمعا
كانك لم تسمع وداع مفارق	ولم تر شعبي صاحبين تقطعا
قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى	وقل لنجد عندنا ان تودعا

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربى ... وما أحسن المصطاف والمتربعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا ... وحالت بنات الشوق يحنن نزعا
بكت عيني اليمنى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني ... على كبدي من خشية أن تصدعا
وليست عشيات الحمى برواجع ... عليك ولكن خل عينيك تدمعا
أما وجلال الله لو تذكرينني ... كذكراك ما كفكفت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرى لو أنه ... تضمنه صم الصفا لتصدعا

فلما طال عليه الأمر دعى صاحب العراق بطبيب حاذق فلما تأمله ذا قال إنما يشكي العشق لا غيره ورأى بلزوم النزهة والفرج بنحو البساتين ليتسلى عما هو فيه فأخرجه صاحبه مع بعض الخدم إلى الثغور فبينا هو يوماً على شاطئ نهر وقد جد به الكرب إذ سمع امرأة تنادي ابنتها يا دنيا فسقط مغشياً عليه فاحملوه إلى بستان هناك وأضجعوه فلما أفاق أنشد

تعز بصبر لا وجدك لا ترى ... سنام الحمى أخرى الليالي الغوابر
كأن فؤادي من تذكر الحمى ... وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

ولم يزل يرددها حتى قضى ولما وصل خبره إلى الرياد أخلها من الوجد ما أمسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكي حتى ماتت ومن شعره

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى ... ولا جبل الأوشال إلا استهلت
ألا قاتل الله الحمى من محلة ... وقاتل دنيانا بها كيف ولت
غنينا زماناً باللوى ثم أصبحت ... براق اللوى من أهلها قد تخلت
فما وجد أعرابية نزلت بها ... صروف النوى عن حيث لم تك ظنت
تمنت أحاليب الرعاء وخيمة ... بنجد ولم يقدر لها ما تمنت
إذا ذكرت نجداً وطيب ترابها ... وبرد الحصى من أرض نجد أرنت
بأكثر مني لوعة غير أنني ... أجمجم أحشائي على ما أجنت

ومنه أرى الدهر بالتفريق والبين مولعاً ... وللجمع ما بين المحبين آبيا
فإني عليه من زمان كأنني ... خلقت وإياه نطيل التعاديا

كعب وميلا هو أبو خثعم ابن مالك أو عبد الله أو خثعم ابن لأبي ابن رباح ابن ضمرة طائي من عرب الحجاز يعرف بالمخبل وكان جواداً سخياً شجاعاً ما ألوف الصورة **وميلا** هي بنت لأبي ابن رباح أصغر لحقها كانت أجمل نساء الحجاز وكان كعب قد خطب إلى عمه ميلا أخت

وكانت تسمى ام عمرو فتزوجها فشغف بها شغفا شديدا والفها طويلا وانه دخل يوما عليها فوجدها قد نضت ما عليها وهي عريانة فبهره حين نظر اليها فقال انشدك الله هل تعلمين امراة احسن منك فقالت نعم اختي ميلا فقال ومن لي بان انظرها فاخبا به وارسلت اليها فحضرت فلما راها وقعت من قلبه موقعا ادى الى ذهاب عقله من العشق فانطلق في طلبها فاستعرضها وشكى اليها ما لقي من حبها فاعلمته انها اعظم من ذلك في حبه وشعرت اختها فتبعتهما فراتهما يتشاكيان المحبة فشكت الى اخوتها وكانوا سبعة فاخبرتهم بذلك وقالت اما ان تزوجوا كعبا من ميلا او تغيبوها عني فلما عرف بمعرفة اخوتها به هرب الى الشام فمكث بها اياما وان شاميا خرج يريد الحاج فضلت به ناقته الطريق فاسترشد امراة وكانت بالتقدير المحتوم ميلا والى جانبها اختها فانشد الشامي متمثلا

افي كل يوم انت من بارح الهوى ... الى الشام من اعلام ميلاء ناظر
بعيناء من طول البكاء كانما ... بها حر نار طرفها متخاذر
يمني المنى حتى اذا اقلت المنى ... جرى واكف من دمعها متبادر

فلما انشد الشامي الشعر سالته ممن الرجل قال من الشام قالت او

تعرف صاحب الشعر قال هو اعرابي اسمه كعب فاقسمتا عليه ان لا يبرح حتى ينظره اخوتهما فانهم يكرمونه ثم سالاه هل تروي له غير ذلك قال نعم وانشد

خليلي قد دنت الامور وفيهما ... بنفسي وبالفتيان كل مكان
فلم اجف يوما للرفيق ولم اجد ... خليا ولا ذا البث يستويان
من الناس انسانان ديني عليهما ... مليان لولا الناس قد قضياني
منوعان ظلامان ما ينصفانني ... بدلهما والحسن قد خلباني
يطيلان حتى يعلم الناس انني ... قضيت ولا والله ما قضياني
خليلي اما ام عمرو فمنهما ... واما عن الاخرى فلا تسلاني
بلينا بهجران ولم ير مثلنا ... من الناس انسانان يهتجران
اشد مصافاة وابعد من قلى ... واعصى لواش حين يكتنفان
يبني طرفانا الذي في نفوسنا ... اذا استعجمت بالمنطق الشفتان
فوالله ما ادري اكل ذوي هوى ... على مثل ما نحن مبتليان
فلا تعجبا مما بي اليوم من هوى ... ففي كل يوم مثل ما تريان
خليلي عن اي الذي كان بيننا ... من الوصل او ماضي الهوى تسلاني
وكنا نديمي نعمة حتم بيننا ... هوى فحفظناه بحسن صيان

تذود النفوس الجامحات عن الهوى ... وهن بأعناق اليه ثواني
سلامة بأم العمرو يشفي فقد بدا ... بنا السقم لا يخفى وطول ضمان
فما زادنا بعد النوى نقض مرة ... ولا رجعا من علمنا ببيان
خليلي لا والله ما لي بالذي ... تريدان من هجر الصديق يدان
ولا لي بالهجر اعتلاة اذا بدا ... كما انتما بالبين معتليان
ولا لاهيا يوما الى الليل كله ... ببيض لطيفات الخصور دواني
يمتننا حتى ترعن قلوبنا ... ويخلطن مطلا ظاهرا ببيان
فعيني يا عيني حتام انتما ... بهجران ام العمرو تختلجان
فما انتما الا علي طليعة ... على قرب اعدائي كما تريان
فلو ان ام العمرو اضحت مقيمة ... بمصر ودوني البحر بحر عمان
اذن لرجوت الله يجمع بيننا ... وانا على ما كان ملتقيان
من البيض مجلاء العيون غذاها ... نعيم وعيش ضارب بجران
افي كل يوم انت رام بلادها ... بعينين انسانا هما غرقان
اذا اغرورقت عيناي قال صحابتي ... لقد اولعت عيناك بالهملان
الا فاحملاني بارك الله فيكما ... الى حاضر الروحاء ثم ذراني

ثم نزل وجاء اخوتها فاكرموه ودلوه على الطريق بعد ان استخبروه عن كعب وموضعه ثم توجهوا في طلبه وضعفت ميلا على ما رواه في نهاية الادب بصداع اصابها فلما حضروا بكعب نزل ناحية وصادف وفاتها فراى الناس عند البيت مجتمعين فحس قلبه بالشر فقال لصبي يا في البيت الذي هو فيه من ابوك قال كعب وكان تركه صغيرا حين مضى الى الشام فقال له علام يجتمع هذا الناس يا غلام قال على خالتي ميلا ماتت الساعة فلما سمع ذلك وضع يده على قلبه واستند الى طنب البيت وحرك فوجدوه ميتا فدفنوه الى جانبها

القسم الثاني فيمن جهل اسمه او اسم محبوبته او شيء من سيرته وما له حقيقته

ونحن وان كنا قد ذكرنا من هذا النوع فيما سلف بعضا لكنهم انما نقصوا شيئا عما ذكرنا بالنسبة الى هذا الكتاب لقلة فحصهم والا فهم مشهورون بخلاف من ياتي بعد وستقف على كثير منهم كامل النسب والاسباب ان شاء الله تعالى لكن غير قوي الشهرة ولم اتبعه في التنويع بان اقول فيمن نزل به الحال ونحو ذلك اذ لا طائل فيما صنع ولا فائدة فيما نوع وبدع وانما كان الاولى ان يذكر المشاهير ثم اهل الجاهلية وهكذا

كما وقع ترتيبه هنا وهؤلاء القوم كثيرون فمنهم اسامة ابن لوي بن غالب
القرشي مشهور قال في النزهة نحر يوما لضيوفه مائة من الابل فاكلوا قليلا
وبقي الغالب فعابه اخوه كعب في ذلك وقال له لو ابقيت عليها لحاجة
كان اولى فغضب ورحل مستخفيا فنزل على ازدي فنظرت [illegible]
فوقع من قلبها وهي من قلبه وزوجها يرصدهما فلم يستطيعا ان يعرف كل
منهما الآخر ما عنده فسأله اسامة ودمى السواك فاخذته وامتصته
ففطن زوجها لذلك فعزم على قتله فسم له قدحا من لبن وقدمه اليه
فغمزته فاراقه ثم ركب وسار الى عرفجة في الحميلة لترعاها ناقته فلما
جذبتها خرجت حية فضربت ساق اسامة فمات لوقته وبلغ الازدية
فلم تزل تبكيه حتى ماتت ولولا ما في هذه الحكاية من الاعتبار بمصادفات
الاقدار لم اوردها اذ لا مناسبة لها بهذا العيار ومنهم عمرو ابن عوف هوى
جارية اسمها ريا فشغف بها طويلا فخطبها الى اهلها فلم يجيبوه وزوجوها
غيره فلما شعر زوجها بحال عمرو معها رحل بها حتى نزل اليمن بين الحارث
ابن كعب وطال الحال على عمرو فطاش عقله وطار لبه فاشار عليه
اصدقاؤه ان يقصد مكة ويتعلق باستار الكعبة ويسأل الله ان يجمعه

بها او صرف قلبه عنها ففعل فبينا هو يطوف في الموسم اذ رآه شخص
من بني الحارث فوقعت بينهما الفة فاخبره بالحال وغياب المرأة فاعلمه
بمكانها منهم فقال عمرو هل لك في صنيعة يحسن شكرها قال نعم فقال
عمرو لنتخلف كل منا عن اصحابه بعد النفر ثم نسير الى مكان يقرب منها
وتمضي انت فتعلمها بمكاني ففعلا ومضى به الرجل حتى جعله في بيته
وذهب فاعلم ريا فكانت تأتيه فيتحدثان ويتشاكيان ما لقيا من
الوجد فانكر زوجها غشيانها المنزل على غير عادة وحسن حالها بعد
ما كانت فيه من الضجر فاظهر لها سفرا يغيب فيه عشرا ثم عاد بعد
ليلتين وقد فرشت لعمرو بساطا امام البيت وتحدثا فنام كل
على طرف من البساط آمنا فنبه عمرو وثار عليه بالسيف فقال من ينجيني
منك يا عمرو وانا لم اذهب الى هنا الا منك فقال يا ابن العم والله لم
يكن بيننا اكثر من الحديث وانما غلب علي حبها من الصغر فقال
زوجها حيث تحققت ان لا ريبة فلا بأس عليك فاقاموا جميعا حتى
مات عمرو من العشق والعفة وجدا وحكي انها عمرت بعده فسئلت
على اي شيء مات عمرو وجدا بك مع انه لا حسن عندك فقالت لما

كنت بالفصيحة وكنت اروي الشعر واحسن الادب ومنهم بشر الشهير بالاديب
هوى جارية من قومه اسمها جيدا فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه
فمنعها اهلها عنه فثار بسبب ذلك شر وخصومة عظيمة فلما طال شوقه
واضمحل حاله جاء الى صديق له يقال له نمير فقال له هل عندك صنيع
تمن به علي عسى ان تعود روحي الي قال بما شئت فاني فاعل قال تمضي الى
حي جيدا فاذا صادفت جاريتها فاخبرها بحالي الى ان تاخذ لي موعدا
قال نمير فمضيت حتى لقيت الجارية فاخبرتها فمضت الى مولاتها فاخذت
منها موعدا بان ياتي بعد العشاء عند شجرات هناك فلما كان الليل
اقبلت فقام اليها بشر وهممت بالانصراف عنهما فقال والله ما بيننا
اكثر مما ترى مكانك فجلسنا حتى مضى شطر من الليل فعزمت على الذهاب
وكادت نفس بشر ان تزهق ثم سالها الاقامة معه بقية ليلها فقالت لا
سبيل الى ذلك الا ان يكون في صاحبك هذا خير فقلت فيما يتم
فرمت ثيابها الي وقالت اذهب الى خدري كانك انا فيجي زوجي و
يطلب القدح للحلب فلا تعطيه حتى تطيل نكره ثم ادم به اليه فاني افعل
ذلك فاذا عاد باللبن فلا تاخذه حتى يضعه هو لنفسه او يطيل وقوفه

فانه بعد ذلك لا ياتيك بقية الليلة قال نمير ففعلت ذلك غير اني بعد
ذلك اذ طال وقوفه باللبن واراد وضعه واردت اخذه تخالفنا فكب القدح
فقال هذا طماح ثم عمد الى سوط مفتول فضربني حتى زايلتني نفسي وهممت
ان اوخذه السكين فخلصوني منه ورد على الستر وجاءت امها تصفني وتوصيني
بان لا اخالف زوجي ظنا انني ابنتها وتقول ما لك وللاشر ثم قامت عني
على ان ترسل لي ابنتها الاخرى تؤنسني فلما جاءت جعلت تبكي وتدعو
على من ضربني واضطجعت الى جانبي فوضعت يدي على فيها ثم قلت
ان اختك مع بشر في موضع كذا وقد جرى علي من جهتها ما علمتي وانت
اولى بالستر عليها فارتعدت ساعة ثم انست فبت معها في اطيب ليلة من
اللطف والعفة حتى اذا جاء الصباح واقبلت اختها فانكرت من معي فقلت
هي اختك وستخبرك ما كان ثم مضيت الى بشر فاعلمته بالخبر فلما راى
اثر السوط في بدني وخروج الدم قال قد عظمت صنيعتك ووجب
شكري قال ابن ظاهر فلم يقم بعدها بشر الا دون شهر وجاءه شخص فقصد
مماجنته فقال له وهو يتناول عنبا اتاكله وجيدا قد قضت الساعة
فلم يسمع منه الا شهقة وحرك فاذا هو ميت فبلغ الخبر الجارية فهتكت

سنها وجرت شعرها والقت نفسها في بير هناك فماتت **ومنهم مسعد**

ابن وائلة الشارجي قال في شرح النواظر كان غلاما حسن الوجه سخي

الكف شجاعا في اللقاء وان اباه توفي فاختلف مع عمه على بكرات فر

مغضبا فنزل على بني باهلة فاقام عندهم برهة فورد الماء يوما فصادف

جارية على بعير قد شدت عقاله وهمت بالنزول فلما دنا قالت له هل لك

في ان تكفيني كلفة التعب قال وفيما تعنين وماذا تطلبين قالت ملو

هذه النقاية ورمت بها اليه فلما ملاتها وهمت ان تتناولها شمرت عن

زندين كانما حجبت عظامهما بالبلور الصافي ثم تناولت القربة فانكشف

البرقع عن وجه كانما تستعير منه الشمس الضياء فداخلني ما خبثت منه

زهاق نفسي قال ثم مضى متغير الاحوال فشكى الى صديق له ما جرى

وسال عن اسم الجارية فقال هي نملة بنت ابيلة ابن مصقع واعلمه بكـ

فكان يمضي في كل يوم فيقف حتى يراها فيشكو اليها ما عنده من حبها

قال الشريري فداخلها من العشق ما داخله فلما علم اهلها بذلك حجبوها

وبلغه علمهم فخرج حياء وخوفا فراى حماما على اراكة يغني فهيج بلابله فانشد

دعت فوق اغصان من الايك موهنا ... مطوقة ورقاء في اثر الف

فهاجت عقابيل الهوى اذ ترنمت ... وشبت ضرام الشوق بين الشراسيف

ثم ادركه الليل فرايا مرحا خشي ان يكونوا قوما فنزل قريبا منهم فسمع قائلا يقول

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

وكان يرى الطائرة فارتابت نفسه من ذلك وراجعه القلق ثم اخذته

سنة واذا بقائل ينشد

ولا شيء بعد اليوم الا تعلة ... من الطيف او تلقى بها سنز لا فقرا

فزاد قلقه ثم عاودته السنة فسمع قائلا يقول

لن يلبث القرناء ان يتفرقوا ... ليل يكر عليهم ونهار

لم يبق يوما عاشقان بحالة ... الا وقد جاءتهم الاغيار

كل وان طال المدى متصرم ... حكم الاله وسابق الاقدار

فقام فركب متنكرا وسار فلما برق الفجر واذا هو براع ينشد

كفى بالليالي مخلقات بجدة ... وبالموت قطاعا حبال القرائن

فعرف صوته فقال فلان قال نعم فقال له ما دهاك قال قد قضت جعت

نملة الذي فسقط مغشيا عليه فلم يفق حتى حميت الهاجرة فحمل الى بيته فاستمر

يا راعي الضان قد القيت لي كمدا ... يبقى ويقلقني يا راعي الضان

نعيت نفسي الى روحي فكيف اذا … ابقى ونفسي في اثناء اكفاني

لو كنت تعلم ما اسررت في كبدي … بكيت مما تراه اليوم ابكاني

فلم يزل يرددها حتى مات ومنهم خالد العذري وكان غلاما حسن الوجه عذب المنطق سخي الكف راوية عارفا بايام العرب واشعارها خرج يوما الى الصيد فلما ورد المشرعة وجد النساء يغترفن الماء ودونهن جارية قد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير وقد اسبلته كأنه الليل المظلم ووجهها من خلاله كأنه البدر في تمه فحين ابصرها سقط مغشيا عليه فقامت اليه فرشت على وجهه الماء فلما افاق وبصر بها قال وهل مقتول يداوي قاتله قالت كيف ما تشكو فثابت نفسه اليه وقد داخلها ما داخله من الحب ثم رجع وهو يقول خرجنا نصيد فاصطدنا ثم انثنا يقول

ومنهم خالد العذري

خرجت لصيد الوحش صادفت قانصا … من الريم صادتني سريعا حبائله

فلما رمتني بالنبال مسارعا … رقاني وهل ميت يداويه قاتله

الا في سبيل الحب عمر قد انقضى … سريعا ولم يبلغ مرادا يحاوله

قال ابن الفرات ثم انه لزم الوساد اياما وان امه اقسمت عليه حين سمعته يكرر الابيات الا ما اخبرها بحاله فاظهرها على الامر فعرفت

الجارية فاذا هي ظريفة بنت صفوان ابن وائلة العذري فمضت اليها واعلمتها القصة وقبلت رجليها على ان تزوره بينهم فعسى ان يشفى ولدها فقالت ان الوشاة كثير ولكن خذي هذا الشعر اليه فاذا امسكه فانه يشفى ثم جزت لها شيئا من شعرها فلما ذهبت اليه به جعل يتنشقه فتراجعه نفسه شيئا فشيئا حتى اشتهى ما ياكل فقدم اليه فتناوله وقام فكان ياتي قريبا من الابيات فتسارقهما النظر وتخالسه هي ايضا الى ان فطن اهلها فالوا على قتله فبلغه فوقع الى اليمن وكان كلما اشتد شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح ولم يزل كذلك فلما كان يوما وقد خرج لبعض حاجاته سقط منه الشعر فلما ايس منه عزم على العود فعنف فقال دعوني فاني ارجو ان اظفر او اموت فصحبه غلام قال ابو سراعة فرأيته في الطريق وعليه بردان وهو يعلم الصبي الابيات ويقول له اذا حاذيت موضع كذا فانشدها رافعا صوتك وذلك لاحد هذين فتبعتهما حتى بلغا الموضع فانشد الصبي

مريض بافناء البيوت مطرح … الى ما به من لاعج الشوق يبرح

يقولون لي حتى النطاسي هل ما … تشكاه من الام وجدك يصلح

وليس دواء الداء إلا بحيلة … أضر بنا فيها غرام مبرح

إذا ما سألناها نوالاً تنيله … فصم الصفا منها بذلك أسمح

فبعث الصبي وهو لا يشعر بي فلما حاذاها رفع عقيرته بالأبيات
ينشدها فسمعت من بعض الأبيات قائلاً يقول

رعى الله من هام الفؤاد بحبه … ومن كدت من شوق إليه أطير

لئن كبرت بالقلب أبراح لوعة … فإن الوشاة الحاضرون كثير

يمشون يبتدون غيظاً وشرة … وما منهم إلا أبل غيور

فإن لم أزر بالجسم خيفة معشر … فبالقلب إني نحوكم لأزور

ثم رجع الصبي فأنشدها أبياتها فأغشي عليها ساعة ثم أفاقت وهي تنشد

أظن هوى الخود الغريرة قاتلي … فيا ليت شعري ما بنو العم صانع

أراهم وللرحمن در صنيعهم … تراكى دمي هدرا وخاب [illegible]

ثم مضى ستكوا حتى دخل بيته ولزمه أياماً إلى أن زفت ظريفة إلى
رجل منهم يقال له نقيب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة ثم أغمي عليه
فحرك فإذا هو ميت وبلغها ذلك فلزمت البكا أياماً ولم تمكن الرجل
من نفسها فلما كان ذات ليلة خرجت من الحي بعد انتصاف الليل

فتبعها حتى انتهت إلى نهر فألقت نفسها فيه فأطلعها وليس بها حراك
ثم احتملها إلى الخيمة فلما أصبح جاءت أمها فوجدت بها رمقاً ولكنها لم
تفقه كلامها فأشارت أن تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها وفي
روضة القلوب أنها غرقت ولم تخرج إلا ميتة **ومنهم مخصي للنوري**
سنداً عن بعضهم أنه رآه وقد تهيأ للحاج فلما دخل بغداد رآه وقد
أقبل إلى تحت قصر ومعه تفاح فجعل يرشق به القصر وجوار تتناوله
بيديها فقال له ويحك ألم تزد للحاج فأنشد

فلما رأيت الحاج قد آن وقته … وأبصرت بزل العيس بالركب تعسف

رحلت مع العشاق في طلب الهوى … وعرفت من حيث المحبون عرفوا

وقد زعموا أن الجمار فريضة … وتاركه مفروض الجمار يعنف

فهيأت تفاحاً ثلاثاً وأربعاً … فرعفت لي بعض وبعض مغلف

ورقت حبال القصر في رمينه … فظلت له أيدي الملاح تلقف

وإني لأرجو أن تقبل حجتي … وما ضمني للحج سعي وموقف

ومنهم رجل من بني كنانة فخذ من بني عذرة أورده مجهولاً وحكايته مشهورة
وهي أن أخاه استخلفه على بيته وخرج لغرض فصادف يوماً أنه دخل

وزوجة اخيه سافرة فرآها فلما علمت بذلك سترت وجهها بيديها وكان ما لقيه من رؤيته معصمها اضعاف ما لقيه من وجهها فخرج وقد اشتعل الحب في قلبه فاقام اياما يكابد العنا حتى لزم الوساد وجاء اخوه فابصره وقد ذوت اغصانه وذهبت محاسنه وتغير جسمه فلم عراقا ولا طبيبا حتى دعاه له فلم ينجح بشيء فوصف له الحارث بن كلدة وكان احذق اهل زمنه فلما رآه قال ليس به الا العشق فقالوا وما السبيل الى معرفة ذلك فقال تسقوه الخمر فعساه ان يصرح ففعلوا ثم غدا عليهم فقالوا له قد ذكر العشق ولكن لم يصرح باسم المحبوبة فقال نبدوه ففعلوا فصرح بربا زوجة اخيه فقال اخوه اشهدكما طالق ثلاثا الا اني اعتاض عنها ولا اعتاض عن اخي فبشروه فقال هي علي كامي ان تزوجتها ومات بعد قليل وقيل خرج هائما ولا يدرا اين مات وان اخاه حين فقده مات اسفا فاختلف في ايهما اكرم ونظير ذلك في السماحة ما وقع للحكم ابن المطلب المخزومي فانه هوى جارية فاشتراها بمال عظيم واراد الدخول بها فلبس افخر ومضى ليعلم اباه وكان ابوه يحب اخاه عتبة اكثر منه فاقسم عليه

ان يهب الجارية لاخيه ففعل فابى اخوه فاعتقها حتى قبل ان يموت رحمهما الله عطايا مشهورة ومنهم غلام قال في الزهرة هو هذلي واسمه راشد ابن صعوان الهذلي وقال الجلال السيوطي في شرح الشواهد عن ابن عساكر ان اسمه غاوي وكان له كلب اسمه راشد وكان له صنم ياتي اليه كل صبيحة فيسجد له ويذهب الى الصيد فجاء يوما فراى الثعالب قد بالت على راس الصنم فكسره وانشد

وربّ يبول الثعلبان براسه	لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم اقبل الى رسول الله ص فقص عليه الخبر واسلم فقال له ما اسمك قال غاوي قال وكلبك قال راشد قال لا انت راشد وكلبك غاوي ثم ذهب وكان يغدو على بني عامر لالفة رجل منهم فلمح جارية منهم يقال لها هيفا بنت عبد الله ابن عامر وكانت من اجمل نساء العرب فغادره من حبها ما كاد ان ياتي على نفسه ثم ان الجارية تزوجت بشخص من جهينة فلما حملها الى حيه وطال على الغلام الشوق وانقطاع الاخبار ذهب عقله وكان يدرج غاديا فقصد صيادا قد اصطاد خشفا فوقف ينظر اليه ويبكي ثم انشد

وذكرني من لا أبوح بذكره / محاجر ظبي في حبالة قانص
فقلت ودمع العين يجري بحرقة / ولحظي إلى عينيه لحظة شاخص
ألا أيها القانص الظبي خله / وإن كنت تأباه فعشر قلائص
خف الله لا تحبسه إن شبيهه / حبيبي فقد أرعدت منه فرائصي

فقال له الصياد دونك هو فحله ثم قبله وأطلقه وأتبعه نظره حتى غاب ثم قال للصياد ائتني غدا بموضع كذا وأقبل يسوق عشرا من الإبل فأبى الصياد قبولها فأقسم عليه إلا ما أخذها فقبلها وانصرف

ومنهم قيس وصاحبته نعمى هو قيس بن منقذ بن مالك الكناني المشهور بابن الحدادية كان يهوى نعمى الخزاعية وكانت كنانة وخزاعة يتقاربون في المنزل لأن بينهم نسب لا يرمى وكان قيس يجلس إلى نعمى فيتحادث معها فدخل بينهما الهوى وقيل أنها زانة وقد ركب يوما غبت زينة فمر على أكثر من حضر بالشجاعة فدعته للمحادثة وقد نزلت مع أتراب لها على منتزه فنزل وتحادثا ساعة فأقبل راع يسوق غنما فاشترى قيس منه عنزة وذبحها للنساء فلما أكلن وقمن ترك الفاضل منها على الأرض فتمثل بهذا البيت ويقال أنه لحاتم الطائي

إذا لم يكن للطير في زاد عزوة / نصيب فليسوا في الورى بكرام

فانتشا الود بينهما ولم يزالا على ذلك برهة إلى أن أجدبت سنوهم فارتحلوا منتجعين فافترقت القبيلتان فلما كان يوما نظرت كنانة إلى مواضع ديارها فوجدوا البروق مليئة والسحب فضية فعلموا أن الغيث عمها فارتحلوا إلى أن نزلوا بها فنظر قيس في مواضع خزاعة فتذكر اجتماعهم فتنفس الصعداء وأنشد

لعمرك إن نعم نأت أنت جازع / قد اقتربت لو أن ذلك نافع
قد اقتربت لو أن في قرب دارها / نوالا ولكن كل من ضن مانع
فإن تلقين نعمى هديت فحيها / وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع
وظني بها حفظا لغيبي ورعية / لما استرعيت والظن بالغيب واسع
وقد تلتقي بعد الشتات أولو النوى / ويسترجع الحي السحاب اللوامع
وما أم جدوى نازعت حبل حابل / لتنجو منه أسلمت وهي طائع
بأحسن منها ذات يوم لقيتها / لها نظر نحوي لدى البث خاشع
كأن فؤادي بين شقين من عصى / حذار وقوع البين والبين واقع
فقلت لها يا نعم حلي محلنا / فإن الهوى والشمل يا نعم جامع

فقالت وعيناها تفيضان عبرةً … باهلي بيّن لي متى انت راجع

فقلت لها تالله يدري مسافرٌ … اذا اضمرته الارض ما الله صانع

وانّي لعهد الودّ راعٍ وانّني … بوصلك ما لم يطوني الموت طامع

ثم لم يزل متعللًا بالاماني يعتوره الخبال ايامًا الى ان بلغه ان خزاعة بجبل بالتيم من اليمن فارتحل حتى وقع بهم فقيل انه عند دنوه منها سقط ميتًا ومنهم توبة ابن حمير ابن اسيد الخفاجي وكان شجاعًا مبرزًا في قومه سخيًا فصيحًا مشهورًا بمكارم الاخلاق ومحاسنها وخفاجة على ما ذكر فخذ من قحطان وكانت تنزل ببني الاخيل كعب ابن معاوية ويغزون معهم ويتجرون في المرج وكان رئيس بني الاخيل حذيفة ابن شداد ابن كعب وكان له ابنة قد شاع في العرب ذكرها بالحسن والفصاحة وحفظ انساب العرب وايامها واشعارها اسمها ليلى فغزوا يومًا فلما رجعوا لحانت من توبة التفاتة وقد برزت النساء بالبشر والاسفار للقاء القادمين من الغزو فراى ليلى فافتتن بها فجعل يعاودها فيتحدث معها الى ان اخذت قلبه واطارت لبه فشكى لها ما نزل به من حبها فاعلمته ان بها منه اضعاف ما به منها فاقاما على التزاور الى ان حجبها ذووها

فقلق

فقلق توبة لذلك حتى خامره الجزع وكاد يذهب بعقله احيانًا فاشاروا عليه بتعاطي الاسفار والخوض في الحادثات فعزم على الشام فمر بجميل فانزله واحسن في خدمته ثم تداعيا الصراع وكانا في موقف تشرف منه بثينة عليهما فصرعه جميل ثم نضله فهدّه على ظهر الفرس ولم يكن له كفوًا فقال له توبة كانك تحسب ذلك منك ولم تدر انه بريح هذه الجالسة واشار الى بثينة ثم دعاه الى وادٍ يخفى عنها وتصارعا فصرعه توبة ثم مضى في طريقه فمر باشجار في وادي الغيل وعليها حمام تغرد فعاودته الاشجان فانشد

نأتك بليلى دارها ان تزورها … وشطّ نواها واستمرّ مريرها

بقول رجال لا يضرك نأيها … بلى كلما شفّ النفوس يضيرها

اليس يضير العين ان تكثر البكا … ويمنع منها نومها وسرورها

لكل لقاءٍ نلتقيه بشاشةٌ … وان كان حولًا كل يوم نزورها

يقرّ بعيني ان ارى العيس تعتلي … بنا نحو ليلى وهي تجري صفودها

واشرف بالارض اليفاع لعلّني … ارى نار ليلى او يراني بصيرها

فنادت ليلى والحمول كانها … مواقير نخل زعزعتها دبورها

فقالت أرى أن لا تعيد لحي صحبتي — لهيبة أعداء تلظى صدورها
فمدت لي الأسباب حتى بلغتها — برفقي وقد كان ارتقائي يضورها
فلما دخلت الخدر أطت نسوعه — وأطراف عيدان شديد سيورها
فأرخت لنضاح القفا ذي منصة — وذي سيرة قد كان قدما يسيرها
وإني ليشفيني من الشوق أن أرى — على النأي والبعد المخوف أزورها
وأن أرى العيس الجسر بأرضها — تطيف بها أعقابها ونسورها
حمامة بطن الواديين ترنمي — سقاك من السحب الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعما — ولا زلت في خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات يبرها الفتى — فتخفى وتهوى النفس ما لا يضيرها
وكنت إذا ما زرت ليلى برقعت — وقد رابني منها الغداة سفورها
وقد رابني منها صدود رأيته — وإعراضها عن حاجتي ونفورها
أرتك حياض الموت ليلى وراقنا — عيون نقيات الحواشي تديرها
ألا يا صفي النفس كيف تقولها — لو ان طريدا خائفا يستجيرها
تخبر وإن شطت بها غربة النوى — ستنعم ليلى أو يفادى أسيرها
وقالت أراك اليوم أسود شاحبا — وان بياض الوجه حر حرورها

وغيرني إن كنت لما تغيري — هواجر تكتنيها وأسيرها
إذا كان يوم ذو سموم أسيره — وتقصر من دون السموم ستورها
وقد زعمت ليلى بأني فاجر — لنفسي تقاها أو عليها فجورها
أتحزمي ريب الزمان ولم أزر — جواري من همدان بيضا نحورها
تنوء بأعجاز ثقال وأسوق — خدال وأقدام لطاف خصورها
أظن بها خيرا وأعلم أنها — ستنفك يوما أو يفك أسيرها
أرى اليوم يأتي دون ليلى كأنما — أتت حجة من دونها وشهورها
على دماء البدن إن كان بعلها — يرى لي ذنبا غير أني أزورها
وإني إذا ما زرتها قلت اسلمي — ويا بأبي قول اسلمي ما يضيرها

وهذه القصيدة قال صاحب النزهة أنشدها حين سمع سجع الحمام كلها
وقيل أنشدها متقطعة بحسب الوقائع وإنما جمعها الشعراء وها أنا
أورد ذكر غريبها وما وقع لبعض أبياتها من الحكايات قيل لما وقفت ليلى
على قوله فلما دخلت الخدر غضبت شديدا ثم أمسكت عن كلامه دهرا
فتوسل إليها وعرض عليها أنه يريد أن يسقي نفسه السم لما أن تكلمه وجمعت
ثلاثة من أهلها بحيث يخفون عليه واستحضرته فلما أتته قالت أي

خلدٍ دخلت معي حتى تقول فقال هذا استرسال الشعراء ثم ذكر لها
امثال ذلك وتنصّل ففرحت بسماع اهلها ذلك واما قوله وكنت اذا
ما زرت ليلى ببرقع فعلت لحقه بعد اكمالها وسبب انشاده انه كان يزورها
على خيفةٍ وخفيةٍ فلما اشتد التحريج عليه جعلت بينها وبينه امارةً
فقالت اذا ما رأيت وجدتني ببرقعةٍ فاجلس مطمئنا فلا حرج حينئذٍ
فلما قوي حرصهم وتوعدهم بها واجمعوا ان يفتكوا به اذا راها فخرجت
يوم ميعاده سافرةً على كثيبٍ بحيث يراها على البعد فلما اقبل وراها
سافرةً مضى في طريقه متنكبا وهو يقول وكنت اذا ما زرت ليلى
الابيات ثم رحل الى الشام فاقام بها يسيرا فلم ياخذه قرار وتاقت
نفسه الى العرب وكان يخرج الى الربوة ليسلي نفسه فلم يكن له
دأب الا البكاء فاقام اياما لا يلذ له حال ولا ينعم له بال فخرج يريد
البادية فمر حين قابل حيها بصبي صغير يلعب فقال له هل انت عارف
بليلى قال بلى قال امض اليها وانشد وكنت اذا ما زرت ليلى ببرقعة
وعد اليّ فاحسن منقلبك فمضى الغلام وانشد البيت لليلى
فعلمت ان توبة قد ورد الحي فقالت للغلام قل له انها الان ببرقعة

فمضى

فمضى الغلام اليه واعلمه بذلك فاعطاه دينارين واقبل فجدد زيارتها
ثم قال لها مكنيني من ان اقبلها ففي الكر والتضرع الى سالها قبلة فانشدت

وذي حاجةٍ قلنا له لا تبح بها ... فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحبٌ لا ينبغي ان نخونه ... وانت لاخرى صاحب وخليل

ففطن انها استرابت منه فحلف انه لم يرد سوءا وانما نفسه قد حدثته
بان يجربها فاستشاطت شوقا ثم ودعها على استحياء ومضى فما استقر
به المنزل حتى عزمت خفاجة على غزو الهذليين فخرج فقتل في الوقعة
فلما وقع وبه رمق اذ دركه ابن عمه فقال هل لك حاجة قال نعم تبلغ ليلى هذه الابيات

وانشد

الا هل فؤادي من صبا اليوم صافح ... وهل ما وأت ليلى به لك ناجح
وهل في غدٍ ان كان في اليوم علةٌ ... سراحٌ لما تلوي النفوس الشحائح
ولو ان ليلى الاخيلية سلّمت ... عليّ ودوني جندلٌ وصفائح
لسلّمت تسليم البشاشة او زقا ... اليها صدًى من جانب القبر صائح
ولو ان ليلى في السماء لاصعدت ... بطرفي الى ليلى العيون الكواشح
ولو ارسلت وحيا اليّ عرفته ... مع الريح في موّارها المتناوح
أأغبط من ليلى بما لا انا له ... الا كل ما قرت به العين صالح

سقتني بشرب المستضاف فصردت ... كما صردت اللوح النطاف الصحاصح
فهل تبكين ليلى إذا مت قبلها ... وقامت على قبري النساء النوائح
كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها ... وجاد لها جار من الدمع سافح

وقيل أن هذه القصيدة أنشدها قبل ورود الوقعة وإنما أنشد عند موته قوله

عفى الله عنها هل أبيتن ليلة ... من الدهر لا يسري إلي خيالها

وأن ابن عمه حين جاء أنشدها الأبيات أو هذا البيت فأجابته تقول

وعنه عفى ربي وأحسن حاله ... فعز علينا حاجة لا ينالها

وقيل مات عشقا وكيف كان لما بلغ نعيه ليلى خلعت ثياب الزينة
وأقامت على الحزن حتى ماتت بعده لكن بسنين كثيرة فقد قيل أن وفاة
توبة كانت سنة سبعين وقيل إحدى وسبعين ووفاة ليلى كانت سنة
إحدى وثمانين قيل مرت بقبر توبة فقال زوجها هذا قبر توبة الكذاب فقالت
لم يكن والله كذابا فقال لها أليس يقول ولو أن ليلى الأخيلية سلمت
البيتين سلمي عليه لتنظر فامتنعت فأقسم عليها أن تفعل فلما سلمت خرج
من طاقة القبر بومة فأجفلت الناقة فوقعت ليلى فاندق عنقها فماتت
فدفنت إلى جانبه وقيل طير كانت تزعم العرب أنه يقيم في هامة المقتول

حتى يؤخذ بثاره وحكي أنها هي التي قصدت ذلك وهذه القصة رواها في
الزهرة عن متفرقين ووثقها وأما هنا فقد حكى ما قدمناه إلا السبب على
ليلى نفسها وأنها حكت ذلك للحجاج حين قدمت عليه تحدثه من جدب
الزمان فوهب لها ما أمر بعطائها وذلك فيما أخرجه المدائني عن مولى عنبسة
قال كنت مع أستاذي عند الحجاج إذ قال له الحاجب بالباب امرأة
فقال أدخلها فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه إلى الأرض فاستجلسها
ثم استنسبها فانتسبت فقال لها ما جاء بك قالت إخلاف النجوم وقلة الغيوم
وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد فقال لها صفي لنا
الفجاج فقالت الفجاج مغبرة والأرض مقشعرة والبرك معقل وذو
العيال مختل والهالك للقل والناس مسنتون رحمة الله يرجون
وأصابتنا سنون مجحفة مبطلة لم تدع لنا هبعا ولا ربعا ولا عافطة
ولا نافطة أذهبت الأموال وفرقت الرجال وأهلكت العيال
فانظر إلى هذه الفصاحة والبلاغة ولذلك انقاد لها الحجاج مع تجبره
ثم مدحته حتى استغنى وقال لم يصب وصفي منذ دخلت العراق
غيرها أمره لك الخازن اقطع لسانها فأراد ذلك فقالت ويحك إنما

اراد بالعطاء فراجعه فغضب فامر بعودها ثم قال لجلسائه هذه ليلى
التي مات توبة من حبها ثم قال لها انشدينا ما قال فيك توبة فانشدته
بطن الوادين الابيات فقال لها وما قلت انت فيه فقالت كثيرا ايها الامير فقال هات فانشدت

نظرت ودوني من عماية منكب	وبطن الركاء اي نظرة ناظر
اوانس ان لم يقصر الطرف دونهم	فلم تقصر الاخبار والطرف قاصر

وهي من قصيدة ترثيه فيها واخذت غير ذلك مما لا حاجة لنا بذكره فامر
عليها فوق ما سالت ثم قال لها هل بقي لك حاجة فقالت نعم
تدفع الى النابغة احكم فيه بما ارى وكان يهاجي هو واياها فلما
سمع ذلك هرب الى الشام فتبعته ثم استاذنت عبد الملك فيه فاذن
لها واظنه الذي سالها عن توبة أكان كما يقول الناس فقالت يا
امير المؤمنين كان والله سبط البنان حديد اللسان عفيف المئزر
جميل المنظر لا كمعوية كما قيل هنا ثم انها لم تزل في طلب النابغة
حتى توفيت بقومس بلدة من اعمال بغداد على جانب الفرات وقيل
بحلوان والمدا بينهما قريب وهذا يعارض ما سبق من موتها عند
قبر توبة وظاهر تظافر الروايات صحة الاول ومنهم عامر بن سعيد بن زائدة

وينسب الى كعب ابن الاسيل الطائي قال وكان يهوى ابنة عمه
جميلة بنت وائلة ابن زائدة قال في النزهة ان ولادتهما كانت في ليلة
واحدة ونشآ غير مفترقين حتى بلغا الحلم وقد اشتد كلف كل واحد منهما
بصاحبه وكان سعيد ذا ثروة وكان وائلة قد اتفق معه على تزويج ابنته
من عامر فاتفق ان وقع بين بني تميم ومزينة واقعة فانتهبت مزينة فلم
يترك لسعيد شيئا ولا نابت ووقع فيه جراح كثيرة فمات اثر الواقعة بايام
وقد املق اهله فامتنع وائلة من تزويج عامر وحجب جميلة عنه فخبل
واعتوره الجنون قال الشيرازي لم يمنعه منها الاملاق وانما كان ابوه
عن ان يتبع عشقها فلما مات اشاعه في العرب وشببها فامتنع عمه لما
سبق لك بيانه من عادة العرب ولما اشتد به الحال اشار النساء على امه
ان تعرض عليه العذريات فكان كلما راى واحدة يذكرها ثم يتنفس الصعداء
ويقول ماء ولا كصداء المثل السابق فلما كان بعد مدة قدم رجل من
طي على وائلة فخطب جميلة منه وذكر النسب فزوجها منه فلما زفت اليه
وقع عامر على الوساد فاعتزلت بيرامة عن العرب لئلا يرى الزفاف قال
الاخفش سعيد ابن مسعدة خرجت في طلب ضالة لي فوقعت على هذا

البيت أو قال نزلنا على ماء لطي فإذا نحن بخيمة منفردة فقصدناها
وأخرج الحكاية وكلها في نديم المسامرة عن أبي عمرو بن العلاء عن تميمي
فأسندها إلى الأصمعي وأخرج الوراق عن الأسد أن المباشر للحكاية هو
الأصمعي وعلى كل التقادير فمحل الاتفاق أن الرجل حين انتهى إلى
البيت رأى عجوزاً عليها بقية الجمال ساهية متفكرة وفي كسر البيت
شخص كالخيال مسجى عليه قطيفة قال فسألتها عنه فقالت هو ولدي
وسائر كذا وكذا وأعادت القصة ثم قالت هل لك أن تعظه فوعظته
ونهته حتى قلت له إنها امرأة كغيرها ألا كيف يقول كثير

هل وصل عزة إلا وصل غانية ... في وصل غانية من وصلها خلف

فقال هو ما تقول وأنا وامق فلست كهو إنما أنا كأخي تميم يعني جميل حيث يقول

ألا لا يبصر الحب ما كان ظاهراً ... ولكن ما أخفى الفؤاد يصير
ألا قاتل الله الهوى كيف قادني ... كما قيد مغلول اليدين أسير
لم أنتد ۵ ألا ما للمليحة لا تعود ... أبخل بالمليحة أم صدود
مرضت فعادني عواد قومي ... فما لك لا ترى فيمن يعود
فقدتك بينهم فبكيت شوقاً ... وفقد الإلف يا أملي شديد
فلو كنت المريضة كنت أسعى ... إليك ولم ينهنهني الوعيد
ولا استبطأت غيرك فاعلميه ... فحولي من ذوي رحمي عديد

ثم فاضت نفسه فجزعت فقالت العجوز لا تخف فقد استراح مما
فيه كان ولكن إن أحببت إكمال الصنيعة فأنعم إلى الأبيات فيقعد
فخرجت جارية عليها أثر العرس وهي أجمل من رأيت فتخطت رقاب
الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشدت

عداني أن أزورك يا مناي ... معاشر كلهم واش حسود
أذاعوا ما علمت من الدواهي ... وعابونا وما فيهم رشيد
فأما إذ حللت ببطن أرض ... فقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لي الدنيا فراقاً ... ولا لهم ولا أثرى العديد

ثم خرت ميتة فخرج شيخ وهو يقول لئن لم أجمع بينكما حيين لأ
بينكما ميتين ودفنهما في قبر واحد هذا ما اتفق عليه سوى الوعظ ومنهم
ما حكى الأصمعي قال بينا أنا أسير إذ أجنني الليل فأويت إلى جبانة فتوسدت
قبراً وإذا أنا بهاتف منه يقول

أنعم الله بالحبيب عيناً ... وبمسراك يا سعاد إلينا

وحشة ما لقيت من خلل القبر	عسى ان نراك او ان ترينا

فدخلت حين طلع الصبح الى الحي واذا انا بجنازة فتبعتها حتى جاؤا بها فدفنت الى جانب القبر الذي سمعت منه الصوت فحدثتهم بذلك فاخبروني ان هذا رجل منهم احب ابنة عمه هذه فتزوج بها فلم يقم الا قليلا فلما حضرته الوفاة تعاقدا ان لا تتزوج بعده فاشتد بها الوجد حتى ماتت الليلة قلت وهذا جائز ان يقع من النفوس المجردة اذا تصادق اعتلاقهما فان اللذات بعد مفارقة الهياكل الجسمانية اشد اعتلاقا ومنهم فتى اسدي احب ابنة عمه وكان اسمها سعدى فمنعه ابوه ان يتزوج الا بارفع منها لانه ايسر منها وابى الغلام الا هي فلما ايسر ابوها زوجها من رجل فاشتد وجد الغلام واتفق انه لقيها يوما فانشد

لعمري يا سعدى لطال تأيمي	ومعصيتي شيخي فيك كليهما
وتركي ذا الحيين لم ابغ منهما	سواك ولم يرتع هواي عليهما

فاجابته الجارية

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتي	كفاني ما بي من بلاء ومن وجد
ومن عبرات تعتريني وزفرة	تكاد لها نفسي تسيل من الجهد

غلبت على نفسي جهارا ولم اطق	خلافا على اهلي بهزل ولا جد
ولن يمنعوني ان اموت بغمهم	غدا جوف هذا الغار في جدث وحدي
فلا تنس ان تأتي هناك فتلتمس	مكاني فتشكو ما تحملت من جهدي

وقد اوضحت له انها هالكة من الغد بعشقه فلما كان الموعد جاء فوجدها ميتة فاحتملها الى شعب جبل يقال له عرفات بضم المهملة ملتزمها فمات واختفى امرهما حولا حتى مر شخص من العرب فسمع هاتفا على الجبل يقول شعرا

ان الكريمين ذوو الصفا في	الذاهبين بالوفاء الصافي
والله ما لاقيت في تطوافي	ابعد من غدر ومن اخلاف

من ميتين في ذرى اعراف

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما ومنهم عمرو بن كعب ابن النعمان ابن المنذر ابن ماء السماء ملك العرب المشهور وكان ابن عساكر وكان من فرسان العرب وحماتها وكرمائها وشجعانها وكان جده النعمان صاحب الخورنق وهو الذي كفله حين مات ابوه وهو صغير فلما نهد النعمان في الملك كما هو مشهور ضاع امر الغلام

قال في التهامات فأخذه عمه التجار فلما بلغ عنده وكان له بنت
تعرف بالعقيلة وهي من أجمل نساء العرب وأعلمهن بالأدب وأحوال العرب
أياماً ووقائع فتعلقت نفس عمرو بها واشتد ولوعه وزاد غرامه فخطبها
الى عمه فطلب منه مهراً يعجز عنه فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج الى
ابرويز كسرى لما كان بين جدودهما من الوصلة فلما ذهب في الطريق
مر بعراف فبات عنده فاستعلم منه الأمر فأخبره انتزاعها فيما لا بد له
فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة القزاري فهام على وجهه الى اليمامة
فلما بنى بها القزاري وكان عندها من العشق لعمرو أضعاف ما عنده لها
وكانت تشد القزاري إذا جن الليل الى كسر البيت وتبيت بالخدر
فإذا أصبح الصبح تطلقه فيستحي أن يخبر العرب بذلك فأقام على هذا
الحال سبعين ليلة فلما كثر توبيخ العرب له واختلاف ظنونهم به خرج فلا
يدرى أين ذهب وأقامت العقيلة بيت أبيها لا تتناول إلا الأقل
مما يمسك الرمق وزاد بها البكاء على عمرو وهو كذلك ولم يمكنها الا جماع
قال الغرباني في عجيب الاتفاق في تطابق أحوال العشاق فمرض عمرو
مرضاً كاد أن يأتي على نفسه وكان لا يرى إلا شاخصاً الى السماء

متمسكاً بسبب قد علقه بيده من العشاء الى الصباح وهو ينشد

إذا جن ليلي فاضت العين أدمعاً ... على الخد كالغدران أو كالسحائب
أود طلوع الصبح والليل قائل ... لقد سدت الأفلاك بعد الكواكب
فما أسفي إلا على ذوب مهجتي ... ولم أدر يوماً كيف حال الحبائب

فلما كان بعد أيام دخل عليه صديق له فوجده غاماً بالضحك مستبشراً فقال له

لقد حدثتني النفس أن سوف نلتقي ... ويبدل بعد بيننا بتداني
فقد آن للدهر الخؤون بأنه ... لتفريقنا فقد كان يلتئمان

ثم شهق شهقة فاضت فيها نفسه قال الغرباني فضبط اليوم الذي مات
فيه فوجد موت عقيلة في ذلك اليوم أيضاً وأخرج المصنف عن ابن دريد
عن الفرزدق قال خرجت في طلب غلام آبق فلما صرت على ماء لبني حنيفة
جادت السماء بالأمطار فلجأت الى بيت من جريد النخل وفيه جارية كأنها
القمر فحييت وقالت من الرجل قلت تميمي قالت من أيها قلت من
نهشل ابن غالب فقالت إذاً أنتم الذي يقول فيكم الفرزدق

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول
بيت زرارة محتبٍ بفنائه ... ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

قلت نعم قالت قد هدمه جرير بقوله

اخزى الذي سمك السماء مجاشعاً	واحل بيتك بالحضيض الاوهد

قال فاعجبتني فلما رات ذلك في عيني قالت اني توءم قلت اليمامة

فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكري	بها اهل المروة والكرامة
الا فسقى المليك لجش جوا	يجود بسحه ملك اليمامة
احيي بالسلام ابا نجيد	واهل للتحية والسلامة

قال فانست بها فقلت اذات خدر ام ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمروا	تؤرقه الهموم الى الصباح
تقطع قلبه الذكرى وقلبي	فلا هو بالخلي ولا بصاح
سقى الله اليمامة دار قوم	بها عمرو ونحن الى الرواح

فقلت لها من عمرو فانشدت

اذا رقد النيام فان عمروا	لكالقمر المنير المستنير
ومالي في التبعل من براح	وان رد التبعل لي اسيري

ثم سكتت كانها تسمع كلاما ثم انشات تقول

يجيل لي ابا كعب ابن عمرو	بانك قد حملت على سرير
فان يك هكذا يا عمرو اني	مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت ومنهم ما حكاه الاصمعي وقد قال له الرشيد حدثني باعجب ما رايت قال كنت كثير الاسفار فمررت قاصدا اليمامة ببيت بلوح وقد قرب الليل فاردت المبيت عنده فقالت لي امراة منه اضيف انت قلت نعم فقالت الرحب والسعة ولكن نخ حتى ياتي رب المنزل فعدلت الى طوي هناك فسقيت ناقتي وجلست واذا ابو دراء يحمل جفنة زبد معها تمر ورطب فقالت تعلل بهذا فقلت في فيه وبريكفا فاكلت واخرجت دقيقا فاطعمت ناقتي وتوسدت ذراعها واذا بغنم قد حال ما بيني وبين البيت ثم غفت عيني فلم افق الا وشاب على احسن ما يكون ومعه عبيد قد اقبلوا بحطب ونار فاضرموها وجاؤا بكبش فذبح وكشط ولحجوا وثردوا وقدم الينا فاكلنا ثم قال لي كن هنا حتى اتيك الصباح فلما اشرق الضحى جاء ففعل كما فعل ليلته فلما اكلنا قال لي اقض حقك فاقم عندي يومك فقلت سمعا وطاعة فركب فمكثت ساعة واذا الجارية تقول لي اجب ابنة عمك فقلت كيف اكلمها

وقيمها غائب فقالت من وراء الحجاب فأقبلت فسلمت فقالت يا ابن العم
تريد اليمامة قلت نعم قالت فاحفظ عني هذه الرسالة وأعد إلي جوابها وأنشدت

أعلى العهد ما لك ابن سنان … أم سقاه أفاويق الغدر ساقي
إن يكن خان أو تناسى فإني … لعلى العهد ما استباغ رماقي
ما ألم الرقاد مذ بنت إلا … بجفون قريحة الآماق
فعليك السلام ما لألأ الغور … وما دب في الثرى عرق ساق

ثم قال ليكن إنشادك الأبيات بالحضرمية فلما خرجت في اليوم الثاني
خرج الشاب فقال يا ابن عمي هل أنت مبلغ عني رسالة وعائد إلي
بجوابها قلت نعم فقال قف بقران بني نجيم وأنشد

أيا سرحتي قران بالله خبري … عن البكرة العنساء كيف نزاعها
فلو أن فيها مطمعا لمتيم … نأت دارها عنه وحيف امتناعها
لهان عليه جوب كل تنوفة … يخاف عليه جورها وضباعها
تغربت عن نفسي وأيقنت أنها … تريد وداعا يوم جد وداعها

فلما دخلت اليمامة وقفت حيث وصف وأنشدت الأبيات فإذا
بجارية حاسرة كأنها مهرة ضامرة تنشد

تحمل

تحمل هداك الله مني تحية … إليه جديد كل يوم سماعها
وخبر عن العنساء أن قد توخمت … عليها مراعيها وطال نزاعها
لقد شتت البين المشتت ألفة … عزيز علينا أن يحم انقطاعها

ثم شهقت شهقة فماتت فلما أردت الانصراف وقفت بالحضرمية وأنشدت
أبيات المرأة فأجابني فتى يقول

لم يحل عن وفائه ابن سنان … لا ولا غاله انتشاء الفراق
إن بين الحشا لهيب اشتياق … ليس يطفي جواه إلا التلاقي
إنما أبقت الهموم خيالا … باليا ممسكا بماء الرماق

ثم شهقت شهقة فماتت فلما رجعت إلى الحي أخبرت المرأة بجوابها
فشهقت شهقة فارقت نفسها وعلت الأصوات فأقبل الشاب فقال
ما شأنها فأعلمته الخبر ثم أنشدته جواب أبياته فقال فها أنا أيضا ميت
فاضطجع وكأنما كانت نفسه بيده وهذه الحكاية أخرجها في نديم
المسامرة والنهاب في منازل الأحباب والحافظ مغلطاي في الواضح
وأمثال هذه عندهم يعرف بالعشق المسلسل ونظير ذلك ما رواه
الشيرزي عن العتبي قال تذاكرنا العشق يوما وبيننا شيخ ساكت فقلنا

له الا اخذتنا بما عندك في هذا فقال جلسنا يوما للشرب ومعنا قينة تغني

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا … ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى

فقال شاب كان بالمجلس احسنت والله يا سيدتي أتأذنين لي أن
اموت فقالت مت راشدا ان كنت عاشقا وكان يهوى القينة فاضطجع
فاذا هو ميت فتنغص مجلسنا ثم دخلت الى اهلي فاخبرتهم بالقصة
وكان لي ابنة تهوى الشاب ونحن لا ندري فلما سمعت الخبر قامت الى
خلوة وانكرت قيامها فدخلت اليها فاذا هي متوسدة كما وصفت لها
الشاب ميتة فلما اخرجنا بجنازتها وبالشاب وجدنا جنازة ثالثة واذا
هي القينة ماتت حين بلغها موت ابنتي لأنها كانت تهواها ومنهم
ما اخرج الحافظ عن ابن دريد عن عبيد العتابي غلام ابي الهذيل
قال رجعت من تشييع جنازة وقد اشتدت الهاجرة فملت الى ظلال
انقباء فسمعت صوتا مطربا فطرقت الباب استسقي الماء فخرج شاب
على احسن صورة غير ان العلة لم تبق الا رسمه فادخلني الى موضع
انيق بالفرش وجاءت جارية فغسلت رجلي ثم بعد تنبه جاء بالطست
فقلت قد غسلت قال نعم ولكن اغسل يديك للغداء فغسلت وجاؤا

بطعام

بطعام فاقبل يضاحكني ويأكل متغصصا والعبرة تخنقه ثم جاء بشراب
فسقاني وشرب ثم قال قم بنا الى نديم لي فدخلت معه لبيت لطيف فيه
قبر قد صب حوله الرمل فجلسنا فشرب وسقاني ثم انشد يقول

اطأ التراب وانت رهن حفيرة … هالت يداي على صداك ترابها
اني لأعذر من مشى ان لم اطأ … بجفون عيني ما حييت جنابها
لو ان جوجوا ابجي متلبس … بالنار اطفى حرها وأذابها

ثم اكب على القبر مغشيا عليه فجاء خادم فرش عليه الماء فافاق واذا هو وسقاني

اليوم تاب لي السرور لانني … ايقنت اني عاجلا بك لاحق
فغدا اقاسمك البلا وتسوقني … طوعا اليك من المنية سائق

ثم قال قد وجب عليك حقي فاحضر غدا جنازتي فدعوت له بطول
البقاء وانصرفت فقال عققتني ان لم تقل

جاور خليلك مسعدا في رمسه … كيما ينالك في البلا ما ناله

فانصرفت عنه فلم اعرف نوما حتى اصبحت فأتيته فاذا هو قد مات
فدفن الى جانبها قلت نقل في عجيب الاتفاق وليس من شأنه هذا
ان هذا الشاب كان يهوى ابنة عمه وموانع منها زمانا ثم مات ابوها

فتزوج بها فاقام معها ثلاث ليالٍ ثم حُمّت ساعة من نهار فجلس واخذ
راسها على ركبته فطلبت الماء وشربت فشرقت فماتت فدفنها في بيته
واقام يبكي وقد هجر الطعام والشراب واللبس والنوم فكانت مدته الى
ان لحق بها ثلاثة عشر يوما **وايضا** من نظير المسلسل ما روي عن يونس النحوي
قال نزلت بصديق لي بماوية يقال له مالك العذري فاذا انا بامرأة
قد تكلم فاستبشر النساء بذلك فسألت صديقي عن الخبر فقال رجل منا
احب ابنة عمه فتزوجها رجل وحملها الى الحجاز فصار ملقى على فراشه
من نحو حولٍ لا ينطق فقلت احب ان انظره فقمنا حتى وقفنا عليه
فقالت امه يا ولدي هذا عمك مالك ففتح عينه وانشد

ليبكني اليوم اهل الود والشفق … لم يبق من مهجتي الا شفا رمق
اليوم آخر عهدي بالحياة فقد … أُطلِقتُ من ربقة الاحزان والقلق

ثم تنفس فاذا هو ميت فقمنا عنه فلما رجعنا واذا انا بجارية سفعاء
ناعمة الشباب تبكي بحرقة وجزع فسألناها عن السبب فانشدت

اليوم ابكي لصب شف مهجته … طول السقام واضنى جسمه الكمد
يا ليت من خلف القلب المهيم به … عندي فاشكو اليه بعض ما اجد

لقد رزيت بك اسرى لي النسيم به … ام انت حيث يناط السحر والكبد

ثم شهقت شهقة فخرت ميتة فسألنا عنها فاذا هي تهوى الشاب **قلت**
قال في الزهرة عن الرياشي عن يونس هذا قال اجتمعت بصديقي بعد
ذلك اليوم بمدة لا تزيد عن شهرين فقال لي اتذكر الشاب الذي مات
يوم كذا قلت نعم قال قد ورد علينا الحجازي زوج ابنة عمه فاخبر ان
المرأة من لدن حملها لم تنفك عن المرض حتى قضت يوم كذا فاذا هو
اليوم الذي مات فيه الشاب **ومنهم** ما حكاه الكاتب قال كنا في متنزه
وقد اقبل ابن عائشة يسوس غلاما لا يستطيع ان يملك نفسه
فسألناه عن امره فقال من العشق فتذاكرنا اخبار العشاق فقلت
الا احدثكم باعجب من هذا قالوا هات قلت اخبرني بعض العرب قال
مررنا بماء وعليه صبية يتغاطسون وقريب منهم شاب عليه آثار
الجمال الا انه كالمتخلل من علة فسلمت عليه فقال ممن الراكب قلت
من الحي قال من كم عهدك به قلت من قريب فتنفس الصعداء وانشد

سقى بلدا امست سليمى تحله … من المزن ما يروى به ويسيم
وان لم اكن من قاطنيه فانه … يحل به شخص علي كريم

الا حبذا من ليس يعدل قربه ... لدي وان شط المزار نعيم
ومن لامني فيه حميم وصاحب ... فرد بغيظ صاحب وحميم

ثم اغشي عليه فنضحنا عليه الماء فافاق ثم انشد

اذا الصب الغريب رأى خضوعي ... وانفاسي تزين بالخشوع
ولي عين اضر بها التفاتي ... الى الاجزاع مطلقة الدموع
الى الخلوات يأنس فيك قلبي ... كما انس الغريب الى الجميع

فقلت ان كان لك حاجة فيها شفاء نفسك فمرني بها فاني مطيع
فقال لا اعلم انك بخل ولكن لم تدرك مني الاصابة لا سلافي فقال
فبلغني انه لم يبت تلك الليلة ومنهم ما حكاه في منازل الاحباب قال
كان في بني عذرة فتى ظريف يهوى محادثة النساء فعلق جارية فاضنته
حتى لزم الوساد وروسلت في امره فامتنعت حتى اذا بلغ الموت جاءت
فحين راها انشد

اريتك ان مرت عليك جنازتي ... تمر على ايد طوال وتسرع
اما تتبعين النعش حتى تسلمي ... على رمس ميت في الحفيرة موضع

فحلفت انها لم تعلم انه بلغ به الحب الى هذا الحال واخذت تستعطفه

فتمثل بقول حجر ابن حضرها الكلابي

اتت وحياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ثم غشي عليه فانكبت تقبله فاذا هو ميت فلم تمكث بعده الا قليلا ومنهم
ما حكاه ابن الجوزي ان رجلا علق جارية نصرانية واخذ هواها منه حتى
زال عقله فحمل الى البيمارستان فاقام به مدة وكان له صديق يتعاهده
فقال له يوما وقد اشرف على التلف قد ايست من ملاقاة فلانة في الدنيا
واخاف ان لا القاها في الآخرة ان مت مسلما ثم تنصر ومات فخرج من
عنده فوجدها باكية عليه وهي تقول قد ايست من فلان في الدنيا فانا
اسلم لالقاه في الآخرة فاسلمت وماتت ومنهم الحارث المشهور بابن القريد
من خزاعة وقد ذكر في الكامل انه من قحطان نشأ وابنة عمه عفراء بنت الاحمر
متزوجين بالالفة الى ان بلغا فتزوج بها فاقاما مدة ينمو الهوى بينهما الى
ان غزت يوما على ان تزور اباها فجهزها اليه فاقامت مدة وكل منهما
يأبى ان يجيء بنفسه وزادت الوحشة بينهما وحلف ابواهما ان لا يأتي احدهما
الآخر مخافة ان تدري العرب بمرض الحارث فكتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة ... ولي منك في الاحشاء اصدق شاهد

هو الموت إن لم تأتني منك دفعة | تقوم لقلبي في مقام العوائد

فأجابته كفيت الذي تخشى وصرت إلى المنى | وتلك التي تهوى برغم الحواسد

ووالله لولا أن يقال تظنيا | بي السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما قرأ ما في الرقعة وانتشق ريحها وكانت أعطر أهل زمانها غشي عليه فإذا هو ميت فقيل لها ما كان عليك لو أجبتيه بزورة فقالت خشيت أن يقال صبت إليه ولكني فأبلة نفسي عن قريب فلم تبعها إلا وهي ميتة **ومنهم عباس** الكناني قال هشام خرجنا في بعض حاجة معنا فمررنا ببني حنيفة فرأى جارية منهم فوقعت من قلبه موقعا عظيما فتخلف عنا وراسلها فأبت وكان لا يخطئ سهمه إذا رمى فصحب قوسه وأقبل في الليل وهي نائمة بين إخوتها فأيقظها فلما شعرت به قالت لئن لم تذهب لأيقظنهم فيقتلوك فحلف إن أعطته يدها يضعها على فؤاده تسكينا لما به انصرف ففعلت فانصرف فلما كان من قابل أتى وفعل كفعلته الأولى فقالت له كالأول فحلف إن أمكنته من رشفة مضى ففعلت وشعر به الحي فتبعوه فخرج إلى الجبل وأعقب الوقت تماما فرجع الناس ولحق الجارية من الوجد أضعاف ما عنده فخرجت مع جارية من الحي وقد أزهر القمر فرآها على بعد وقد أسبلت شعرها من الشد فجئتها ببعض من يطلبه فرماها بسهم فلم يخطئ قلبها ونزل فوجدها متضحة بدمها وفيها أثر الحياة فقتل نفسه **ومنهم** هو ما رواه أعرابي وجبلة ابن الأسود قال خرجت في طلب ضالة لي فوقعت على راع عنده غنم يرعاها وقد اتخذ بيتا في كهف هناك فسألته القرى فرحب بي وأنزلني ثم جاء بشاة فذبحها وجعل يشوي ويقدم إلي ويحادثني حتى اكتفيت فلما جن الليل وإذا بفتاة كأحسن ما يكون من النساء قد أقبلت إليه فجلسا يتحدثان حتى طلع الفجر فمضت وسألته الذهاب فأبى وقال الضيافة ثلاث فأقمت فلما جاء الليل بات يقوم ويقعد متضجرا وأنشد

ما بال مية لا تأتي كعادتها | أعاقها طرب أم صدها شغل

لكن قلبي عنكم ليس يشغله | حتى الممات وما لي غيركم أمل

لو تعلمين الذي بي من فراقكم | لما اعتذرت ولا طابت لك العلل

نفسي فداؤك قد أحللت بي سقما | تكاد من حره الأعضاء تنفصل

لو أن غاديه منه على جبل | لماد وانهد من أركانه الجبل

فسألته عن شأنها فقال هذه ابنة عمي وأنا احبها فخطبتها من عمي فأبى
عليّ لفقري وزوّجها من رجل وقد حملها الى هذا الحي فخرجت عن
مالي وعملت راعيا لهم فهي تأتيني على غفلة من زوجها فانتظر اليها
ونتحادث ليس غيره والآن فقد قلقت بفوات ميعادها وفي الطريق
اسد قد كثر واخاف ان يكون اصابها فعلي بسلك حتى اعود واخذ
السيف ومضى قليلا ثم عاد يحملها وقد اصابها الاسد فطرحها ثم غاب
ورجع يجر الاسد مقتولا فطرحه وانكب يقبلها ويبكي ثم قال لي
اسالك بالذمة الا ما دفنتني وإياها في هذا الثوب وكتبت على القبر
هذا الشعر فإن لا بقاء لي بعدها ثم انكب عليها فاذا هو ميت وقيل
انكب على السيف فخرج من ظهره وفي رواية فقمنا الى الصباح فوجدته
ميتا فكفنتهما ودفنتهما وكتبت على القبر الشعر الذي اوصى به وهو يقول

كنا على ظهرها والدهر في مهل	والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتصريف الفتنا	فاليوم يجمعنا في بطنها كفن

ثم فرقت الغنم ومضيت الى عمه فاخبرته بذلك فكاد ان يقضي اسفا
على عدم الجمع بينهما ومنهم كامل ابن الوضين وكان يحب ابنة عم له

يقال لها اسماء فافتتن بها حتى انحله السقم ولزم الوساد فسأل ابوه
اباها ان يزوجها منه فقال له احلف لي ان لا تزوجه بها ففعل فلما علم
بذلك قال اوانا بموضع تسمعني به قالوا نعم فشهق شهقة فمات فقالت
قد كنت قادرة على زيارته فتركتها خوف الريبة فلا بعثته ثم مرضت
فقالت لاخص صاحبتها صوري لي صورته ففعلت فلما اعتنقتها فارقت
نفسها فدفنت الى جانبه وكتب على قبرهما شعر

بنفسي هما لم يمتعا بهواهما	على الدهر حتى غيبا في المقابر
اقاما على غير التزاور برهة	فلما اصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرا بجنبه	ويا زورة جاءت بريب المقابر

قصة حمزة النهدي وكان قد شغف بابنة عمه ليلى وكانت اوحد اهل
زمانها حسنا فكتم حبه لها حتى تزوج بها فاقاما مدة لا يزدادا حبهما
الا شغفا الى ان امره الخليفة بالتجهيز الى غزو خراسان فشكى اليها
عدم القدرة على فراقها فقالت اصنع ما شئت فحملها معه حتى اودعها
عند صاحب له وتعجل الغزو فلما رجع كره ان يدخل ابتداء فجلس
بازاء القصر فخرجت جارية فسالها ما صنعت المرأة التي خلفتها عنده

قالت ذلك القبر الجديد قبرها فتردد حتى خرجت اخرى فاخبرته بمثل
ذلك فمضى الى القبر فجعل يتمرغ ويبكي ويقول

ايا قبر ليلى لو شهدناك اعولت … عليها نساء من فصيح ومن عجم
ويا قبر ليلى ما تضمنت قبلها … شبيها لليلى في عفاف وفي كرم
ويا قبر ليلى اكرمن محلها … تكن لك ما عشنا علينا لها نعم
ويا قبر ليلى ان ليلى غريبة … لديك ولم تشهد لها خال ولا عم

ولم يزل كذلك حتى مات ودفن الى جانبها ومنهم رجل من ولد عبد
الرحمن بن عوف تزوج ابنة عمه فشغف بها حتى لم يستطع فراقها
ولا يكتسب شيئا يثق به فنفد ما معه وضاق حاله فقالت له يوما
لو خرجت الى هشام بن عبد الملك فسألته شيئا لما منعك فجهز نفسه
فلما صار قرب الرصافة اغمي عليه ساعة ثم افاق وانشد

بينما نحن بالبلاكث فالقا … ع سراعا والعيس تهوي هويا
خطرت خطرة على القلب من ذ … كراك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيك اذ دعاني لك الشو … ق وللحاديين ردا المطيا
فكررنا صدور عيس عنا في … مضمرات طوين بالسير طيا

ذلك

ذاك مما لقين من دلج السير … وقول الحداة بالليل هيا

ثم قال للجمال ارجع قال يا سبحان الله قد وصلت الرصافة فاقسم لا
يخطي الا راجعا فلما عاد صادفه رجل من بني عمه فاخبره ان زوجته
ماتت فلم يسمع منه الا شهقة وفارقته نفسه صنف منهم فمن زاد
به الحب ثقله حتى اذهب عقله وهؤلاء المعروفون عند اهل
الفنون بعقلاء المجانين وقد افردوا كثيرا في التاليف وجعلهم
من المجاهيل لاشتباههم بهم فيما فقدته من الشروط فمنهم ما حكاه
مغلطاي عن الاديب قال عشق فتى عندنا جارية فلم يزل يزداد
ولعه بها حتى ذهب عقله وكان آونة يسكن الى الناس واخرى
يسكن الخرابات ويتوحش فمررت به يوما في خرابة بين التراب على
وجهه فسألته عن حاله فانشد

تيمني حبها واضناني … وفي بحار الهوى القاني
كيف احتيالي وليس لي جلد … في دفع ما بي وكشف احزاني
يا رب فاعطف بقلبها فعسى … ترحم ضعفي وطول اشجاني

ففارقته ومضيت فلما كان بعد مدة اذا انا به يتمرغ على الارض

فلما بصر بي قال يا عم انا الليلة ميت فدعوت له ومضيت فلما
أصبحت غدوت عليه فاذا هو قد قبض ومنهم ما ذكره ابن المرزبان
في الذهول والنحول عن سعيد بن مجيرة قال اصحبنا انا فكان لا يلهج الا بهذه الابيات

الا انما التقوى ركائب ادلجت ... فادركت الساري بليل فلم يتم
وفي صحبة التقوى غناء وثروة ... وفي صحبة الاهواء ذل مع العدم
فلا تصحب الاهواء واهجر محبها ... وكن للتقى الفا ولا تكن في الهوى علم

فسألناه لمن الابيات فقال لاخ لي كنت احبه شديدا ولم ار
منه مع التقوى فسألته الدنيا تلهج بهذه ام الاخرى فقال لا هم لا
اخبرك به حتى ينفذ من يدي ودام على ذلك حتى لزم الفراش
وكانت الاطباء تختلف عليه ولم نؤثر فيه شيئا وكان يصرخ الليل
كله فاجمعنا على ان ندعه وشأنه وكان يجلس نهاره على الباب
وكلما مر به شخص يسأله الى اين تذهب فيقول الى موضع كذا
فيقول لو مررت على من تريد تحملنا له حاجة فقال له صاحب له انا مار

فقال

تقرى السلام على الحبيب تحية ... وتبثه بتطاول الاسقام
وتقل له ان التقى زم الهوى ... لما سمى معلولا بزمام

قال نعم فما كان باسرع من ان رجع فقال قد بلغتهم رسالتك فقال

لئن كان تقوى الله تمنعك ان ترى ... امورا انهى عنها بنهي حرام
فزرنا انقضى من حديث لبانة ... ونشفي نفوسا اذنيت بسقام

قال فوثب قائما ثم انشأ يقول

سأقبل من هذا وفيه لذي الهوى ... شفاء وقد يسلو الفتى حين يرق
اذا الياس حل القلب لم ينفع البكا ... وهل ينفع المعشوق في دمعة عاشق

قال ومضى فقمت خلفه وحدي حتى اتى منزل رجل من اهل الفضل
والراي والدين وكانت له ابنة من اجمل النساء فوقف على الباب وقال

فها انا اذا قد جئت اشكو صبابتي ... واخبركم عما لقيت من الحب
واظهر تسليما عليكم لتعلموا ... باني وصولك ثم ذا منكم حسبي

قال فلما فهمت القصة وخشيت ان يظهر امره قلت له ما جلوسك
على باب القوم ولم يأذنوا لك قال بلى قلت كيف وهم يقولون

بالله ربك لا تمر ببابنا ... انا نخاف مقالة الحساد

فقال يا صالح قد قالوا هذا قلت نعم فجعل يهذي ويقول

ان كان قد كرهوا زيارة عاشق ... فلرب معشوق يزور العاشقا

١٣٢

ثم رجع فلزم الوساد حتى مات ومنهم ما حكاه الوراق عن الصوفي
قال حدثني صديق لي قال دخلت البيمارستان ببغداد فرأيت شاباً
لطيف البنان قد شد إلى سارية ووراءه وسادة وبيده مروحة فسلمت عليه
وقلت له ماذا تريد فقال قرصين وفالوذجا فأحضرتهما فلما فرغ قلت
له هل تطلب غير هذا قال وما أظنك تقدر عليه قلت اذكره فلعل
الله أن يساعدني عليه فقال تمضي إلى زقاق العقلة فتقف بباب كذا وتقول
مجنونكم من ذا يحله ؞ فمضيت وفعلت ما قال فخرجت إلي عجوز وقالت
وعليلكم من ذا أعله ؞ فرجعت إليه وأخبرته بذلك فشهق شهقة ومات
فرجعت إلى الباب فوجدت الصراخ وقد ماتت الجارية ومنهم ما حكاه
الشامي قال مررت بصديق لي بدير هرقل فقال هل لك أن تدخل
فتنظر ما فيه من ملاح المجانين فدخلنا وإذا بشاب نظيف الثياب
حسن الهيئة مليح المنظر فحين بصر بنا قال مرحباً بالوفد قرب الله
بكم أبا بجير من أين أقبلتم فقلنا جعلنا فداك ومتع الله بك أقبلنا من
كذا ثم قلنا له ما أجلسك ههنا وأنت لغير هذا المكان أهل وهو
محل فتنفس وهو مشدود إلى الجدار في سلسلة وصوب طرفه إلينا وأنشد

الله يعلم أني كمد ... لا أستطيع أبث ما أجد
روحان لي روح تضمنها ... بلد وأخرى حازها بلد
أما المقيمة ليس ينفعها ... صبر وليس يقربها جلد
وأظن غائبتي كشاهدتي ... بمكانها تجد الذي أجد

فلما فرغ من شعره التفت إلينا فقال هل أحسنت فقلنا نعم ثم
ولينا فقال بأبي ما أسرع ذهابكما أعيروني سمعكما فعدنا إليه فأنشد

لما أناخوا قبيل الصبح عيرهم ... ورحلوها فسارت بالهوى الإبل
وقلبت من خلال السجف ناظرها ... ترنو إلي ودمع العين منهمل
فودعت ببنان عقدها عنم ... ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلي من البين ماذا حل بي وبها ... يا نازح الدار حل البين وارتحلوا
يا راحل العيس عرج كي أودعها ... يا راحل العيس في ترحالك الأجل
إني على العهد لم أنقض مودتهم ... فليت شعري وطال العهد ما فعلوا

فقلنا له مجوناً لننظر ما يفعل ماتوا فقال أقسمت عليكم ماتوا فقلنا نعم
فجذب نفسه في السلسلة جذبة دلع منها لسانه وبدرت عيناه
وانبعث الدم من شفتيه وشهق فإذا هو ميت فندمنا على شيء

١٢٣

أعظم منه وحكاها المبرد كما هي وزاد أن قال فوجدنا في الدير مجانين ولم يكن فيهم أنطق من شاب عليه بقايا أثواب ناعمة فدنونا منه فقال الأنصار شبابا من الشعراء أو أنا أنشدكم فقلنا له أنشدنا أنت فأنشد الشعر فلما قال ما فعلوا قال رجل يقبض معنا ماتوا فقال وأنا أيضا أموت فقال له افعل فجذب حتى مات وأخرج الزجاج في أماليه عن المبرد الحكاية أيضا لكنه قال فقال لنا أنشدوني فقلت لرفيقي أنشده فأنشد

قبلت فاها على خوف مخالسة … كقابس النار لم يشعر من العجل
ماذا على رصد في الدار لو غفلوا … عني فقبلتها عشرا على مهل
فضي جفونك عني وانظري أمما … فإنما افتضح العشاق بالمقل

فقال أنا وهذا القائل على طرفي نقيض فإنه يرى محبوبه وأنا فقلنا له أنت عاشق قال نعم قلت لمن قال أنت سؤول قلت محسن إن أخبرت قال عقد لي أبي على ابنة عم لي ثم توفي وترك مالا كثيرا فأسلمني عمي ونسبوني إلى الجنون قال المبرد هذا كله والقيم يقول فإنه يتغير ثم التفت إلي فقال أنشدني إن كنت فإنك من أهل الأدب فلم يحضرني من الأقوال

قالت سكينة والدموع ذوارف … تجري على الخدين والجلباب
ليت المغيري الذي لم أجزه … فيما أطال تصبري وطلابي
كانت ترد لنا المنى أيامه … إذ لا نلام على هوى وتصابي
خبرت ما قالت فقلت كأنما … ترمي الحشا بصوائب النشاب
أسكين ما ماء الفرات وطيبه … مني على ظمأ وحب شراب
بألذ منك وإن نأيت وقلما … ترعى النساء أمانة الغياب

ومنهم ما حكاه الأسدي قال دخلت دير هرقل فوجدت شابا حسن الهيئة مكبلا بالحديد فقلت له ما الذي أوجب لك هذه الحالة فأنشد

نظرت إليها فاستحلت بنظرة … دمي ودمي غال فأرخصه الحب
وغاليت في حبي لها وأرات دمي … رخيصا فمن هذين ذا لحظها العجب

ومنهم ما حكاه ابن عنبس قال مررت بدير هرقل فرأيت مجنونا مصفدا بالحديد يتمرغ في التراب ويقول

ألا ليت أن الحب يعشق مرة … فيعرف ماذا كان في الناس يصنع
يقولون فز بالصبر إنك هالك … وللصبر مني الغمرة أجدع

ومنهم ما حكاه أبو الحسن المؤدب قال انحدرت من بالسواد إلى العراق فبينا أنا في بعض أزقة الموصل سمعت ضجة فسألت فقيل من دار المجانين فدخلت فإذا أنا بشاب في الحديد قد تضرج بالدم فلما أبصرني قال

من اين قلت من بالس قال واين تريد قلت العراق قال العراق بني فلان
قلت نعم قال هم الذين صيروني الى ما ترى في عشقهم وانشد

ذموا المطايا واستقلوا ضحى ... فلم يبالوا قلب من تيموا
ما ضرهم والله يرعاهم ... لو ودعوا بالطرف او سلموا
ما زلت اذري الدمع في اثرهم ... حتى جرى من بعده معي دم
ما انصفوني يوم بانوا ضحى ... ولم يفوا عهدي ولم يرحموا

ومنهم القوبرك وهو من المشاهير في عقلاء المجانين قال الادبلي [illegible]
والصبيان يرمونه بالحجارة فلما رآني قال الا ترى ما يصنع هؤلاء معي وانا
انا فيه من العشق والجنون فقلت له لست مجنونا قال بلى والله وبي عشق
شديد قلت فما انشدت فيه قال بلى وانشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو ... فهذا له حد وهذا له حد
هما استوطنا جسمي وقلبي كلاهما ... فلم يبق لي قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا ... على مهجتي ان لا يفارقها الجهد
فاي طبيب يستطيع بحالة ... يعالج من دائين ما منهما بد
وانشد جنون ليس تضبطه الحديد ... وعشق لا ينهنهه الوعيد

فقلبي

فقلبي بين ذاك وذا رهين ... وجفني بين ذاك وذا عميد

وقال يوما وقد لقيته وفي عنقه حبل والصبيان يقودونه فقال يا
ابي بكر بما يعذب الله عباده قال بجهنم قال صفها فقال له ومن يقدر
يصف عذاب الله فقال انا والله في عذاب اعظم منه وكشف عن جسم
نحيل وعظام بالية وانشد

انظر الى ما فعل الحب ... لم يبق لي جسم ولا قلب
انحل جسمي حب من لم يزل ... من شانها الهجران والعتب
ما كان اغناني عن حب من ... من دونها الاستار والحجب

وقال له ابن الزيات متى حدث بك العشق قال من زمان طويل
ولكن كنت اكتمه حتى غلب فقال انشدني ما قلت فيه فانشد

كتمت جنوني وهو في القلب كامن ... فلما استوى والحب اعلنه الحب
وخلي والجسم الصحيح يذيبه ... فلما اذاب الجسم ذل له القلب
فجسمي نحيل للجنون وللهوى ... فهذا له نهب وهذا له نهب

ومنهم خالد ابن يزيد يكنى ابو القاسم ويعرف بالكاتب خراساني الاصل
بغدادي المنشأ احد كتاب الجيش في الدولة العباسية والمشهورين باللطف

والرقة وحسن الشعر ثم اعتراه الجنون قيل من السوداء نقله في الزهر
وقال انها كانت تعتريه زمن الباذنجان فاذا جاء الشتاء يحسن حاله
وحكي في امتزاج الارواح ورياض اللطائف انه خرج الى بعض الاعمال
باذربيجان فشهد مجلسا وفيه قينة فاعجب بها وطلب ان يستصحبها فاستعفى
فداخله حبها حتى خامر عقله وكان يصحو احيانا ويغمر احيانا فترك العمل
ثم استعمله محمد ابن عبد الملك في كتابة بعض الاعمال فمر بماجنة تغني

من كان ذا شجن بالشام يطلبه	ففي سوى الشام اسمي الاهل والعجر

فسقط مغشيا عليه حين سمع ذلك وتذكر به حال الماجنة وانها اخبرته
انها تطلب الشام ثم افاق ورجع ورمى العمل وكان يركب طرفه ويطوف
بغداد واهلها يطلبونه خصوصا ارباب الدواوين ليسمعون شعره

قيل قال له ابن الجهم يوما هب لي قولك	ليت ما اصبح من رقة خديك بقلبك

فقال من ذا الذي يهب ولده وراه يوما والصبيان يضربونه فاخذه
بيته ثم قال له بعدما احذ الراحة ما ذا تريد قال هريسة ورطبا فاحضرهما
فلما اكل قال له اسمعني شيئا من شعرك فانشد

تناسيت ما اوعيت سمعك يا سمعي	كانك بعد الضر خال من النفع

فان كنت مجبولا على الصد والجفا	فمن ابن لي صبر فاجعله من طبعي
هل الحب تحنيه علي النقانة	فافرح بعد الياس مني ومن نفعي
على ما الجفا يا من كلفت بحبه	اتتلفني بالهجر منك وبالقطع
لئن كان اضحى فوق خديك روضة	فان على خدي غديرا من الدمع

فقال له احسنت والله ووجد لذلك وجدا عظيما ثم قال له اسمعني شيئا من
غير هذا فقال حسبك لن ينالك بهم حسنك وزطبك اكثر الذي سمعت وخرج

وله ايضا يا تارك الجسم بلا قلب	ان كنت اهواك فما ذنبي
يا مفردا بالحسن افردتني	منك بطول الهجر والحب
ان يك عيني ابصرت فتنة	فهل على قلبي من عتب
حسيبك الله لما بي كما	انك في فعلك بي حسبي

ودخل على ابن عباد فرفع مجلسه فقال ابن الاعرابي من هذا فقال
او ما تعرفه قال لا قال خالد الكاتب فقال له ابن الاعرابي اسمعنا من شعرك فانشد

لو كان من حجر لم يفتن البشرا	ولم يفق في الضياء الشمس والقمرا
نور تجسم منحل ومنعقد	فقال له ابن الاعرابي كفر هذه

صفة الخالق لا المخلوق انشدنا غير هذا فقال

أراكَ لمّا تحجّبتَ في غضبك ... تترك ردّ السلام في كتبك

" حتى أتى على قوله "

أقول للسقم عُد إلى بدني ... حبًّا لشيءٍ يكون من سببك

فقال له إنك لفوق ما وُصفت ووقف عليه إبرهيم ابن المهدي عشية

" وقد تلفّع ببرداءٍ أسود فقال له أنت القائل "

قد بكى العاذل لي من رحمتي ... فبكائي لبكاء العاذل

قال نعم فقال يا غلام ادفع له ما معك فقال ما الذي معك قال
ثلثمائة دينار قال لا أقبلها أو تعرفني من أنت فقال أنا ابن المهدي
فأخذها وانصرف إبرهيم فلما بويع له بالخلافة طلبه فقال له أنشدني

فائدة

عش فحبيك سريعًا قاتلي ... والضنا إن لم تصلني واصلي

ظفر الشوق بقلبٍ دنفٍ ... فيك والسقم بجسمٍ ناحلِ

فهما بين اكتئابٍ وضنًى ... تركاني كالقضيب المائلِ

وحكي عن حمزة الشاعر نحو ما سبق عن ابن الجهم من رؤيته مع الصبيان
وإدخاله بيته وإطعامه لكنه قال فأطعمته رطبًا فقط واستنشدته فأنشد

قد حاز قلبي وصار يملكه ... فكيف أسلو وكيف أتركه

رطيبُ جسمٍ كالماء تحسبه ... يخطر في القلب منك مسلكه

يكاد يجري من القميص من ... النعمة لولا القميص تمسكه

فصل في ذكر من تجرع كأس الضنا وصبر على مكابدة العنا وإن كان ذلك كله من النسا وثبتت بعد فراق محبوبها على النوى أو منها داعية الابتدا حكى صاحب النزهة قال نشأ ببني حران شاب لبعض التجار بديع الواصف وكان كامل الحسن والظرف واللطافة والعفة وكان له ابنة عم تسمى لطيفة وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الأخلاق والخصال فتوفي أبوها وتركها صغيرة فكفلها عمها حتى بلغت وكانت تنظر إلى ابن عمها فيعجبها إلى أن تمكن حبه منها فمرضت وهي تكتم أمرها وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للأمور فامتحنتها فوجدتها تغيب عن حسها أحيانًا فإذا دخل الغلام صحت والتمست ما تأكل فأخبرت أباه فقال يا هانئة ثم زوجه منها فأوقع الله حبها في قلبه فأقاما على أحسن حال مدة وهو يأمرها أن تكون دائمًا متزينة متطيبة ويقول لها لا أحب أن أراك إلا كذا فلم تزل على ذلك فضعف الشاب فمات فوجدت عليه وجدًا طار عقلها فكانت

تتزين بانواع زينتها كما كانت وتخرج من الصباح فتمكث على قبره الى الليل
قال الاصمعي فمررت وصاحب لي على الجبانة فرايناها على تلك الحالة
فقلنا لها ما هذا الحزن الطويل فانشدت

فان تسألاني فيم حزني فانني ... رهينة هذا القبر يا فتيان
واني لاستحييه والترب بيننا ... كما كنت استحييه وهو يراني

فعجبنا منها ثم انحنا فجلسنا بحيث لا ترانا لننظر ما تصنع فانشأت

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بي ... وكان يكثر في الدنيا مواتاتي
قد زرت قبرك في حلي وفي حلل ... كانني لست من اهل المصيبات
لزمت ما كنت تهوى ان تراه وما ... قد كنت تألفه من كل هيئاتي
فمن رآني رأى عبرى مولهة ... مشهورة الزي تبكي بين اموات

ثم انصرفت فتبعناها حتى عرفنا مكانها فلما جئنا الى الرشيد قلنا له
باعجب ما رايت فاخبرته بامر الجارية فكتب الى عامله بالبصرة ان يبتاعها
بعشرة الاف درهم ففعل ووجهها اليه وقد انهكها السقم فتوفيت
بالمدائن قال الاصمعي فلم يذكرها الرشيد الا ذرفت عيناه وحكى
بعض اهل المدينة قال دعاني صاحب لي لسماع جارية تغني فدخلنا

عليها فاذا هي منخرطة الوجه متغيرة تكثر من التهود والاطراق كانها
مشغولة فعزمت عليها على ان تخبرني بما عندها فقالت برح الذكر ودوام
الفكر وخلو النهار وتشوق الى من سار والذي ترى مما وصفت لك
فان كنت ذا ادب صرفت العتب عن ذي الكرب واجتهدت في الطلب
لمداواة من اشرف على العطب واخذت العود فغنت

سبوردني التذكار حوض المهالك ... فلست لتذكار الحبيب بتارك
ابى الله الا ان اموت صبابة ... ولست لما يقضي الاله بمالك
كان بقلبي حين تنشبه النوى ... وخلفني فردا صدور النيازك
تقطعت الاخبار بيني وبينه ... لبعد النوى واشتد سبل المسالك

فوالله لقد خفت ان تسلب عقلي بغناها فقلت جعلني الله فداك
وهذا الذي صيرك الى ما ارى تستحق ذلك مع ان الناس كثير فلو
تسليتي بغيره فلعل ما بك يسكن او يخف فقالت

صبرت عن اللذات لما تولت ... والزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ... فان اطمعت تاقت والا تولت

فقالت قد رمت ذلك فكنت كما قال قيس ولما ابى الا جماحا فؤاده

البيتان فاسكتتني بحججها عن المحاورة وما رأيت كحسنها وأدبها وحكى الزبير ابن بكار قال دخلت على الامير ابن طاهر حين قدم من الحجاز فتبسم في وجهي ثم قال لئن باعدت بيننا الانساب فقد قربت بيننا الاداب وان امير المؤمنين قد اختارك لتاديب ولده فامر لك بعشرة الاف درهم وعشرة بغال تحمل عليها متاعك فشكرت فضله فلما عزمت على الانصراف قال زودنا ايها الشيخ حديثا نذكرك به فقلت احدثك بما رأيت او ما سمعت قال ما رأيت قلت بينا بين المسجدين اوفيت على اثاوة الاعرج اذا انا برجل صاد ظبيا وهم ليذبحه فنشب قرن الظبي بقرنيه فدخلا في جوف الرجل فسقط وسقط الظبي ميتين او قال رأيت حبالة منصوبة وظبيا مذبوحا ورجلا ميتا فجاءت امرأة حائرة وهي تقول

يا حسن لو بطل لكنه أجل ... على الإساءة ما أوفى بك البطل
يا حسن قلقل أحشائي وأزعجها ... وذاك يا حسن عندي كله جلل
أسيت فتاة بني نهد علانية ... وبعلها في أكف القوم يبتذل
قد كنت راغبة فيه أضن به ... فحان من دون ضن الرغبة الأجل

ثم شهقت فماتت فلم أر أعجب من الثلاثة وفي رواية وبعلها فوق أيدي القوم محمل فوهب لي عشرة الاف درهم وحكى ان امرأة احبت رجلا وكان ممتنعا عنها زمانا فراسلته ان تتزوج بها ففعل وكانت بينهما الفة شديدة فكنا على ذلك مدة فمرض الرجل فمات فجعلت المرأة تتردد الى قبره وتلازمه وتبكي وتقول

كفى حزنا أني أروح بحسرة ... وأغدو على قبر وعمر فيه لا يدري
فيا نفس شقي جيب عمرك بعده ... ولا تبخلي بالله يا نفس بالعمر
فما كان يأبى أن يجود بنفسه ... ليفقدني لو كنت صاحبة القبر

ثم نادت في النحيب وانكبت على القبر فاذا هي ميتة وحكى الربيع قال مررت بجارية على قبر تقول

بنفسي فتى أوفى البرية كلها ... وأقواهم في الموت صبرا على الحب

قال فقلت لها بما صار كذلك فقالت كان اذا عنف في حبي يصبر واذا لح عليه يكتم واذا ادبر الغرام يتبلد

يقولون إن جاهرت قد عضك الهوى ... وإن لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما للذي يهوى ويكتم حبه ... من الأمر إلا أن يموت فيعذرا

ولم يزل يكررهما حتى مات فها انا مقيمة على حفظ عهده لا ابرح حتى

يتصل القبران ثم صرخت وسقطت فاجتمعن النساء فحركنها فاذا هي ميتة فدفنت الى جانبه **وحكى** رجل من تميم قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها فاذا انا بجارية كانها قمر تغشي بصري بنظري اليها فلما رأتني قالت ما لك قلت ضلت لي ابل فلم اعرف خبرها فقالت هل ادلك على من عنده علمهن قلت بلى قالت ان الذي اعطاكهن هو الذي اخذهن وهو احق بردهن فسله من طريق التيقن لا من طريق الاختبار فاعجبني كلامها ووقفت انظر اليها ثم راودتها عن نفسها فقالت هبك ليس لك مانع من ادب اما لك زاجر من حياء فقلت لن يرانا الا الكواكب فقالت اين مكوكبها فقلت ألك بعل فقالت قد كان ولكن دعي الى ما خلق له فصار الى ما خلق منه ثم انشأت تقول

اني وان عرضت اشياء تضحكني ... لموجع القلب مطوي على الحزن
اذا دجى الليل احيى لي تذكره ... وزاد في الصبح اشجانا على شجني
وكيف ترقد عين صار مؤنسها ... بين التراب وبين القبر والكفن
ابلى الثرى وتراب الارض جدته ... كأن صورته الحسناء لم تكن
ابكي عليه حنينا حين اذكره ... حنين والهة حنت على وطن
ابكي على من حنى ظهري مصيبته ... وطير النوم عن عيني وارقني
تالله انساه حتى الدهر ما سجعت ... قمرية او بكى طير على فنن

فقلت لها عند ما رأيت من جمالها وفصاحتها هل لك في زوج لا تذم خلائقه وتؤمن بوائقه فاطرقت مليا ثم انشأت تقول

كنا كغصنين في اصل غذاؤهما ... ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث خيرهما من جنب صاحبه ... دهر يكر بويلات وترحات
وكان عاهدني ان خانني زمن ... ان لا يضاجع انثى بعد موتاتي
وكنت عاهدته ايضا فعاجله ... ريب المنون قريبا مذ سنيات
فاصرف عنانك عمن ليس يردعه ... عن الوفاء خلاف في التحيات

وحكى ابرهيم الموصلي قال كان كثيرا ما يصف لي نزال جارية عنده فلما مات وسمعت باعراضها للبيع ركبت حتى دخلت عليها فاذا هي جارية كاد الغزال ان يكونها لولا ما تم منها ونقص منه فسألتها ان تغني فاخذت العود وغنت

اقفر من اوتاره العود ... فالعود للاقفار معهود
واوحش المزمار من صوته ... فما له بعدك تغريد
من للمزامير وللعود ... وعامر اللذات مفقود
فالخمر تبكي في اباريقها ... والقينة الخمصانة الرود

فركبت الى امير المؤمنين فاعلمته بها فاستحضرها فلما وقعت من قلبه
قال لها هل لك ان اشتريك فقالت اما اذا اشتريتني فلا اخبر لك في
فاشتراها واعتقها واجرى عليها مؤنته ومن وفاء النساء ان كسرى ابرويز
ترك جارية كانت حظية عنده فطلب ولده لياخذها فعالجت ناووس كسرى
ففتحته ودخلت فمصت خاتما مسموما كان في اصبعه فماتت القسم الثالث
فيمن خانته عيون الاماء ۰ فاسلمته الى الفناء ۰ اوكادت ان تقضي عليه لولا
المداركة بالوفاء ۰ ومما ينبغي ايراده هنا الحكاية المشهورة عن حبابة وهي
جارية في الاصل للاحوص وقيل لرجل مدني وانها كانت تسمى العالية وانه
دخل بها على يزيد بن عبد الملك في خلافة اخيه وعليها ازار له ذنبان وبيدها دف فغنت

ما احسن الجيد من مليكة و	اللبات اذ زانها ترائبها
يا ليتني ليلة اذا هجع النا	س ونام الكلاب صاحبها
في ليلة لا يرى بها احد	يسعى علينا الا كواكبها

فاشتراها باربعة الاف دينار فبلغ اخاه فعزم ان يحجر عليه فردها
فاشتراها رجل من افريقية وقد تولعت بها نفس يزيد وكان قد
تزوج سعدى بنت عبد الله ابن عثمان وربيحة بنت ابن جعفر وامهما كلا

عشرين الف دينار فخاف من سليمان الحجر فلم يزل كاتم وجده الى ان
افضت اليه الخلافة فارسلت سعدى مولى لها في طلب حبابة فبلغه
انها بالمدينة فمضى اليها فقيل بافريقية فمضى حتى اجتمع بمولاها فاشتراها
منه بمائة الف درهم بعد امتناع من بيعها لولا ان اخبره ان الخليفة سياخذها
منه قهرا فلما ارتحل بها مولى سعدى انشد الافريقي وقد تبعتها نفسه

ابلغ حبابة اسقى ربعها المطر	ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر
ان سار صحبي لم املك تذكركم	او عرسوا فلها من نفسي الذكر

ولما مر بها على مكة تبعها الناس وقيل من المدينة وكانوا مائتين رجل
الى ذي خشب وسالوها ان تزودهم صوتا فانشدت

سلكوا بطن محيص ثم ولوا اذ جعينا	اورثوني يوم ولوا طول حزن وانينا

ثم كتبت اسماءهم حتى عرضتهم على يزيد فوهب كلا الف درهم ولما
وصل بها الى سعدى البستها حللا ووهبتها جواهر وطيبا كثيرا ثم
قالت للخليفة قد وهبك الله الملك فهل بقي عليك شيء وهي تعلم
ما في نفسه فقال لا فقالت بل انا اعلم فاخبرني عسى ان اوصلك
اليه فقال العالية يعني حبابة فقالت تعرفها اذا رايتها قال نعم

فأخذت بيده حتى أدخلته عليها فسُرّ وعظمت منزلة سعدى عنده
وكانت عاهدت حبابة أن لا تدع لها حاجة عند الخليفة إلا قضتها ففعلت
وكانت ربيحة قد اشترت سلامة وهي أيضاً جارية كانت لمدني وكان قد
رآها يزيد فوقعت من نفسه فلما اجتمعنا عنده قال أنا الآن كما قيل

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

وكانت حبابة أجمل نساء زمانها قد حوت اللطافة والمعرفة والأدب
والآت الغنا فأخذته عن أهله مثل معبد وجميلة وأم عوف وغيرهم وكان
يزيد قبل خلافته يختلف إلى أم عوف ويقترح عليها أن تغني له

متى أجر خائفاً تسرح مطيته ... وإن أخف آمناً تنبو به الدار
سيروا إليّ وأرخوا من أعنتكم ... إني لكل امرئ من وتره جار

فسألت حبابة أن تغنيه ولم يمكنها الطعن على أم عوف فبكتت يزيد بحبه
لها بأن غنت أثر الصوت

أبى القلب إلا أم عوف وحبها ... عجوزاً ومن يحبب عجوزاً يفند

فضحك وقال لمن هذا فقالت لمالك وكان كثيراً ما يسألها أن تغنيه

لعمرك إنني لأحب سلعاً ... لرؤيتها ومن بجنوب سلع

تقر بقربها عيني وإني ... لأخشى أن تكون تريد فجعي
حلفت برب مكة والهدايا ... وأيدي السابحات غداة جمع
لأنت على التنائي فاعلميه ... أحب إليّ من بصري وسمعي

فلما أنشدت البيت الأول تنفست الصعداء فقال يزيد ما لك ويلك
والله لو أردتيه بحجر أحجار الجنة لجئت به إليك فقالت ما أصنع به إنما أريد صاحبه
وساكنه واقترح عليها وعلى سلامة يوماً أن تغنيا كلاً منهما ما في نفسه
ومن أصابت فلها ما تطلب فغنت سلامة فلم تصب وغنت حبابة

خلف من بني كنانة حولي ... بفلسطين يسرعون الركوبا

فأصابت به ما في نفسه فقال لها احتكمي فقالت تهب لي سلامة
بمالها فغمت سلامة لأنها كانت أرفع منها زمن التعليم عند معبد
حتى كان يأمرها أن تضرب حبابة فذكرتها ذلك فقالت لا ترين إلا
خيراً ثم طلب يزيد شراها فأعتقها وزوجها منه واختلفا يوماً في صوت
لحنه معبد من شعر جرير وهو

ألا حي الديار بسعد إني ... أحب لحب فاطمة الديارا
أراد الظاعنون ليحزنوني ... فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فاستحضره يزيد ليقضي بينهما وقد اخبره انه الى حبابة اميل فقضى لها
فقالت سلامة انما قضيت للمنزلة ولكن اذن لي يا امير المؤمنين في
لما الدعلي بن الحق فاذن لها فغنى معبد فوجد سلامة قد سبقت حبابة
بالصلة ولم يزل تستقيده حتى رجع وهذان البيتان غنتهما قينة للفرزدق
عند الاحوص فقال الفرزدق ما ارق اشعاركم يا اهل الحجاز فقال
الاحوص انما هو لجرير هجاك به فقال ويل ابن المراغة ما كان احوجه
مع عفافه الى صلابة شعري واحوجني مع شهواتي الى رقة شعره وقيل
ان معبدا حين حضر الى عند الخليفة غنى قول كثير

الم يان لي يا قلب ان اترك الهوى	وان يحدث الشيب الملم لي العقلا
على حين صار الراس مني كانما	علت فوقه نداف العطب الغزلا
فيا عز ان واش وشى بي اليكم	فلا تكرميه ان تقولي له مهلا
كما لو وشى واش بودك عندنا	لقلنا تزحزح لا قريبا ولا سهلا

فطرب يزيد حتى جعل الوسادة على راسه ودار في الدار وهو يقول
السمك الطري اربعة ارطال عند بيطار حيان فلما رجع الى مجلسه
ذكر اختلافهما السابق لمعبد فقضى لحبابة كما سبق فقالت له سلامة

يا ابن الفاعلة تعلم ان الحق معي ولكن قضيت للمنزلة فضحك يزيد
واحسن صلته وكان المبدي من المهرة في الغنا وكان يختلف الى حبابة
فلما علت عند يزيد قصدها ليستعطيها وسمعت به فادخلته وقد جلست
مع الخليفة فقالت له ان هذا ابي فلو غناك سكرت من صوته واشارت
اليه ان اقرا فقرا حتى بكى يزيد ثم اومت اليه ان يغني فغنى لابن شعر سعيد
ابن عبد الرحمن ابن حسان بتلحين ابن سريج

من لقلب مصعد	هائم القلب مقصد	انت تقوده ضحى	بئس زاد المزود
ذاوبا تحت تربة	وهي تدمى بقد قد	غير اني اعلل	النفس باليوم او غد

فطرب يزيد فضربه بمدهن من ذهب مفصص بالياقوت فاشارت اليه
ان خذه فجعله في كمه فقال يزيد لحبابة انظري الى ابيك كيف اخذ
مدهننا فقالت ما احوجه اليها ثم خرج فامر له بماتي دينار وغنته يوما
الشعر السابق اول القصة بتلحين ابن سريج فطرب وقال هل رايتي اطرب
مني فقالت نعم معوية ابن عبد الله ابن جعفر فغضب واحضره فارسلت
حبابة واعلمته ان لا يطرب الا عندما تغني الصوت المذكور فلما غنته
رقص وطرب وجعل يقول الدخن بالنوى فامر له يزيد بصلات

اجتمعت بثمانية الاف دينار وقال لها مرة اخرى من اطرب بني فقالت لا ابو
الذي باعني فاستحضره مقيدا فلما دخل عليه وقد ارسلت له من عرفه
القصة ايضا فحين غنت التي نفسه على الشمعة حتى حرقت لحيته وهو
يقول الحريق الحريق يا اولاد الزنا فضحك الخليفة ووصله بالف دينار
ثم لم يزل منعكفا على الاقامة معها والمحافظة على اللهو والطرب والشرب
حتى قيل انه جعل فسقية من الخمر في مجلسه وكان اذا طرب سقط فيها
ومزق حلة قيمتها الف دينار قيل ذكر اخوه سليمان بحضرة الرشيد فقال
فقال الاصمعي كان رجلا نهما اذا قدم اليه السماط لا يصبر حتى يبرد بل
يتناول اللحم بكمه واما اخوه يزيد فكان يسقط في الخمر بثيابه فقال
الرشيد للاصمعي ما اعلمك بالناس والله ان ثيابهما عندي وان الدهن
في اكمام سليمان واثر الخمر في ثياب يزيد ولما استمر على حاله وكان قد
ولي الخلافة اثر عمر ابن عبد العزيز وقد اعتاد الناس منه العدل والصلاح
ثقل عليهم حاله وتعطلت الحاجات فضجوا فدخل عليه مسلمة اخوه فعنفه
ولامه ووعظه وذكره عدل عمر وقيل انه قال من نفسه والله ما عمر
باحوج الى الله مني فهجر الجواد والشراب اياما وقال لمسلمة ارجو ان لا

تغنيني بعد اليوم ثم جلس للناس فنقل ذلك على حبابة فارسلت الى
الاحوص فعمل شعرا واستحضرت معبد فلحنه ثم احتالت في اسماعه الخليفة
قيل عارضته وهو خارج الى الصلوة وقيل بنت خادما مغرما امنه
فاوقفها بحيث يسمع واخذته فطرب وقال لمروا مسلمة اوقال لصاحب
الشرطة فليصل بالناس فلعن من يلومه في ذلك وعاد فاعتكف على
ما كان عليه وقيل ان الذي امره بالكف عن ذلك مولى خراساني
كان ذا رتبة عنده وانه قال له ساحضرك معهن واقول انك عمي
فان عنفتني رجعت وفعل فتعرض به وقمن ليضربنه فوقاه يزيد ثم
قال له ادوم على هذا ام لا فقال دم والشعر الذي اخذه الاحوص هو هذا

الا لا تلمه اليوم ان يتبلدا — فقد غلب المحزون ان يتجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني — ومن شاء واسى بالبكاء واسعدا
واني وان فندت في طلب الصبا — لاعلم اني لست في الحب اوحدا
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى — فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا ما تلذ وتشتهي — وان لام فيه ذو الشنان وفندا
وعهدي بها صفراء رودا كانما — نضا عرق منها على اللون مجسدا

مهفهفة الأعلى وأسفل خلقها … جرى لحمه من دون أن يتخددا
من المدمجات اللحم جدلاً كأنها … عنان صناع مدمج الفتل عقّدا
كأن ذكي المسك منها وقد بدت … وريح خزامى طلّه بنفح الندى
وإني لأهواها وأهوى لقاءها … كما يشتهي الصادي الشراب المبرّدا
علاقة حب كان في سنن الصبا … فأبلى وما يزداد إلا تجددا

وكان إذا غنّت حبابة الشعر يطرب حتى يقول لها أحسنتِ يا حبيبتي أتأمريني أن أطير فتقول له إلى من تكل الأمة فيقول إليكِ واشتد طربه يوماً بها فقال لها قد استخلفتكِ واستعملت فلاناً عنكِ فقالت قد عزلته فقال أوليته وتعزليه وقام مغضباً فلم تكترث به وارتفع النهار فدعى خادماً لها فقال له ما تصنع حبابة قال قد اتزرت بإزار خلوقي وهي تلعب بلعبها فقال هل تقدر أن تمرّ بها عليّ ولك حكمك فمضى فلاعبها ساعة واستل لعبة وفرّ فانطلقت في طلبه تحظر حتى مرّت عليه فوثب واعتنقها وهو يقول عزلته وهي تقول وليته واصطلحوا على ذلك إلى أن قال يزيد يوماً قد بلغني أن السرور لم يكمل لشخص يوماً كاملاً وإني مجرب ذلك ودعى بحجابه فأوصاهم أن لا يدخلوا عليه أحداً

واحتجب معها ببستان له بقرية من الغوطة تسمى بيت راس على زعم المؤرخين أن يزيد بن معوية وضع رأس الحسين رضي الله عنه بها حين قدموا بها فلم يزل معها على عادتهما حتى انتصف النهار وأترضاحكها ثم رشقها بعنبة أو حبة رمان وقيل هي ابتلعتها فشرقت بها فماتت واشتد غم يزيد وحزنه وأقام ثلاثاً يرشفها ويضمها ولم يمكن أحداً من دفنها حتى تغيرت فلامه الناس وعذلوه فأذن في تجهيزها ثم لم يستطع النهوض إلى الصلوة عليها فقيل حمل على رقاب الناس وقيل قال له مسلمة أنا أكفيك مع أنه لم يحضر ثم ضم إليه جويرية كانت تخدم حبابة فأنس بها فقال لها يوماً ههنا كنا نجلس قالت نعم فأنشد

كفى حزناً للهائم الصب أن يرى … منازل من يهوى معطلة قفرا

وخرج إلى قبرها فبكى طويلاً وتمثل بقول كثير

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى … فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

ثم مكث خمسة عشر يوماً وعاوده القلق فأمر بنبشها فقيل منعه أخوه وقال له يظن الناس أنك أوتيت في عقلك فيخلعونك فرجع وقيل استخرجها وجعل يقبلها فقيل له قد تغيرت فقال لم أرها أحسن منها اليوم وإنه

مات حينئذٍ وقيل أقام اربعين يوماً ثم مات ودفن الى جانبها قالوا
ولم يعلم خليفة مات عشقاً سواه وأما سلامة فأقامت بعدها حتى توفيت
على ما قيل في عهد المنصور وحكي عن رجل قال دخل عليّ غلامي
ومعه كتاب ففتحته واذا فيه

تجنبك البلاء ونلت خيراً	ونجاك المليك من الغموم
فعندك لو مننت شفاء نفسي	واعضاء فتبن من الكلوم

فعلمت أنه عاشق وامرت باحضاره فلم يجدوه فعرضت الكتاب على
جواري وقلت من عرفت منكن امر صاحب هذا فهي له ومائة دينار
فحلفن انهن لم يعرفن ذلك وبقي الكتاب والدراهم سنة في جانب
البيت فبينا انا يوماً اذ دخل عليّ غلامي بكتاب مثل الاول وفيه

ماذا اردت الى روح معلقة	عند التراقي وحادي الموت يحدوها
حثثت حاديها يوماً فجد بها	في السير حتى تخلت من تراقيها
والله لو قيل لي تأتي بفاحشة	وان عقابك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذي تخشى عقوبته	ولا باضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذي كتمت	بين الفؤاد وابدينا اما بيها

فطلبته

فطلبته فلم أجده ايضاً فغمني امره وقلت للخادم لا يأتيك احد بكتاب
الا قبضت عليه حتى أراه وكان قد قرب الحاج فلما وقفنا بعرفة اذا
بشاب على ناقة الى جانبي وقد اخذ منه النحول والسقم الا ان عليه آثار
الجمال والادب فسلم عليّ وقال هل تعرفني قلت زدني قال انا صاحب الكتابين
قلت قد وهبت لك الجارية ومائة دينار فامض واعرفها وتسلمها فقد
تعبت من امرك قال لم اطلب شيئاً مما تقول قلت فعرفني اسمها قال اكرمها
من اجلك قال ما كنت بالذي ابوح بشيء وانصرف ثم انشد

لعمرك ما استودعت سري وسرها	سوانا حذاراً ان تضيع السرائر
اصون الهوى خوفاً عليك من العدى	مخافة ان يغري بذكراك ذاكر

ومنهم ابو عبد الله الخياط في عشق جارية سوداء يقال لها اصفر ومرض
من حبها حتى لزم الوساد فقيل لمولاها لو ارسلت بها اليه فعساه ان
يجد الشفاء فلما دخلت عليه قالت كيف اصبحت قال بخير ما رأيتك
قالت ما تشتهي قال قربك قالت فما تشتكي قال هجرك قالت فما توصي
قال بك ان اسمع قالت اني اريد الانصراف قال فعجلي ثواب الصلاة
عليّ فلما رآها شهق شهقة فمات ومنهم شاب بصري قال في الزهد

اسمه ظريف بن نعيم الغفاري كان باعظم حالة من الجمال وامكن ربته من
المال وانه اقترح على ابيه وكان من اكابر تجار البصرة ان يرسله بتجارة الى بغداد
فانعم نماء ونما وكان يقول له نحن غير محتاجين الى الاكتساب بالاسفار
فلا تفجعني بك فابى الا السفر فجهز له جملا وسار حتى دخل بغداد فاقام
بها مدة يتنزه ويتفرج في بلادها ناظره ويتفرج بمنازهها خاطره الى ان
اشار عليه بعض ندمائه بحضور الدكة يعني المكان الذي تباع به الجواري
فحضر مع خواص التجار وجئ بجارية الهت الحاضرين واشغلت الناظرين
وكان كلما اراد احد تقليبها لم يمكنه النظر الى اكثر من عضو واحد وكان
كلما اراد احد شراها عابته حتى وقعت عينها على البصري فاحبته و
اطمعته بنفسها فساوم مولاها حتى اخذها بمائة الف درهم ثم انطلق بها
الى منزله فلما كان الليل اذا بطارق فخرج فاذا هو صاحب شرطة الحجاج
فاخذوه حتى دخلوا به عليه فقال له علي بالجارية التي اشتريتها فقال
اصلح الله الامير انها زوجي فلا تكن سبب هلاكي فامر بالقبض عليه و
ارسل من جاء بالجارية فلما راها علم انها لم تبق له ان عرف الخليفة بها
فوجه بها الى الشام من ليلتها الى عبد الملك وحبس الشاب فلما زال

عقله اطلقه واخذ ماله وتوجه الشاب الى دمشق فاقام بها مدة مستغرق
الصبوة فاراد يحتال على الاجتماع بالجارية فلم يمكن فوقع في قصة ان راى
امير المؤمنين ان يأمر جاريته نعمة ان تغني لي ثلاثة اصوات اقترحها
ثم يفعل بي ما شاء فليفعل فلما راى القصة اشتد غضبه ثم عاوده الحلم
فلما انصرف الناس احضر الشاب والجارية وقال لها ما شئت فقال
لها غني قول قيس بن ذريح لقد كنت حسب النفس الى اربعة ابيات
ثم قرى ابوابه ثم قال لها غني قول جميل الا ليت شعري هل ابيتن ليلة
الى ستة ابيات فغشي عليه ثم افاق فقال غني قول المجنون وفي الجيرة
الغادون من بطن وجرة الى اربعة ابيات فلما غنت قام الفتى ورمى نفسه
من شاهق فمات فقال عبد الملك لقد عجل على نفسه ايظن اني
اخرجت جارية واعود بها خذها يا غلام فاعطها الورثة او فتصدق
بها عنه فلما نزل بها نظرت الى حفيرة معدة للسيل فنتشت يدها
من يد الغلام وهي تقول ،،

من مات عشقا فليمت هكذا	لا خير في عشق بلا موت

والقت بنفسها في الحفيرة فماتت وسال القوم عن الغلام فقيل

انه قدم من كذا وكذا يوما ورأى في الأسواق وهو يقول

غدا يكثر الباكون منا ومنكم
وتزداد داري من دياركم بعدا

وقيل إن القصة وقعت بين سليمان ابن عبد الملك وانه اقترح في الصوت

الأول قول امرئ القيس
أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
إلى ثلاثة أبيات وفي الثاني
غدا يكثر الباكون منا ومنكم
وفي الثالث تألق البرق نجديا فقلت له
يا أيها البرق إني عنك مشغول
يكفيك مني عدو ثائر حنق
بكفه كحباب الماء مصقول

فانه كان يطلب كل مرة النبيذ فيسقى ومنهم الشريف البياضي عشق جارية لبنت فخر الملك فوجد بها وجدا عظيما وتطاول أمره حتى شاع في الناس ذكره ولم يزل حتى مرضت فمرض هو فلما توفيت طاش عقله وبقي شهرا فما دون ثم لحق بها وله فيها أشعار كثيرة فمنها

خليلي مرا بالعراق فناديا
ألا من رأى قلبا من الوجد باليا
وان أنتما أعييتما في اشتفائه
ولم تجداه فابغيا لي ناعيا
ومنها دع الوقوف على الأطلال والدمن
فليس ينفع مسكون بلا سكن
أما تراني لا أبكي على طلل
بعد الفراق ولا آوي إلى وطن

وكيف يأنس قلبي بالديار وقد
أصاب فيها الردى من كان يؤنسني
إن الذين أذاقوني فراقهم
أفنيت بعدهم دمعي من الحزن
لله من لعبت أيدي المنون به
ضنا بما فيه أن يبقى على الدمن
جعلت روحي له من روحه عوضا
مقيمة معه في ذلك الكفن
فصار كالحي إذ روحي تحل به
وصرت كالميت إذ لا روح في بدني
ولم تصاحب روحي بعده جسدي
وكان إن غاب نأى أن يصاحبني

ومنهم ما أخرجه ابن الجوزي في تنوير الغبش عن التنوخي والثوري يرفعانه إلى إسمعيل بن جامع قال وقع بيني وبين أبي وحشة فذهبت إلى خالي باليمن فكنت عنده في غرفة تشرف على نهر فنظرت يوما إلى سوداء قد أقبلت تملأ قربة فوضعتها واستراحت ثم أنشدت

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي
لها عسل مني وتبذل علقما
فردي مصاب القلب أنت قتلته
ولا تتركيه هائم القلب مغرما

ثم ملأت القربة ومضت فنزلت أعدو حتى لحقتها واستعدت الصوت فأبت وقالت إني لفي شغل عن ذلك قلت بماذا قالت علي درهمان فأعطيتها إياهما واستعدت الصوت حتى حفظته فلما أصبحت فإذا هو قد

ذهب مني واقبلت السوداء على عادتها فاستعدته منها فقالت بدرهمين
فابيت فقالت كانك تستكثره باربعة دراهم وكاني بك وقد اخذت عليه
اربعة الاف دينار فلما كنا عند الرشيد او قال عند المامون وبين يديه
اربعة اكياس كل واحد فيه الف دينار فقال من اطربني فله الف دينار
فغنيته البيتين فرماني بكيس واستعاد الصوت فرماني باخر حتى رماني
بالاربعة فحدثته القصة فقال لم تكذب السوداء **ومنهم** ما اخرجه ابن
اسحق قال انحدرت مع المتوكل محمد بن ابرهيم من سر من راى ودخلت في
طيارتها فاحضر الشراب فاندفعت جارية تغني

يا رحمة للعاشقينا ما ان ارى لهم معينا	كم يشتمون ويضربون ويهجرون فيصبرونا

فقالت لها مغنية اخرى فيصنعون ماذا قالت هكذا والقت نفسها في
الماء وكان على راس محمد غلام شراؤه بالف دينار فحين راى فعل الجارية التي وهو يقول

انت التي غرقتني	بعد القضا لو تعلمينا
لا خير بعدك في البقا	والموت زين العاشقينا

فتبع من طلبهما فقيل وجدا متعانقين وقد غرقا وقيل استخرجا وقد فنا
وفي رواية الجاحظ ان القصة وقعت في بيت محمد المذكور وان الغلام

هو

هو الذي القى نفسه قبل حين سمع الجارية تغني فتبعته وانها غنت هذا

يا قمر القصر متى تطلع	اشقى وغيري بك يستمتع
ان كان ربي قد قضى كل ذا	منك على راسي فما اصنع

ومنهم شخص كان يهوى مغنية عند عبد الله ابن جعفر فشغف بها
حتى كان ياتي الباب لسماع صوتها فلما فطن بمرذنها ونزل بها اليه
فوجده نائما فانبهه وقال له دونك هي فامض بها الى منزلك فلما
راها الشخص برجله وحركه فاذا هو ميت وكانت هذه الجارية قد طلبها
يزيد فابى عبد الله ان يدفعها اليه فقيل انها ماتت بعد ذلك بيسير
وان موتها كان عشقا **القسم الرابع** في ذكر من حظي بالتلاقي بعد
تجرع الفراق • وهذا القسم هو الذي ترجمه بمن ساعده الزمان
بمطلوبه • حتى ظفر بمحبوبه • وذلك اما بشفاعة او جاه او حيلة
او عناية • وهم ايضا بالنسبة الى النساء اما متعلق بالاحرار • او مرمى
بالعشق من جهة الجواري **فمن الصنف الاول** عبد الله ابن ابي بكر عشق
عاتكة فكلف بها حتى كاد ان يطير عقله فلما تزوجها اقام سنة لا
يشتغل بسواها ثم قدم عليه تجارة من الشام فخرج ليتعاطى امرها

فخيل له حين خرج انه لم يعد ينظر الى عاتكة فعاد في الاثر فجلس معها
وترك التجارة فلما كان يوم جمعة وهو معها اذ فاتت الصلوة ولم يدرك
وجاء ابوه فوجده عندها فقال له اجمعت فقال وهل صلى الناس
فقال له قد الهتك عاتكة عن التجارة فلم ترتب ولم تقل شيئا والان قد
الهتك عن الصلوة طلقها فطلقها طلقة واعتزلت ناحية فلما كان الليل
قلق قلقا شديدا وافتقد

آعاتك لا انساك ما ذر شارق ... وما ناح قمري الحمام المطوق
فلم ار مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير شيء تطلق

وكان ابو بكر على سطح يسمعه فرق له فقال راجعها فقال قد راجعتها
ثم اشرف غلام له فقال له انت حر واشهد اني راجعت عاتكة ثم ضمها اليه
واعطاها حديقة على ان لا تتزوج بعده فلما قتل بالطائف رثته بهذه الابيات

وآليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي اغبرا
فلله عينا من راى مثله فتى ... اكر واحمى في الهياج واصبرا
اذا اشرعت فيه الاسنة خاضها ... الى الموت حتى يترك الجون اشقرا

وتزوج بها عمر بعد ان استفتى عليا في ذلك فافتى بانها ترد الحديقة

الى اهله وتتزوج ففعلت فذكرها علي بقولها وآليت لا تنفك البيت
ثم قال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ثم تزوجت بعده بالزبير
وبعده بالحسين بن علي ع حتى قال ابن عمر من اراد الشهادة فليتزوج عاتكة
وخطبها فقالت اني لاضن بك عن القتل وخطبها مروان بعد الحسين ع
فقالت ما كنت متخذة حموا بعد رسول الله صلعم ومنهم ما حكاه معبد
المغني قال بينا انا جالس اذ طرق بابي فقلت للغلام اخرج فانظر من
بالباب فخرج وعاد مستاذنا فاذنت فدخل غلام فوضع بين يدي ثلثمائة
دينار وقال غن لي

بالله يا طرفي الجاني على كبدي ... لتطفين بدمعي لوعة الحزن
لا لا ابوحن حتى يحجبوا سكني ... فلا اراه ولو ادرجت في الكفن

فعملت لهما لحنا عجيبا وغنيته به فاغمي عليه فنضحت عليه الماء فلما
افاق جعل يقبل يدي ورجلي على ان اعيد الصوت فقلت اخشى ان
تموت فقال ومن لي بذلك فغنيته الصوت فخر مغشيا عليه فلم ازل افضحه
بماء الورد والطيب حتى افاق فجعلت الدنانير بين يديه وقلت خذها
وامض عني فقال لك مثلها ان اعدته فنزهت نفسي فقلت له ان

اقمت عندي واكلت طعامي حتى تقوى نفسك واخبرني بقصتك اعدته ففعل وحدثني انه خرج غب سماء قد سال العقيق منه مع فتية الى متنزه فاذا هم بنسوة بينهن فتاة قد فضحت الشمس تنظر بعينين لا يرتدان الا بالنفس فاوقعت به وعاد مسلوب العقل فاقام لم يعرف لها خبرا حتى كاد ان يقضي فقالت له قرابته لا باس عليك اذا اربع الوقت خرجت بك اوان الفرج فلا تموت الا بخبرها قال فلما جاء الاوان خرجنا الى المتنزه فاذا هي والنسوة لم يجدها فقلت

لقرابتي قولي لهذه الجارية لقد احسن من قال

رمتني بسهم اقصد القلب وانثنت	وقد غادرت جرحا به وندوبا

فقالت الجارية لقد احسن من اجاب

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا	نرى فرجا يشفي السقام قريبا

فامسكت عن الجواب وتبعتها حتى عرفت المنزل فكنا نجتمع و نتحادث الى ان علم اهلها فحجبوها وخطبتها فامتنعوا متحججين بالشهرة فها انا على ما ترى قال معبد فغنيته الصوت ومضى فلما حضرت مع جعفر غنيته اياه فطرب وسال عنه فاخبرته القصة

فامرني

فامرني باحضاره فاحضرته اليه فطيب قلبه وركب الى الخليفة وحدثه بالحديث فاستحضرنا جميعا وطلب ان اغنيه الصوت فغنيته فطرب وكتب الى عامله على الحجاز باحضار الرجل واهله فلما حضروا امرها الخليفة وزوجها منه **ومنهم** رجل عذري دخل على معوية في جمع فلما اخذ

كل مجلسه قام فانشد

معاوي يا ذا الفضل والعقل والندى	وذا البر والاحسان والجود والبذل
اتيتك لما ضاق في الارض مسلكي	وانكرت مما قد اصبت به عقلي
ففرج كلاك الله عني فانني	لقيت الذي لم يلقه احد قبلي
وخذ لي هداك الله حقي من الذي	رماني بسهم كان اهونه قتلي
وكنت ارجي عدله اذ اتيته	فاكثر ترداد امن الحبس والكبل
فطلقتها من جهد ما قد اصابني	فهذا امير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له ما شانك قال تزوجت ابنة عمي وكانت من المبرزات في الجمال والحيا فانفقت عليها الى ان املقت فرفع ابوها القصة الى ابن ام الحكم فضيق علي بالسجن والقيود حتى طلقت كارها فاعطاها عشرة الاف درهم وتزوج بها فاتيتك مستغيثا بعدلك فكتب

معاوية اليه بغلظة عليه يأمره بالتخلي عنها ويقول في آخر الكتاب

ركبت ذنبا عظيما لست اعرفه … استغفر الله من جور امرئ زاني
قد كنت تشبه صوفيا له كتب … من الفرائض او آيات فرقان
حتى اتاني الفتى العذري منتحبا … يشكو الي بحق غير بهتان
اعطي الاله عهودا لا اخيس بها … او لا فبرئت من دين وايمان
ان انت راجعتني فيما كتبت به … لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع … واشهد على ذاك نصرا وابن ظبيان
فما سمعت كما بلغت من عجب … ولا فعالك حقا فعل انسان

فلما وقف عليه قال وددت لو خلي بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف ثم طلقها فاخرجها فلما وصلت الى معوية وقد تعجب الناس من حسنها وقالوا هذه لا تصلح للاعرابي بل انما تكون لامير المؤمنين فتعجب منها ثم استنطقها فاذا هي فتنة فقال له هل لك عوض عنها قال نعم اذا بان راسي عن جسدي ثم انشد

لا تجعلني والامثال تضرب بي … كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حران مكتئب … يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق … واسعر القلب منه اي اسعار
والله والله لا انسى محبتها … حتى اغيب في رمس واحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها … واصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معوية من ذلك وخيرها بينه وبين ابن ام الحكم وابن عمها فانشدت

هذا وان اصبح في اطمار … وكان في نقص من اليسار
اكبر عندي من ابي وجاري … وصاحب الدرهم والدينار
اخشى اذا غدرت حر النار

فقال خذها لا بارك الله لك فيها وامر ان تقيم الى تمام العدة فلما انقضت دفعها اليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار ومنهم ما حكاه في منازل الاحباب عن بعض الحمدونية قال صحبت المتوكل فقال لي هل لك في ان تتصفح الكنائس والرياض وتتدبر ما فيها قلت نعم فاخذ بيدي وجعلنا نستقري الاماكن ونشاهد ما فيها من العجائب وحسن بنات النصارى حتى خلونا براهب الكنيسة فجعل الخليفة يساله عن كل من يمر عليه حتى اقبلت جارية لم تر احسن منها وبيدها مجمرة فبخر فساله عنها فقال هي ابنتي قال له ما اسمها قال شعانين

فقال لها المتوكل يا شعانين اسقيني ماء فقالت يا سيدي ليس هنا
الاماء في اناء لا استنظفه لك ولو كانت حياتي ثوبك لجدت بها
واسرعت بكوز من فضة فاومى اليّ ان اشربه فشربته ثم قال لها ان هو تملك
تساعديني فقالت انا الان عبدتك واما اذا اصدق الحب فما اخوفني
من الطغيان اما سمعت قول الشاعر

كنت لي في اوائل الامر حبا   ثم لما ملكت صرت عدوا
اين ذاك السرور عند التلاقي   صار بيني تجنبا ونبوا

فطرب حتى كاد ان يشق ثوبه ثم قال لها هنهنا نقيل اليوم فصعد
بها الى غرفة مشرفة على الكنائس وجاء الراهب بخمر لم ير مثله وقدم
المتوكل طعامهم فاستحضر اطعمة من عنده فلما اخذ منه الشراب احضر العبادُ الخدمة

يا خاطبا مني المودة مرحبا   روحي فداؤك لا عدمتك خاطبا
انا عبدة لهواك فاشرب واسقني   واعدل بكاسك عن جليسك الي
قد والذي رفع السماء ملكتني   وتركت قلبي في هواك معذبا

فارغبها حينئذ فاسلمت وتزوج بها وكانت من احظى النساء عنده
ويقرب من ذلك ما حكي عن الوليد ابن يزيد انه عشق نصرانية ودا سلها

فابت عليه وكاد ان يطيش عقله فتكشف يوم عيد النصارى وبايع
صاحب بستان تنزه فيه بنات النصارى فادخله فلما رآته قالت للبوا
من هذا قال لها مصاب فجعلت تمازحه حتى اشتفى بالنظر اليها فقيل
اتدرين من هذا قالت لا قالوا لها هو الخليفة فاجابت حينئذ وتزوج بها وفيها يقول

اضحى فؤادك يا وليد عميدا   صبا قديما للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة   برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت ارمقها بعيني وامق   حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من راى   عودا اصليبا مثله معبودا
فسالت ربي ان اكون مكانه   واكون في لهب الجحيم وقودا

ومن ذلك ما حكي عن العباس ابن الفضل انه عشق نصرانية بدير خرجيس
وكان لا يفارق البيع شغفا بها فوجدها يوما في بستان فجلست معه اسبوعا فقال في ذلك

رب صهباء من شراب المجوس   قهوة بابلية خندريس
قد تجليتها بناي وعود   قبل ضرب الشماس بالناقوس
وغزال مكحل ذي دلال   ساحر الطرف ساحري عروس
قد خلونا بطيبه نجتليه   يوم سبت الى صباح الخميس

بين وردٍ وبين آسٍ جنيٍّ … وسط بستان دير ماسرجيس
يتثنى في حسن جيد غزالٍ … في صليبٍ مفضضٍ آبنوسي
كم لثمت الصليب في الجيد منها … كهلالٍ مكللٍ بشموسِ

ويقرب من ذلك ما حكاه الصلاح الصفدي في تاريخه قال رأيت بحماة رجلاً وافر الحظ من الخط وقد اوثقه المؤيد ليكتب عنده وكان لا يمكنه من الخروج فحكي لي انه عشق نصرانية بتيزين وكان يكتب الى المغرب بحماة ثم يذهب اليها فيجلس معها الى الصباح ويأتي فاقام على ذلك طويلاً وانها قالت له يوماً ان احببتني فاجعل على راسك صليباً ففعل وانا رأيته ومنهم الحجي وهو رجل من فزارة عشق ابنة عمه وكلف بها وابى عمه ان يزوجها منه وزوجها فتسور عليها ليلة فاحس به فقبض عليه واتي به الى خالد القسري فاقام جماعة وشهدوا انه سارق وسأله فاقر لئلا يسترها فامر بقطع يده فرفع اخوه الى خالد رقعة يقول فيها

اخالد قد اوطئت والله عشوة … وما العاشق المظلوم فينا بسارق
اقر بما لم يأته المرء انه … رأى القطع خيراً من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه … لالفيت في امر له غير ناطق

فتحسس

فتحسس خالد من الامر فلما استصحه احضر اباها وامره ان يزوجها من الغلام فابى فاجبره وساق المهر من عنده ومنهم محمد بن صالح العلوي قال لما خرجنا على المتوكل اخذت انا واصحابي قافلة الحاج فجمعنا منها مالاً ومتاعاً لا يحصى وكنت قد جلست على كرسي واصحابي يجمعون المال اذا بامرأة قد دفعت سجاف الهودج فاضاء منها الموضع ولا اضاءته بالشمس فقالت ابن الشريف صاحب السرية فلي اليه حاجة قلت انه يسمع كلامك فقالت انا حمدونة بنت عيسى بن موسى تعلم مكاننا عند الخليفة وانا اسألك ان تاخذ مني ثلاثين الف دينار مع اني اعطيك ما في يدك ولكن اسألك بفضلك ان لا يكشف لي احد وجها فناديت اصحابي فلما اجتمعوا قلت من اخذ منكم من هذه القافلة عقالاً آذنته بحرب فردوا حتى الاطعمة وخفرتهم الى المامن فلما ظفر بي الخليفة وحبسني بسر من راى دخل علي السجان يوماً فقال بالباب امرأتان من اهلك يريدان الدخول عليك ولولا ان دفعا الي دملج ذهب ما اذنت لهما فقد منع الخليفة ان يدخل عليك احد فخرجت فاذا انا بها مع امراة وجارية تحمل شيئاً فلما بصرت بي

قالت اي والله هو وبكت لما انا فيه ثم قبلت قدمي وقالت لو استطعت
ان اقيك بنفسي لفعلت ولكني لا اقصر في خلاصك ودونك هذه
النفقة ورسولي يأتي اليك كل يوم بما تريد حتى يفرج الله ودفعت
الي خمسمائة دينار وثيابا وطيبا وطعاما وانصرفت وقد اضرمت بقلبي
نارا قدحتها النظرة الاولى فانشدت

طرب الفؤاد وعاودت احزانه ... وتشعبت شعبا بها اشجانه
وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنع اركانه
فبدا لينظر اين لاح فلم يطق ... نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سمحت به اجفانه
يا قلب لا يذهب بحلمك باخل ... بالنيل باذل فاقة منانه
واقنع بما قسم الاله فامره ... ما لا يزال على الفتى اتيانه
والبؤس ماض ما يدوم كما مضى ... عصر النعيم وزال عنك اوانه

ولم يزل رسولها يعاودني بالاحسان وملاطفة السجان الى ان اخرجني
وعظم امري عند الخليفة بالولاية فخطبتها فامتنع ابوها وكان

سجن هواها اعظم علي من السجن فلم ار الا ان اتيت ابرهيم
ابن المقتدر فاخبرته بذلك وكان ابوها في ضيعته فركب اليه فلم
يفارقه حتى زوجني بها ومنهم جعفر بن مجمع العذري قال عمر بن
ابي ربيعة انه كان فتى مغرما بمحادثة النساء وحفظ طرف الاخبار
وملح الاشعار مع انه غير عاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يحضر
الموسم فتقصده الناس لتسمع منه فانقطع سنة فسالت عنه العذريين
فقال لي رجل تريد ابا المسهر قلت نعم اياه اعني فتنفس الصعداء
ثم قال قد اصبح والله كما قال

لعمري ما حبي لاسماء تاركي ... صحيحا ولا اقضي به فاموت

قلت وما به قال مثل ما بك من تيهكما في الضلال قلت وما انت
قال اخوه قلت كانك واياه على طرفي نقيض ثم انطلقت اعود

ارابحة حجاج عذرة روحة ... ولما يرح في القوم جعد بن مجمع
خليلين نشكو ما نلاقي من الهوى ... متى ما اقل يسمع وان قال اسمع
فلا يبعدنك الله خلا فانني ... سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي

فلما كان الموسم من قابل وانا بعرفة رأيت شابا لم يبق الا

دسومه فعرفته بنافته فسلمت عليه وسالته عن حاله فبكى الى ان ابرق فقلت له
ان هذا يوم دعاء فادع الله ان يزيل ما بك فلم يزل يدعو حتى حان الغروب فسمعته يقول

يا رب كل غدوة وروحة	من محرم يشكو الضحى ولوحة	انت حسيب الخصم يوم الدوحة

فقلت له وما الدوحة قال اذا انصرفنا حدثتك فلما انصرفنا حدثني انه كان
لخوالا من كلب وانه حول ماله اليهم خشية الملوك فاقام معهم وانه خرج يوما
على فرس وقد صحب شرابا فاشتد الحر ورفعت له دوحة فقصدها ونزل
تحتها فما استقر حتى بان له شخص عليه درع اصفر وعمامة سوداء يطرد
مسحلا واتانا فقتلهما وقصد الدوحة ونزل بها فحادثه فخلب عقلي
لفظه فدعوته الى الشراب فشرب وقام ليصلح من شان فرسه فزحزح
الدرع عن ثدي كحق العاج فقلت امراة انت قالت نعم ولكن شديدة
العفاف حسنة الاخلاق والمفاكهة فتحادثنا ساعة واخذها النوم
فوالله لقد هممت بهجر العفة لما داخلني ثم راجعت المروة فلما انتبهت
وعزمت على الذهاب سالتها الزيارة فذكرت ان لها اخوة واباً شرسة
كذلك ثم مضت وها انا كما ترى فقلت لتطب نفسك فاني موصلك
الى مطلوبك ثم قمت فشددت على ناقة وصحبت الف دينار ومطارف خز

ومضينا

ومضينا حتى نزلنا بالحي فاحسن ملقانا فقلت له قد اتيتك خاطبا
قال فوق الكفاءة انت والمرغوب في مثله فقلت لم اخطب الا لصاحبي
هذا وهو ابن اختكم فقال الحبيب الكريم ولكن اخبرها بينكما فقلت ما
انصفتني فاومى صاحبي الي ان ادعه فقلت افعل فخيرتها ففوضت الامر
الي فحمدت الله فزوجتها من صاحبي وامهرتها الالف وكسوت الشيخ المطارف
وسالته ان يبنيني بها من ليلته ففعل وجئته من الغد فقلت كيف كانت
ليلتك وكيف وجدت صاحبتك قال ابدت لي كثيرا مما اخفته قديما وسالتها
عن ذلك فانشدت

كتمت الهوى اني رايتك جازعا	فقلت فتى بعد الصديق يريد
فان تطرحني او تقول فتية	يضر بها برح الهوى فتعود
فوريت عما بي وفي الكبد والحشا	من الوجد برح فاعلمن شديد

فباركت له وانصرفت ومنهم ماحكاه التنوخي وهي من العجايب اللطيفة
قال ضلت لي ابل فطلبتها في قضاعة حتى اذا دهمني الليل امسيت في
بيت تفرست انه كفو للضيف فناديت اهله فلبتني امراة كالشمس جمالاً
وقالت انزل على الرحب واجلستني عند نار فاصطليت واتتني بغداء

كثير فاكلت وهي تحادثني واذا الابل كثيرة قد اقبلت الى البيت وقد اقبل
شخص فبادرت اليه ومعها ولد تلاعبه فتناوله وجعل يلثمه وانا اظنه عبدا
لها حتى جلس الى جانبها فقال لها من الضيف قالت اسد فعلمت انه زوجها
فجعلت اتامل ما بينهما من المباسطة وفطن لذلك فقال كانك تتعجب منا
قلت اي والله واي العجب قال احدثك بوصولها الي قلت ما احوجني
الى ذلك قال اعلم اني كنت سابع سبعة اخوة اذا رايتني ظننت اني عبدهم
وكانوا يطرحوني للرعي ونحوه فضل لنا بعير فقالوا امض في طلبه فقلت
ما انصفتموني فقال ابي اذهب يالكع والا جعلته اخر ايامك بالضرب فمضيت
وانا على اسوء حالة من البرد والجوع فدفعني المساء الى عجوز وبيمنة الخيم
والترف والى جانبها هذه الغزالة فجعلت تحرزني وتقول هل لك اذا
نام الناس ان تدخل علي فاتحدث معك فاني لم ار احسن منك فقلت
دعيني من هذا فاقبل ابوها واخوتها سبعة فناموا على باب الخيمة فاغراني
الشبع والدفا فدخلت الستر فلما شعرت بي قالت من تكون قلت الضيف
قالت اخرج لا حياك ولا صحبك فخرجت فزعا فلقيا في كلبهم يريدان باكلي
وانا اذودهما بعصاي حتى علقا بجبة صوف علي فتجاذبانا حتى سقطت انا وا

في حفرة لاماء فيها وكانت الصبية شعرت بذلك فاقبلت حتى بصرت بي
فقالت وددت ان اجعلها فراك لولا خشية الضرر ثم ادلت لي حبلا وقالت
ارق فحين قاربت فم الحفيرة انهارت من تحت اقدامها فسقطنا جميعا فلما
كان الصباح وافتقدوها فلم يجدوها وكان ابوها عارفا بالقيافة فاقبلوا
بالشبوو والاحجار على قتلنا فقال ابوها اني لاعرف من ابنتي ما لا ريبة
فيه فامسكوا فاخرجونا فاقبل علي ابوها وقال افيك خير لان زوجتك
بها انقاء التهمة فقلت حين شممت الحيوة وهل عندي الا الخير فزوجني
بها على خمسين بكرة وامة وعبد فرجعت الى ابي فاخبرته بذلك فاحضرتها
واقبلت بها اليهم فاخذوها وبنيت بها وها هي تسمع ما اقول **ومن**
الصنف الثاني ما حكي عن علي عليه السلام انه كان له مؤذن شاب وكان عنده جارية
وكان اذا راها المؤذن يقول لها اني احبك فاخبرت عليا عليه السلام بذلك
فقال لها قولي له وانا ايضا احبك فماذا تريد مني فقالت له ذلك فقال
اذا نصبر حتى يوفينا اجورنا من يوفي الصابرين اجرهم فمضت فاخبرت عليا عليه السلام
فدعى به وزوجها منه **وحكي** عن عبد الله بن جعفر انه كان يحب جارية
له فبلغه انها تهوى عبدا له فقال لها في ذلك فقالت اعيذك بالله من

هذا فأقسم عليها ان تصدقه فاطرقت ساكتة فزوجها منه ثم رد لخطه ان
حبها ما كاد ان يذهب عقله فدعى الغلام فقال له هل تنزل عنها بعشرة الاف
درهم فقال ولا بمائة فقال بارك الله لك فيها فلم يكن الا قليلا ومات العبد
فاعادها ابن جعفر وقيل انه حين دخل بها انشد

رضيت بحكم الله في كل امره ... وسلمت امر الله فيه كما مضى
بلاني وابلاني بحب دنيته ... وصبر في حتى انمحى الحب فانقضى
لعمرك ما حبي بحب ملا له ... ولا كان ودي زائلا فتنقضا
ولكن حبي ... وبعض احبانا اذا الحب اعرضا

وحكى الرياشي قال اشترى بصري جارية على ارفع ما يكون من الجمال
والفصاحة فتكلف بها وكان ثريا فانفق عليها ما في يده حتى اذا املق ولم
يبق معه شي اشارت عليه ببيعها وياخذ ثمنها ينفقه عليه فلما احضرها
السوق اخذت الى ابن معمر وكان عاملا على البصرة فاشتراها بمائة الف
درهم فلما قبض المال وهم بالانصراف انشدت الجارية

هنيئا لك المال الذي قد حويته ... ولم يبق في كفي غير التذكر
اقول لنفسي وهي في غشي كربة ... اقلي فقد بان الحبيب او اكثري

اذا لم يكن للمرء عندي حيلة ... ولم تجدي شيئا سوى الموت فاصبري

فاشتد بكاء مولاها وانشد

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن ... يفرقنا شي سوى الموت فاصبري
اروح بهم في الفواد مبرح ... اناجي به قلبا طويل التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا ... ولا وصل الا ان يشا ابن معمر

قال ابن معمر قد شئت خذها ولك المال فانصرفا راشدين فوالله لا
كنت سببا لفرقة محبين وحكي عن ابن داب انه مرض مرضا شديدا
فطال به الامر فدعوا له اطباء الروم فعالجوه بضروب من العلاج فلم
يؤثر فيه شيئا فامروا اهله ان يوكلوا به جارية تسقيه من الخمر دون
السكر لعله يبيح بما عنده فارسل اليه عمه بجارية فلما سقته وغنت عنده اخذ

دعوني لما بي وانهضوا في كلاءة ... من الله قد ايقنت ان لست باقيا
وان قد دنى موتي وجاءت منيتي ... وقد جلبت عيني على الدواهيا
اموت بهم في فوادي مبرح ... فيا ويح نفسي من به مثل ما بيا

فاعلموا عمه بذلك فبعث اليه بجارية ظريفة كثيرة الادب فاستخرجت
ما عنده بلطف فاخبرها انه رأى جارية اخته فعشقها واصابه هذا

الحال فاعلمت اخته فوهبت له الجارية فبرئ من علته وحكى رجل قال
عشق عبدا اسود صديق لي بالمدينة جارية لرجل بها ايضا فكان يواصلها
سرا فلما علم مولاها جاء الى مولى العبد فاخبره بذلك فضربا العبد وحبسه
فتوله وطار عقله فدخلت عليه يوما فقلت له ما هذا الحال فقال
فضحتنا بهذه السوداء فهل عندها ما عندك فبكى وانشد

كلانا سواء في الهوى غير انها ... تجلد احيانا وما بي تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما ... جنوني عليها حين انهى واوعد

فخرجت فاعلمت مولاه فحلف لا يبيتن حتى يجمع بينهما فاشتراها بعشرة
الالاف درهم وزوجها منه وحكى عن ابن جعفر ايضا انه وجد بجارية
عنده اسمها عمارة وجدا شديدا وكان لا يستطيع فراقها سفرا ولا حضرا
فقدم على معوية سنة من السنين لاخذ حقه فرآه يزيد فعشق الجارية
بحضرته فاخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه وكان ذا دهاء
فكتم امرها فلما افضت اليه الخلافة استشار اهل سره في امرها
وانه لا يهنيه فواده دونها فقالوا له ان ابن جعفر عند الناس بمنزلة
فتعرف ما كان منه مع ابيك ولا نامن عليك في ذلك فالزم المهلة

واجتهد في الحيلة فاخذ في تدبير ذلك حتى ظهر له فاحضر رجلا
عراقيا معروفا بالدهاء والحيل واطلعه على امره فقال له مكني مما
اريد ولك علي ان اتيك بها فقال له لك ذلك وسترى مني فوق
ما يسرك ثم اعطاه مالا وثيابا وجواهر وخرج من العراق كبعض
التجار حتى نزل بساحة عبد الله ابن جعفر وبلغه فاحسن ملقاه و
اخذ العراقي في التودد اليه فارسل اليه بقماش وجواهر وهدايا تزيد
على الف دينار وساله قبولها فقبل ونقله الى خواصه فزاد في
الهدايا الى ان صار من ندمائه فاحضر الجارية فلما غنت اعجب بها
العراقي حتى قال ما ظننت ان في الدنيا مثل هذه فقال له كم ثمنها
عندك قال الخلافة فقال عبد الله تقول ذلك لتزين لي شانها وتطلب
بذلك سروري فقال يا سيدي انا تاجر اجمع الدرهم الى الدرهم ولو
بعتنيها بعشرة الالاف دينار لاخذتها قال قد بعتك قال اشهد وقام
العراقي فرحا بالظفر وبات ابن جعفر متفكرا فلما اصبح الا والعراقي
قد جاء بالمال فقال له ابن جعفر انا كنت مازحا فقال يا سيدي انت
تعلم ان المزاح في البيع جد وهذا لا يليق لمثلك وانت معروف

بالكرم والصلاح فكيف ترضى ان يشيع عنك مثل هذا وطال بينهما الكلام
الى ان خدعه فاخرجها له وهو كالمجنون لا يملك نفسه فرحل بها من
يومه واقام ابن جعفر حزينا باكيا لا يقر له قرار فلما دخل العراقي
الشام وجد يزيد قد مات فاجتمع بولده معوية فقص عليه الخبر وكان
صالحا فقال له اخرج عني بها فلا ترى بي وجهك فخرج العراقي وكان
قد قالت له الجارية انا لست من رجالك وانما اخذتك للخليفة فاستتر
فلم ير لها وجها فلما قال له معوية ما قال جاء اليها وقال قد صرت
لي ولكن استتري فاني معيدك الى مولاك ثم رحل بها حتى نزل على
ابن جعفر فلما تلاقيا اخبره بالقصة وانه لم يكن تاجرا ولكن كان
مطلوب الجارية ليزيد وانه حين راه قد هلك لم ير نفسه اهلا لها
فاعادها اليه ولم ير لها وجها ثم اخذها فسلمها اليه فمذ تلاقيا
وتعانقا واخرا مغشيين ساعة ثم ادخلها ورفع منزلة العراقي حتى
صار اعظم الناس عنده ووهب له المال وانصرف واقاما على ما كانا
عليه وحكي في الاغاني عن ابي مليكة عن جده قال كان بالمدينة
رجل ناسك كثير العبادة فمر يوما بجارية تغني شعر اعشى بني قيس وهو يقول

بانت سعاد فامسى حبلها انقطعا	واحتلت الغور فالجدين فالفرعا
وانكرتني وما كان الذي نكرت	من الحوادث الا الشيب والصلعا

فهام حتى كاد ان يذهب عقله فذهب اليه عطاء وطاوس يلومونه على ذلك فانشد

يلومني فيك اقوام اجالسهم	فما ابالي اطار اللوم ام وقعا

وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجارية باربعين الف درهم ثم احضرها وقال
له اتحب ان تسمع الصوت من صاحبته قال نعم فامرها فغنت فسقط مغشيا
عليه فقال ابن جعفر قد اثمنا فيه الماء الماء فاتي بالماء فجعل ينضحه حتى افاق
فقال له اتحب ان تسمعه من الجارية قال فقد رايت ما وقع لي منه مع
لا اجلها فكيف منها فقال اتعرفها قال وهل اعرف غيرها فاخرجها اليه
وسلمها له وقال لهي لك والله ما رايتها فقبل يديه ورجليه وقال قد
اعدت عقلي واحييت نفسي ودعا له فقال يا غلام احمل معه مثل ثمنها
مالا وثيابا وطيبا فاخذ ذلك وانصرف وحكي انه كان ببغداد رجل
ذوي النعم فعشق قينة على اوفر ما يكون من الجمال والمعرفة بالغنا
والضرب فانفق عليها ما في يده حتى ضاق حاله فاشار عليه بعض
اصدقائه ان ياذن لها في الغنا عند الناس فانها مطلوبة وتحصل

لم يبد لك الثروة فعمّ لذلك واخبرها ان الموت عنده اهون عليه من هذا
فقالت له الرأي ان تبيعني فتحصل من ثمني على غناك واكون انا في
نعمة ثروة فانه لا يشتري مثلي الا غني فحضرها السوق فاشتراها هاشمي
من اهل البصرة بالف وخمسمائة دينار فلما قبض المال وتفارقا صار
كل منهما على اقبح حال من البكا واجتهد في الاقالة فلم يجب قال
فخرجت لا ادري الى اين اذهب اذ لا يمكنني الدخول الى البيت وقد
اوحش منها فدخلت مسجدا وجعلت الكيس تحت راسي ونمت فما
انتبهت الا وشاب قد اخذ الكيس فقمت لاعدو خلفه فاذا رجلي
مشدودة فما تخلصت الا وقد ذهب فاستدما بي فجيبت وجهي ولقيت
والقيت نفسي في دجلة طالبا ان اغرق فاستنقذني الحاضرون
ظنا باني وقعت غلطا فلما اخبرتهم بقصتي فمنهم من عنف ومنهم من
رحم فخلا بي شيخ منهم فوعظني وقال لست باول من افتقر بعد غنى
اما كفاك ذهاب مالك حتى تريد ان تذهب نفسك وتصير في النار
فسكن ما بي قليلا ثم عاودني القلق فاخبرت صديقا لي فاعطاني
خمسين درهما واشار علي ان اخرج من بغداد فعسى اجد من اكتب

عنده

عنده من الكتاب بحسن خطي فعزمت على واسط لان لي بها صديقا
من الكتاب فجئت فرأيت زلالا متهيئا فطلبت النزول معهم فقالوا
نحملك بدرهمين ولكن الزلال لهاشمي ولا بد معه غربا فتزيا بزينا
كأنك بعض الملاحين فوقع بقلبي ان الزلال للذي اشترى جاريتي
فاتفرج بصوتها الى واسط فاشتريت لي جبة ولبستها كالملاحين فما
وقفت الا وجاريتي قد اقبلت ومولاها وضربت لها ستارة فلما
انحدروا وجاء العشاء فاكلوا وشربوا وقال للجارية الى كم هذا الحزن
من الغنا فما انت اول من فارقت مولاها فالحوا عليها فاخذت العود وغنت

بان الخليط بمن علمت فادلجوا	عمدا لقتلك ثم لم يتحرجوا
وغدت كان على ترائب نحرها	جمر الغضا في ساعة يتأجج

ثم غلبها البكاء ونهضت فتنغصوا وصرخت فنضحوا عليها الماء واذنوا
في اذني فافاقت ولم يزالوا يتلطفوا بها حتى عادت فغنت

فوقفت انشد بالذين احبهم	وكان قلبي بالشفار يقطع
فدخلت دارهم اسائل عنهم	والدار خالية المنازل بلقع

فشهقت فكادت تتلف وصرخت فقالوا كيف حملتون مجنونا اطرحوه

فلحقني امر عظيم فتصبرت حتى سار القوم المنزلة في بعض الطريق وارفؤوا
الزلال وصعدوا يتنزهون وخلا الزلال فعمدت على غفلة الى العود فاصلحته
على طريقة معروفة بيني وبينها فلما رجعوا وكان الوقت مقمرا فانطلقوا
بها وقالوا ترين ما نحن فيه من هذا الوقت فبالله عليك الا ما افرحت
معنا فاخذت العود فشهقت شهقة منكرة ثم قالت هذا العود على
طريقة كان يحبها مولاي فيضرب معي فقالوا لها والله لو كان معنا
ما استمتعنا من عشرته ليخفف ما بك فقالت هو معنا لا محالة فقال
للملاحين هل حملتم معنا احدا واشفقت ان ينقطع السؤال فقلت انا
يا سيدي فاحضرني وقال اني والله ما وطئتها وانا رجل قد وسع علي
وما اخذتها الا لسماع غناها فكن معنا الى منزلنا اعتقها وازوجكها
ولا اريد منك الا ان تحضرها كل ليلة من وراء الستارة فنسمع غناها
وتنصرف فقلت كيف امنع عنك ذلك وانت سبب حياتي فقال
للجارية ارضيت بذلك قالت نعم وشكرته وزاد سرورها فجعلت تغني
وانا اقترح عليها الاصوات فقضينا عمره رفد الرجل ودمنا على ذلك
حتى بلغنا فم معقل ليلا ونحن ثملون فصعدت حين ربط الزلال لقضاء

حاجة

حاجة فاخذني النوم ولم يدروا بي حتى سافروا وانتبهت بحر الشمس فلم
اجدهم وعدت في المحنة فجاءت سمارية فنزلت معهم الى البصرة فدخلتها
لا اعرف بها موضعا ولا احدا ولم اكن سالت الرجل عن اسمه ولا موضعه
فرايت رجلا من بغداد مارا فقمت لاشكو اليه حالي فقفاني فتبعته
حتى عرفت موضعه وجئت الى بقال فاخذت منه ورقة لاكتب حالي
الى الرجل فاستحسن البقال خطي واسترق حالي وسالني عنه فلم
اشرح له اكثر من انه لم يبق في يدي شيء فقال هل لك ان تكتب
عندي في كل يوم بنصف درهم وما تحتاج اليه فتضبط مالي فاجبته
فراى بعد شهر الزيادة بضبطي وحفظي ما كان يسرق له فزاد في
اكرامي فزوجني بعد حول بابنته واشركني في ماله غير اني في
خلال ذلك منكسر النفس حزين القلب فلما كان ذات يوم رايت
الناس مجتازين بانواع الزينة فسالت عن ذلك فقيل عيد الشعانين
للنصارى والناس تخرج للفرجة فوقع في نفسي ان اخرج معهم عسى
ان اظفر باصحابي فاستاذنت الرجل فاصلح لي ما احتاج اليه و
خرجت فما وصلت الا والزلال بعينه في اوساط الناس فلم

املك ان طرت اليهم فحين رآوني فرحوا بي وقالوا نحن منذ فقدناك الا ما
شككنا انك غرقت فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها
فلما وصلنا البصرة خبرناها فيما تريد فاختارت لبس السواد وتمثل قبري
تجلس عنده تبكي ثم اخذوني فادخلوني عليها وهي على تلك الحالة
فما رأتني شهقت شهقة ما شككت في موتها فلما افاقت قال لي مولاها
قد وهبتها لك قلت لا ولكن افعل ما تقدم من العتق والتزويج ففعل
بالشروط السابقة واعطاني ثيابا وخمسمائة دينار وقال لي هذا مقدار
ما كنت اجريه عليك الى اليوم وهو مستمر لك فجيت الى البقال فأعلمته
بذلك وطلقت ابنته واقمت مع الجارية على احسن حال وحكى جعفر ان
ابن يحيى حين قدم البصرة مع الرشيد قال لاسحق ابن ابرهيم قد بلغني
ان هنا جارية لم ير مثلها لكن لا يريها مولاها الا في بيته فاخرج
بنا ننظر اليها فخرجنا والنخاس مستخفين حتى طرقنا الباب فخرج شاب
متغير اللون في ثوب حسن فادخلنا دار حرجة ففرش لنا حصيرا رثة
واجلسنا ودخل فخرجت جارية بذلك الثوب الا انها تفوق الشمس
حسنا وجمالا فسالناها الغنا فغنت

ان يمس حبلك بعد طول تواصل	خلقا وبيتك موحشا مهجورا
فلقد اراني والجديد الى البلى	دهرا بوصلك راضيا مسرورا
كنت المنى واعز من وطئ الحصى	عندي وكنت بذاك منك جديرا

ثم غلبها البكاء حتى منعها الغنا فنهضت الى البيت تعثر في القميص
فسمعنا لهم بكاء وشهيقا ثم خمدت اصواتهما فظننا انهما قضيا ثم
خرج الشاب في الثوب بعينه وقال اشهدكم انها حرة واريد ان
تزوجوني بها ففعلوا وعم جعفر لغواتها وقال له ما حملك على هذا
قال حديثي طويل ان شئت حدثتك به قال نعم فقال انا ابن فلان
وقد كنا من ذوي النعم وهذا يعرف ذلك واشار الى النخاس ثم قال
وكانت هذه الجارية لامي فنشأت انا واياها وادخلتنا المكتب فبرعنا
في الادب واخرجت هي لتعليم الغنا فلم اطق فراقها فصرت معها فلما
برعت فيه طلبت امي بيعها فالفيت الموت فصدقتها الخبر فوهبتها
لي وجهزوها فادخلت بها بعدما استعنت من التزويج واظهرت لها
والعفة كل ذلك لقصور شهوتي عليها والناس يظنونه عفة فاقمنا
في ارغد عيش الى ان مات ابي فلم احفظ النعمة فانفقت الاموال

وأكرت من الهبات وأسرفت حتى لم يبق عندي إلا هذا الثوب وأنتا
أنا وإياها فأشفقت عليها فقلت لها حين دخل الخليفة الرأي أن أبيعك
وأعلم أني هالك إثر ذلك ولكني أختار أن تعيشي بخير فلما عرضت عليكم
ودخلت إلي قالت لو كان عندك مني ما عندي منك ما ذكرت بيعا
فقلت أتحبين أن أعتقك وأتزوج بك وتقيمين معي على هذه الحال
فقالت إن كنت صادقا في الحب فافعل فخرجت وفعلت ذلك فعدد
جعفر قال إسحق فلما ركبنا قلت له إنك تبذل الأموال وتغني المحاويج
أفلا ترق لهذا قال بلى ولكن قد غبنت لفوات الجارية ثم التفت إلى
النخاس وقال كم صحبت من الأموال قال ثلثمائة ألف دينار قال
ادفعها إليه وقم أن يأتيني غدا فلما أعطاه النخاس المال وأخبره أن
الذي كان عنده جعفر وأنه يدعوه إليه كاد أن يطير فرحا وأقبل إليه
من الغد وقد تزين فأخبر به الخليفة فأجرى عليه رزقا وجعله من
الكتاب لما رأى عنده من الظرف والأدب وأمر كلا من العسكرين
يهاديه ففعلوا وأقاموا في النعم وأغرب من ذلك ما حكي أن أندلسيا
كان مغرما بجارية يحبها حبا شديدا وأنه أراد بيعها للوحشة فلما

حقت

حقت الصفقة كاد أن يطير عقله فحكم المشتري في ماله فأبى فتشفع
عنده وبذل له مالا كثيرا فامتنع وادعى محبتها فلما رأى الأندلسي
اليأس منها ألقى نفسه من شاهق فأبهت الملك وأمر أن يتلقى ففعل
٢٢٧ أنه لم يصب بشيء وجيء به إلى الملك فقال الله أكبر قد ظهر الحكم في
ذلك ثم قال للمشتري قد رأيت ما فعل هذا من حبها فإن كنت تحبها
كما تقول فافعل كفعله فإن عشت فأنت أحق بها فقال لا أفعل ثم
هم بذلك ورجع فأمر أن يلقى غضبا فلما حقق ذلك قال قد أعطيته
إياها فأخذت منه وأعيدت إلى مالكها وحكي أن المأمون افتتن بجارية
من جواري أبيه الرشيد وكان يكتم أمره وكانت من خواص الخدمة فبينما
هي يوما تصب على يديه وقد التفت إذ أشار لها المأمون بقبلة
فغمزته مشيرة بحاجبها إلى أنها خائفة وفترت في صب الماء ففطن
الرشيد فحلف إن لم تخبره ليقتلنها فأعلمته فنظر إلى المأمون
وقد كاد يقضي من الخوف فضمه وسكن ما به ثم قال له أتحبها
قال نعم قال قم واختل بها في هذه الخلوة ففعل فلما خرج قال له الرشيد قل في هذه فقال

ظبي كتبت بطرفي عن الضمير إليه ... قبلته من بعيد فاعتل من شفتيه

وردّ اخبث ردٍّ بالكسر من حاجبيه	فابرحته كأني حتى قد درت عليه

وحكي ان ابرهيم ابن المهدي زمن اختفائه عن المأمون مكث عند عمته عصمة
بنت المنصور وكان عندها جارية قد احسنت تأديبها وتعليمها حتى صارت
من الطف اهل زمنها فوكلتها بخدمة ابرهيم فعلقها وزاد به الوجد وهو
يكتم حبها حتى سكر يوما فغنى

يا غزالا لي اليه شافع من مقلتيه	والذي اجللت خديه فقبلت يديه
بابي وجهك ما اكثر حسادي عليه	انا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففطنت للطفها بما اراد فاعلمت مولاتها فوهبتها له فلما اتاها مقبلة اعاد
الصوت فقبلت رأسه فنهاها فاخبرته انها له فقرت عينه وحكي ان رجلا
مكيا كان عنده جارية وكانت على احسن صورة والطف هيئة قد كملت
فوق حسنها بالبراعة في الغنا والضرب حتى ان الناس كانوا يقصدون الحاج
لينظرون اليها لانه كان لا يخرجها الا زمن الموسم يطلب منها الزيادة وانه
كان بمكة فتى ناسك قد عرف عند الناس بالعبادة فوقع عنده من حب الجارية
ما غير حاله وهيج بلباله ونحل بدنه واهاج شجنه وكان يتمتع في كل سنة
بالنظر اليها زمن الموسم ثم مكث باقي سنته عليلا في بيته فدخل عليه صديق

له فعاين من حاله ما حير قلبه وطير لبه فتلطف به حتى عرف امره وما
هو عليه من امر الجارية ورغب اليه ان لا يفشي سره فخرج حتى اجتمع
بمولاها فحدثه القصة فوهبها وخرج بها الى يوم الموسم فلما اجتمع الناس قال
اشهدكم اني وهبت هذه الجارية لهذا الفتى فقالوا له كيف تفعل هذا
وقد بذلت لك فيها الاموال قال دعوني فاني احييت كل من على الارض
لان الله تعالى يقول ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا وحكي
عن الحارث ابن سليمان قال كنا بمجلس سليمان ابن عبد الملك فاتاه سعيد
ابن خالد فقال له انا شاك اليك من ظلمني قال لمن قال موسى ابن نصير
قال علي به فاحضر فقال له انت شتمت هذا قال لا والله امير المؤمنين
انما مدحت ابن عمه فاغتاظ فقال سليمان وعلى ما مدحته قال موسى
يا امير المؤمنين عشقت جارية حتى كادت نفسي تتلف في حبها ولم اكن
اقدر على ثمنها فشكوت حالي الى اصدقائي فلم يجبني احد فشكوت اليه
فاستمهلني ثلاثا فاتيته وهو جالس فقال للغلام عنده اخرج الوديعة
فاذا بالجارية فقال هذه طلبتك قلت نعم قال تسلمها ثم قال للغلام
اخرج ما عندك من النفقة فاخرجها فاذا هي مائة دينار فصرها مع طيب في

ملحفة ودفع الكل إلي فقال سليمان وما قلت فيه فأنشد

أبا خالد أعني سعيد بن خالد	أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي	أبو أبويه خالد ابن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى	فإن مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه إنكم قد رقدتم	وما هو عن إحسانه برقود

فأحضره سليمان فقال أحق ما يقول عنك موسى قال قد كان ذلك
فقال كم عليك من الديون قال ثلاثون ألفا فقال هي لك ومثلها ومثلها
وملك مثلها قال موسى فلقيته صبيحة اليوم فقلت كم عندك من المال
قال والله لم يبق منه شيء قلت ففيم أنفقته قال في تفريج عن صديق
وإعطاء محتاج وإيصال رحم **وحكي** عن الربيع قال سمعت الشافعي يقول
اشتريت جارية وكنت أحبها فأقول لها ممازحا

إن الشقاوة أن تحب ولا يحبك من تحبه	ويصد عنك بوجهه وتلح أنت فلا تغبه

وحكي عن ابرهيم بن ميمون قال حججت فإذا أنا بسوداء ساهية فأنكرت حالها ساعة وأنشدت

أعمرو علام تجنبتني	أخذت فؤادي وعذبتني
فلو كنت يا عمرو خبرتني	أخذت حذاري فما نلتني

٧

فقلت لها وما عمرو قالت زوجي أو هبني الله يحببني حتى تزوجته وعندي
من الحب له ما عنده لي فتركني ومضى إلى جدة فقلت هل لك أن أجمع بينكما
قالت ومن لي بذلك فمضيت حتى وقفت بالساحل فصرت أنادي من يخرج
من المراكب يا عمرو وكانت قد وصفته لي بأنه أحسن ما أرى فإذا أنا بفتى
على ما وصفت فأنشدته الشعر فقال هل رأيتها فقلت وما يمنعك منها قال
والله عندي أضعاف ما عندها وإنما يمنعني الاكتساب قلت فكم يكفيكم في
كل سنة قال ثلثمائة درهم فأعطيته ثلاثة آلاف درهم وقلت له هذه
بعشر سنين فإذا فنيت أو قاربت فإني أوجه إليك بمثلها ثم جمعت بينهما
وكان أعظم عندي من الحج **وحكي** أن بعض التجار قدم لأصدقائه طعاما
وفيه ددبكريكة وقال ابن الجوزي سكباجا فأبى واحد منهم أن يأكل معهم
فاستعوا الاجليه فقال كلوا فلولا أذى يلحقني منها لأكلت ثم عاود نفسه
وقال أحمل وأكل فلما فرغوا وجيء بالغسول غسل يده أربعين مرة فقالوا
له إنك موسوس قال لا ولكن هذا الأذى الذي قلت لكم ولي حديث
عجيب قالوا وما هو قال أوصاني أبي وكان من ذوي النعم ولا وارث
لغيري أن أحسن الإنفاق والتكسب وأن أسبق إلى السوق ولحد

الثياب وانا اجر فيه فحفظت ما قال فبينا انا يوما في السوق سحرا وقد فرغ
الناس بذلك وكان ربما يأتي ذو حاجة في وقت لا يجد غيري فاقضيها
فاكتسبت بذلك مالا وجاها اذا بامرأة على حمار وخادم يمسكه فنزلت ٢٦٠
عندي فرحبت بها فرأيت نعمة وشكلا ابهرني فقلت ماذا تريدين قالت
ثيابا بصفتهم كذا وكذا فقلت اجلسي حتى يتكامل الناس وقد اذهبت عقلي
ولبي فجمعت لها ثيابا يساوي خمسة آلاف درهم فاخذتها وانصرفت
ولم تعط شيئا ولم اطق من دهشتي ان اقول لها في ذلك ووقع عندي
انها محتالة فقلت ابيع ما عندي واعطي الناس والزم بيتي فمضى على ذلك
اسبوع فبينما انا جالس اذ اقبلت على العادة فقمت واجلستها واديت ما
كان عندها فقالت قد ابطأنا عليك فقلت رفع الله فداك عن هذا
فاخرجت المال جميعه فاعطيته لاربابه مع ما ربحت في ذلك ثم طلبت
ثيابا بالف دينار فاخذتها ومضت فعاودني ما مضى فابطأت فقلت
هذه والله حيلة اوقفت خمسة آلاف درهم واخذت الف دينار ثم ابطأت
غيبتها شهرا وطالبني الناس فعزمت على بيع عقاري ومالي او قال
بعت واوفيت فاذا هي قد اتت على العادة ونزلت عندي فاتيت ذلك

٩٦٠

فاخرجت المال جميعه وطلبت غيره فتشاغلت بها باحضار التجار فقالت هل
لك زوجة قلت لا والله فقطعت فيها فاخذت خادمها على خلوة وارغبته
في ان يكلمها فضحك وقال هي والله اعشق منك لها فرجعت وكلمتها في
ذلك فضحكت وقالت للخادم يأتيك بما يأتي ومضت ولم تأخذ شيئا
اذ لم يكن بها حاجة الا العشق فما كان بعد ايام حتى جاء الخادم فاكرمته
وشرح لي انها مملوكة لام المقتدر وقد رغبت في جعلها قهرمانة فلما
تالفت بك مضت فشكت اليها حبك ورغبت ان تزوجها بك فابت دون
ان تراك وقد اخذوا في حيلة يدخلونك بها اليها فان تمت تم امرك وهي
ان تجلس الليلة بمسجد كذا فمضيت اليه فلما كان السحر اقبل خدام معهم
صناديق فوضعوها واذا انا بالخادم والجارية فادخلتني في صندوق
وجعلت في الباقي ثيابا وحملوه الى الدار فكلما جازوا بطبقة من البوابين
يريدون ان يفتشوا ذلك فتمنعهم حتى عارض خادم وقال لا بد من
تفتيش هذا الصندوق ادركني من الخوف ما انساب معه البول مني
فصاحت افسدت المتاع وكسرت عليه اواني ماء الورد فقال اذهبي فضوا
حتى اخرجوني في خلوة وجعلت تطعمني وتسقيني حتى اتتني يوما فعرضتني

على السيدة فرضيتني لها فاحتالت في خروجي وامرتني ان اتزين باحسن زينة
الى باب الخلافة ففعلت فاخذوني واجلسوني في بيت وجعلوا يدخلون
ويخرجون ويذكرون ان هذا وقت زفاف فلانة على البزاز ويذكرون
صاحبتي ففرحت فرحا اطار عقلي غير اني جعت جوعا احرق احشائي
واستطعمت الخدام فلم يطعموني لانهم لم يعرفوني حتى جاء خادم يعرفني
فشكوت اليه الجوع فقدم لي ديكبكة فاكلت وغسلت يدي غسلا لطيفا
معه النقا فلما خلوت بها زفتني وقالت كيف تفلح وانت عامي سفلة
وهمت بالخروج فتعلقت بها واخبرتها القصة ثم قلت يلزمني صوم الابد
والحج ماشيا والطلاق والعتاق وصدقة مالي ان لا اكلها بعد اليوم الا
غسلت يدي اربعين مرة فضحكت ودعت بطعام وشراب فاكلنا وشربنا
ولما مضى اسبوع اعطتني مالا وامرتني ان اشتري به دارا فاشتريت
وقد اصبحت في نعمة عظيمة فاقمنا على احسن حال وحكى التنوخي في
ونقله في نديم المسامرة قال حمل الى المأمون عشرة زنادقة من البصرة قد
رموا بالزندقة فلما اجتمعوا للنزول في السفينة جاء طفيلي فنزل معهم وقال
ما اظن هؤلاء اجتمعوا الا لوليمة فلما قيدوا اقدم وعلم ان لا خلاص له

فحين

فحين ضربت اعناقهم وكان المأمون يعرفهم سأل عنه فقالوا لا نعرفه
فقال زوجتي طالق ان كنت اعرفهم وانما رأيتهم مجتمعين فظننتهم الى
وليمة فقال المأمون يبلغ التطفيل باصحابه الى هذا عزروه لئلا يعود
مثلها فقال ابن المهدي هبه لي يا امير المؤمنين واحدثك عن التطفيل بحديث
عجيب فقال وهبته لك فحدثني قال يا امير المؤمنين ركبت يوما حتى مررت
بموضع فشممت رائحة طعام وابازير ما شممت مثلها قط فاشتهيت ان اكل
منها فاخذت في الحيلة اذ لم اكن اعرف احدا من اهل المكان فجئت الى خياط
قريب من المنزل فسألته عن اسم صاحب المكان فقال لي عن اسمه وانه
تاجر يحب عشرة مثله فقلت ايشرب الخمر قال نعم واظن عنده اليوم جماعة
من اصحابه فكنت ساعة واذا هم مقبلون فقال لي هؤلاء اصحابه فركبت
دابتي حتى لحقت بهم فقلت قد ابطأتم وفلان ينتظركم ثم دخلنا وهم
يظنون اني من جماعة صاحب المنزل وهو يظن اني معهم فاكرمني كل منهم
وقدم الطعام فاكلنا وقلت هذا الطعام قد قضيت منه شهوتي وبقي
الكف والمعصم ثم رفع الطعام ووضع الشراب وجاءت الجارية ومعها عود فغنت

توهمها طرفي فاصبح خدها	وفيه مكان الوهم من نظري اثر

وصافحها كفي فالم كفها … فمن ضم كفي في اناملها عقر

فهيجت بلبالي وطربت لحسن شعرها ثم غنت ايضا

اشرت اليها هل عرفت بموتتي … فردت بطرف العين اني على العهد

فحلت عن الاظهار عمدا لسرها … وحادت عن الاظهار ايضا على عمد

فصحت وطربت وطرب القوم حتى لم تملك نفوسنا ثم غنت ايضا

اليس عجيبا ان بيتا يضمني … واياك لا نخلو ولا نتكلم

سوى اعين تبدي سرائر انفس … وتقطيع انفاس على النار تضرم

اشارة افواه وغمز حواجب … وتكسير اجفان وكف تسلم

فحمدتها على الحذق والاصابة غير اني قلت بقي عليك شي فرمت العود وقالت
متى كنتم تحضرون في مجالسكم البغضاء وملوا فقلت قد فاتني ما املت ان
لم املا قلوبهم فقلت هل عندكم عود قالوا نعم فاحضروه فاحكمت اصلاحه وغنيت

افي العدل ان تمسين لا تذكرينني … وقد بحمت عيناي من ذكرك الدما

الى الله اشكو بخلها وسماحتي … لها عسل مني وتبذل علقما

فدا لمصاب القلب انت سلبته … ولا تتركيه ذا اهل العقل مغرما

الى الله اشكو انها اجنبية … واني لها ما عشت بالود محرما

فرايت من طرب القوم ما فارقوا به عقولهم فامسكت عنهم خشية ان يتلفوا
ساعة ثم غنيت

هذا محبك مطوي على كمده … وجدا مدامعه تجري على جسده

له يد تسأل الرحمن راحته … مما به ويد اخرى على كبده

يا من راى كلفا في حبه دنفا … كانت منيته في عينه ويده

فقالت الجارية هذا والله الغنا الا ما نحن فيه وسكر القوم حتى غابوا
عن الوجود الا صاحب المنزل لجودة شربه فامر بحملهم الى منازلهم وخلا
بي فسالني من انا فاخذت اوريه فاقسم علي الا ما عرفته بنفسي فعرفته
فقد ذهب اكثر عمري هدرا ان لم اعرف مثلك فلما عرفته بنفسي وثب
قائما وقال لا افضي بان في ليلتك الا قائما فاقسمت عليه ان يجلس فجلس
واخذ يستخبرني عن سبب مجيئي فاخبرته بالقصة حتى انتهيت الى انه لم
يبق علي الا المعصم فقال تنالها ان شاء الله تعالى واعرض علي جواريه
فلم ار الغرض فقال يا سيدي لم يبق عندي الا امي واختي فقلت ابدا
باختك فاتى بها فاذا هي الغرض فقلت ها هي فقال والله قد وهبتها
جارية لك ثم استدعى بالقاضي والشهود فلما حضروا كتب كتابا واجرى

عليها ما أورثنا الغنى ثم أمر بإصلاح شأنها وأدخلني بها من ليلتها فلما
أصبحنا نقلتها وأنا معها إلى الآن ومنها ولدي فلان فأمر الخليفة بإحضار
الرجل فأكرمه **القسم الخامس** في ذكر من وسموا بالفساق من العشاق وهؤلاء
هم الذين وقعوا في المعاصي أو هموا بها فسموا فساقا لجلالة العشق وعظمته
عند أهله فإنهم يرون تصور السلو معصية بل تصور خطور غير المحبوب
في الذهن ولا نعلم أحدا حقق هذا المناط للسالكين وبينه حق البيان
للسالكين أجل من العارف الجامع لحقائق المعارف سيدي عمر ابن الفارض حيث يقول

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري سهوا قضيت بردتي

فإن الخطور مجرد جواز الميل على القوة من غير أن تتمسك منه بشيء
وهذا عند العقلاء قوي لعدم احتياجه إلى مقدمات والإرادة مجرد الميل
والخاطر باب الحدث والسهو استيلاء الطبيعة الثابتة على المزاج البشري
وهو صفة للخطور قوية أيضا ومن ثم لم يحكم الشرع مع غاية شرفه ولطفه
في الاطلاع على الخارج بردته رحمة وتخفيفا فقد بان أن الأستاذ يقول
إن شرع المحبة مبني على المراقبة الخالطة للقوى العقلية مخالطة تركت السهو
فيها منزلة العمد وكان المحبوب هو قوى الحب التي بها يعقل كما أشار إليه

أيضا في الدلالة على غاية المرتبة بقوله

فلم تهوني ما لم تكن فيّ فانيا ... ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

وهذا القسم هو الباب السادس من الكتاب وهو أصناف **الصنف الأول** في ذكر
من حمله هواه على أذى من يهواه وهؤلاء إما نساء وإما رجال وكل من
القسمين إما بالغ مناه أو مكفوف أذاه **فمن الأول** ما حكي عن مزيد أنه شغف
بصحبة عمرو ابن قتيبة حتى صار يأكل معه ومع زوجته فعلقته المرأة فأرسلت
إليه على حين غفلة من مزيد تقول إن عمك يدعوك فجاء فلم يجده فقامت
إليه فراودته عن نفسه فأبى فقالت لئن لم تفعل ما آمرك به لأؤذينك
فقال إن الأذى أن أفعل ما تحبين وخرج فأمرت بجفنة فوضعت على
موضع قدميه وكان ملتصق الأصابع فلما جاء مزيد أخبرته أن رجلا
من أقرب ما يكون إليه ساومني نفسي فاستعنت فجهد أن تخبره فأبت وقالت
أنا لا أصرح باسمه ولكن هذا أثر قدمه فتعرفه وهجره فأنشد في ذلك

لعمرك ما نفسي بجد رشيدة ... تؤامرني سرا لأصرم مزيدا
عظيم رماد القدر لا متعبس ... ولا مؤيس منها إذا هو أخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمة ... وأفرع من لوم مرارا وأصعدا

على غير ذنب ان اكون جنيته ... سوى قول باغ جاهد متجهدا

وقيل انه حلف ليضربنه بالسيف فهرب الى الحيرة وارسل بهذه الابيات

رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى ... فما بال من يرمى وليس براميا

فلو انها نبل اذا لاتقيتها ... ولكنما ارمى بغير سهام

انتهى ما ذكره وفي النزهة ان مزيدا اتى يوما من سفر في الليل وكان
الظلام شديدا فسمع زوجته وهي لا تشعر به تقول

لعمرك ان القلب نشط به الهوى ... ولم تسعف الايام للمدنف الصب

بليت بمن لم يهد حالة حبه ... الا ان عمروا في الهوى قاسي القلب

فعلم انها مولعة به وان ذلك كان كيدا منها فقتلها وارسل اليه فاصلح
امره معه فعلى هذا تكون هذه الحكاية من المقصد الرابع ومن الثاني قصة
سوسن المشهورة وللناس فيها كلام كثير غير ان المصنف لشدة معرفته
باختلاف الالسن واللغات نقلها من نص الله عز وجل عليها في التورية
فذكر ان في سفر دانيال من هذه القصة ما ترجمته لما كان في السنة
الثالثة من ملك يواكيم ملك يهوذا اقدم بخت نصر ملك بابل الى دار السلم
يعني بيت المقدس بالعبرانية اسلمها الرب في يده ثم نزل ببيت صنمه

سفيار وهو موضع مشهور ببيت المقدس واستقرت اراؤهم على الربعة
الناهوتية المثنوية حكم شيخين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد في بني
اسرائيل وكانا يحكمان في الشعب ويأويان الى بيت يواكيم وكان له زوجة
يقال لها سوسن وكانت في ارفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر
والصلاح لان والديها كانا صديقين في بني اسرائيل وكانت في كل يوم
تنزل الى بستان لها تمشي للنزهة فرآها القاضيان فوقعت منهما واشتغلا
بها عن النظر في الحكومات وكتم كل عن الآخر حتى اذا كان منتصف النهار
من يوم شديد الحر قال كل منهما لصاحبه قد اشتد الحر فليذهب كل منا
ليستريح وخرجا مضمرين العود ورجاء الظفر بالجارية فلما التقيا فحص
كل من عود الآخر فاظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها وانها قد خلت
مع جاريتين البستان فعزمت على الحمام وقد استخفيا فارسلت الجاريتين
ليأتيا لها بزيت وغسول فخرجتا واغلقتا الابواب وقالا لها ان لم تجيبينا
والا قلنا انا وجدنا معك شابا ومن اجل ذلك ارسلت الجاريتين وانت
تعلمين مكاننا من بني اسرائيل قالت سوسن والله لا اغضب الرب
ابدا وصرخت فصرخ القاضيان ومضى احدهما ففتح الباب وجاء العبيد

فأخبروهم القصة فبقوا مبهوتين لانهم لا يعلمون عليهما سوءا ثم أتي بواقفيهم
فأعلموه بالامر وانهما لم يقدرا على مسك الشاب فجمع الشعب وتقدم الشيخان
فكشفا عن سوسن وقالا نشهد على هذه انها دخلت البستان ومعها جاريتان
فأرسلتهما وغلقت الابواب فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعها فخبرنا
المعصية صحنا فانفلت الشاب فبكت سوسن ورفعت طرفها الى السماء
وقالت بالله يا دائم يا عالم الخفيات انك تعلم انهما قد كذبا علي ثم اقاماها
للقتل وكان دانيال عليه السلام شابا عمره ثلاث عشرة سنة فجاء وصاح عليهم
ان قفوا فانها بريئة مما رميت به ثم امر بالتفريق بين القاضيين فقال
لاحدهما من تحت اي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة بطم فقال
كذبت وهذه املاك الله شاهدة عليك بالكذب ثم أخره وقدم الآخر
وقال له من تحت اي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة نبق فقال
كذبت فأقامهما فنشرا ونزلت نار فاحرقتهما وحفظ الله الدم الزكي و ٢٦٨٠...
عظم امر دانيال **ومن الرابع** ما حكي في نديم المسامرة انه كان بالبصرة رجل
اسمه عباد وكان يدعى بالمخنث لما كان يظهر من التزيي بالنساء فاجتمع
ليلة مع قوم وتذاكروا الشجاعة فقالوا له هازئين به هل تقدر ان تذهب

فتدق

فتدق هذا الوتد بالضرح الفلاني وكان معروفا بالوحشة بعيدا من العمار
فمضى حتى صار فيه فحين شرع ان يدق الوتد سمع صرير سلسلة تدنو كلما
دق حتى صار عنده فاذا هو قرد قد ذهب من صاحبه فأخذه وهم ان
يخرج فسمع امرأة تخاطب رجلا فتقول ما الذي صنعت حتى تقتلني فيقول
اقتلك والموت خير من ان تصيري الى رجل والموت غما فخرج عباد حينئذ
عليهما وصرخ على القرد فتعلق بالرجل فظنه جنا ففر من سلاحه فأخذه عباد
وفك المرأة واستخبرها فاخبرته بامها نعرفها وان هذا ابن عمها كان يهواها فخطبها
الى ابيها فأبى وهم بتزويجها من غيره وانها خرجت لتفرج فكبسها مع جماعة
فتعادفوا النساء اللواتي كن معها واخذها هو فصيرها الى هذه الحالة فأخذها
عباد الى اهلها واخبر اصحابه بالقصة فكذبوه فاراهم ذلك القرد فصار يعد
من الشجعان **ومن الثالث** ما حكي عن جيوبة بن حباب الطابخي انه حين قتل ابوه
رجلا من كلب ووجبت عليه الدية وهو صغير مع امه وخرج يجمعها
فمات فاقام عندهم وانه شب حسنا جميلا فولع به النساء حتى اشاع
فطردوه فوقع بعدما قتل اخ امرأة اشتهرها الى بلقين فأجاروه ففعل
عندهم كما فعل في كلب واشتدوا عليه فجاء الى امه ليلا فاخفته واخبرت

ضمرًا لها فقالت اذ فعيبه الي فاخذته فجعلته في متاع لها خارج البيت ومرّ
عدي رئيس بني كلب فقال ما هذا فقالت متاعي وانا على سفر واريد ان تجيره
فقال قد اجرته وحمله الى بيته وقد انكره ففتش فرآه فقال لا حباك [illegible]
فاقام عندهم زمانا فعلق بابنته وطال بينهما الامر فانشد شعر

ما زلت اطوي الحي اسمع حسهم	حتى وقفت على ربيبة هودج
فوضعت كفي عند مقطع خصرها	فتنفست جزعا ولما تبهج
وتناولت راسي لتعلم مسه	بمخضب الاطراف غير مشنج
قالت وعيش ابي وحرمة والدي	لانبهن الحي ان لم تخرج
فخرجت خيفة اهلها فتبسمت	فعلمت ان يمينها لم تحرج

وبلغ عدي ابن اوس ذلك فقتله ومن الثاني قصة وضاح اليمن الشهير
واسمه اسمعيل او عبد الله او عبد الرحمن وكان من امره انه كان يبرقع وجهه
خوف الفتنة بحسنه وانه نشأ مع ام البنين بنت عبد العزيز صغيرين وكان
لا يصبر احدهما عن الاخر فلما بلغت حجبت فازداد شوقهما فحين افضت
الخلافة الى الوليد ابن عبد الملك وقيل يزيد والصحيح الاول لما سبق في
قصة حبابة وذكر زوجها يزيد حجبها فازداد بوضاح الامر حتى نحل فخرج

الى الشام وكان يطوف بالقصر حتى ظفر بجارية لام البنين فاخبرها بما به
وانه ابن عم مولاتها فاخبرتها فادخلته في صندوق وكانت اذا امنت تمكث معه
واذا خافت ادخلته الصندوق فاتت للوليد بجوهر نفيس فامر خصيا بحمله
اليها فحين دخل الخصي وجد وضاح فادخلته الصندوق فاستوهبها
الخادم لؤلؤة فابت فمضى واخبر الوليد فدخل عليها فمازحها واستوهب منها
الصندوق فابت وراجعها فوهبته اياه فاحتمله الى مجلسه فلما جاء الليل
امر غلمانه فحفروا الى الماء ثم قال مخاطبا للصندوق خفية قد بلغنا
عنك امر فان كان صحيحا فقد كفيناك والا فما علينا في دفن خشب ودفنا
ورمى الخصي حيا وقيل ضرب عنقه حين اخبره واهال التراب ولم يبق
لها غيظا وقيل انه لم يقتله بذلك وانما شبب بها حين رآها في طريق الحج
فبلغه تشبيبه بها فاستشار فيما يفعل به فقيل له اكرمه كما فعل معوية بابي
دهبل حين شبب باخته فابى الا قتله ومنهم ايضا سحيم وهو حبشي نشا
في بني الحسحاس وكان اعجميا غليظا ثم تخرج في الشعر وشاع ذكره حتى انهي
لعثمان فقال لا حاجة لي فيه اذا شبع شبب بالنساء واذا جاع هجا فورد
واشتراه رجل منهم اسمه ابو معبد فعلق ابنته فانهم خرجوا الى سفر

فتشوق ابو معبد الى ابنته وكان يتمثل بهذا البيت

عميرة ودّع ان تجهزت غاديا   كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فاكمل العبد القصيدة على ما يريد على ما اربيت فيها في التشبيب بابنة مولاه

وبتنا وسادانا الى علجانة   وحقف تهاداه الرياح تهاديا
توسدني كفا وتثني بمعصم   عليّ وتحوي رجلها من ورائيا
وهبّت شمال آخر الليل قرّة   ولا ثوب الا درعها وردائيا

فذهب به جندل ليبيعه فانشد

وما كنت اخشى جندلا ان يبيعني   بشيء ولو كانت انامله صفرا
اخوكم ومولاكم وصاحب سركم   ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا
اشوقا ولما يمض لي غير ليلة   فكيف اذا سار المطي بنا عشرا

فوثب عليه فردة ولامه قومه وارادوا قتل العبد فضرب به فرفعه الى الحاكم فعزره وجلده ثمانين جلدة وانصرف فانشد

ابا معبد بئس العراضة للفتى   ثمانون لم تترك لحلفكم عبدا
كسوني غداة البين سمرا كانها   شياطين لم تترك قرارا ولا عهدا
فما السجن الا ظل بيت دخلته   وما السوط الا جلدة خالطت جلدا

ابا معبد والله ما حلّ حبها   ثمانون سوطا بل تزيد بها وجدا
فان يقتلوني يقتلوا ابن وليدة   وان يتركوني يتركوا اسدا وغدا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم   وتزداد داري من دياركم بعدا

فلما رأى مولاه اصراره صرفه ومن الاول المتجردة وهي امرأة المنذر ابن ماء السماء وكانت من اعظم نساء العرب جمالا فلما مات عنها اخذها ولده النعمان فكان يجلسها مع نديميه النابغة والمنخل فتعشقت بالمنخل واشتهاها فامر النعمان يوما النابغة ان يصفها فقال

واذا طعنت طعنت في مستهدف   رابي المجسة بالعبير مقرمد
واذا نزعت نزعت عن مستحصف   نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل هذا وصف معاين وحرص النعمان على قتله فهرب وكان عفيفا فلما خرج النعمان الى الصيد رجع بغتة فوجد المتجردة مع المنخل قد البسته احدى خلاخيلها وشدت رجله الى رجلها فقتله وله فيها

ان كنت عاذلتي فسيري   نحو العراق ولا تحوري   لا تسألي عن جل مالي
وانظري كرمي وخيري   ولقد دخلت على الفتاة   الخدر في اليوم المطير
الكاعب الحسناء ترفل   في الدمقس وفي الحرير   فدفعتها فتدافعت

مشي القطاة إلى الغدير	ولثمتها فتنفست	كتنفس الظبي الغرير
فدنت وقالت يا منخل	ما بجسمك من حرور	ما شف جسمي غير حبك
فاهدئي عني وسيري	وأحبها وتحبني	ويحب ناقتها بعيري
ولقد شربت من المدا	مة بالكبير وبالصغير	فإذا سكرت فإنني
رب الخورنق والسدير	وإذا صحوت فإنني	رب الشويهة والبعير
يا هند من لمتيم	يا هند للعاني الأسير	

ومن الرابع ما يحكى من سليمان ابن عبد الملك وكان شديد الغيرة انه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارسا معروفا بالشجاعة والمحبة لسليمان وكان حسن الغنا وكان يتركه كثير المعرفة بغيرة سليمان فزاره ضيوف فأكرمهم فقالوا يا سنان لم تكرمنا ما لم تسمعنا الغنا وكان قد أخذت منه الخمرة فأنشد

محجوبة سمعت صوتي فأرقها	في آخر الليل لما بلها السحر
تثني على فخذها مثنى معصفرة	والحلي منها على لباتها خصر
لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق	فدمعها لطروق الصوت منحدر
في ليلة النصف ما يدري مضاجعها	أوجهها عنده أبهى أم القمر

فلما سمع سليمان الصوت خرج فزعا يتفهمه وكانت عنده جارية اسمها

عوان وكان يحبها حبا شديدا وهي مشهورة بالجمال فجاء إليها فرآها على صفة الآباء وكانت بفطانة فلما فطنت به قالت يا أمير المؤمنين قاتل الله الشاعر حيث يقول

ألا رب صوت جاءني من مشوه	قبيح المحيا واضع الأب والجد
قصير نجاد السيف جعد بنانه	إلى أمة يدعى معا وإلى عبد

فسكن ما به وقال قد دعاك صوته قالت صدقتني يا أمير المؤمنين فحلف ليقتلنه فأرسلت عبدا يحذره وقالت إن لحقته قبل فلك ديته وأنت حر لوجه الله فسبقت رسل سليمان فجاؤا به فنظر إليه مليا ثم قال أنت المجتري وبلك قال أنا فارسك فاستبقني فقال لم أقتلك ولكن أزيل فحلك وأمر به فخصي فسمي الذ دبر الخصيان قالوا وفي ذلك الوقت بلغ سليمان كثرة المخنثين المغنين في المدينة فكتب إلى عامله أن احصهم أي اضبطهم لينظر في أمرهم فسقطت نقطة على الحاء فأمر العامل بخصيهم فقال كل عند خصيه كلمة صارت مثلا فقال طويس ما هذا إلا ختان أعيد علينا وقال دلال هو الختان الأكبر وقال نسيم السحر بالخصي صرنا مخنثا حقا وقال نومة الضحى صرنا نساء حقا وقال برد الفؤاد استرحنا من حمل ميزاب البول معنا وقال ظل الشجر ما نصنع بسلاح لا يستعمل ويروى أن الذي سمعه سليمان لم يكن سنان الكلبي بل كان سمير الأيلي وأن سليمان

قال حين رجع في خصيه ان الفرس يصهل فتستودق المهرة والفحل يخطر فتضبع
الناقة والتيس ينبّب فتستحرم العنز والرجل يغني فتشبق المرأة ومن الثاني ما حكي
انه كان في بني اسرائيل رجل صالح يعمل بالمسحاة لفقره وكان عنده امرأة مفرطة في
الجمال وكان اذا قدم فاستبخدمه من فرش وتقديم طعام ونحوه وان عجوزا
دخلت عليها فتاملت حسنها وذهبت فوصفتها للملك فعشقها ووعد العجوز
بمال كثير على ان تحصلها له فقالت لها كيف تذهبين هذا الجمال مع رجل يعمل
بالمسحاة ولو طاوعتني لزوجتك بالملك وامرها ان تعصيه وترجع عن خدمته
فجاء فلم تقم اليه على العادة ولم تقدم له شيئا فقال ما هذا يا هناة قالت هو ما
ترى فقال اطلقك قالت نعم فتفعل وتزوج بها الملك فحين نظر اليها كف ومد يده
فشلت فرفع الامر الى نبي ذلك الزمان فجاءه الوحي ان بلغني ما فعل بصاحب المسحاة
وقد ساق هذه الحكاية في الزهرة في باب من عشق بالسماع وذكر ان المرأة ايضا
فلجت وانها ماتت بعد سبعة ايام ومنهم الزرقا جارية ابن رامين كانت من الناس
بالجمال والحسن والغنا فافتتن بها اغلب اهل زمنها وكان الناس يقصدونها لسماع
صوتها ويبذلون لها الاموال الخطيرة فاشتد ولوع يزيد ابن عوف الصيرفي بها فدخل
عليها يوما ومعه لؤلؤتان فقال لها قد بذل لي فيهما اربعون الف درهم فقالت

هبهما لي فقال افعل ان شئت فقالت قد شئت فحلف لا يعطيهما لها الا من فيه
الى فيها فغمزت الخادم فخرج وكان يزيد وافقا فمكرا بين يديها فجلس مقعيا بعيني
على رؤس اصابعه وتقدم اليها فاقبلت لتناوله فجعل يروغ بفمه لتمكنه من
مقابلتها فانعطفت عليه فاخذتهما وقال المغلوب في اسنه عود فقال اما
انا فوالله لا يزال طيب هذه الرائحة في انفي وفمي ما حييت ابدا وانها افضت
الى جعفر ابن سليمان وابوه عامل المنصور فدخل على ابنه بغتة على سرّ الها
واشتغاله بها في هذه الايام وقد خرج عليهم خارجي فغمز جعفر الخادم فاخرجها
اليه فقبلت راسه والتزمته فرضي ولم يعنفه بعدها وان جعفر قال للزرقا
يوما هل تمكن احد من محبيك يوما منك بشيء فخشيت ان تكتمه ما عساه ان
يكون بلغه فاخبرته بواقعة الصيرفي فاحتال عليه حتى حصل عنده فضربه حتى مات
ومن الثاني ما حكي انه كان في بني اسرائيل رجل اسمه عبود كلف بابنة عمه
حتى كان لا يصبر عنها ساعة فتزوج بها واقاما مدة وماتت فاشتد وجده
وطار عقله فمضى الى المسيح عليه السلام وساله ان يحييها فقال لا يتيسر الا ان تهبها
من عمرك شيئا فقال قد وهبتها نصف عمري فاحياها له ومضيا وقد لحق عبود
تعب شديد فجلسا ببستان فوضع راسه على ركبتها فنام فمر ملك تلك

الناحية فرآها فعلقت بقلبه وهو ايضا بقلبها فاعرض عليها الركوب معه فلما
حملها في قبته واتبعه عبود فلم يجد احدا فقام مرعوبا فوجد قوما من المارة يعرفون
حسنها فسالهم فاخبروه انها مع الملك فلحقها وجعل يذكرها ما صنع وهي ساكتة فقال
لها فذكرتني بني وسالت السبح في احبائك ووهبتك بنصف عمري على ان تكوني
معي فحيث لم ترضي فردي علي ما وهبتك فقالت قد رددته فما خرجت الكلمة
حتى ماتت **ومن الثالث** ما حكي عن لقمان ابن عاد الذي كان يضبط عمره بان
يمسك النسر من حين خروجه من البيضة الى ان يموت فيا في باخر كذلك حتى
عاش عمر سبعة كل واحد على ما قيل مائة عام انه كان مغرما بالنساء ومع طول
عمره فكثرة تزويجه كان كثير الاحتراص وهو بحبه فتزوج جارية صغيرة وجعلها
في بيت نقرة في الجبل لا يصعد اليه الا بالسلالم وان عليقا نظرها فوقعت من
قلبه فامر قومه فقدوه في سبو حزمة واستودعوها لقمان مدة فوضعها في بيته
فلما خرج تحرك العليق فحلته للجارية وكان يكون معها الى ان يأتي لقمان
فيجعله في السبو حتى انقضت المدة وطلبوا سبوهم فدفعها ثم جلس فنظر
الى نخامة في سقف بيته فسالها عمن فعلها قالت انا فامرها ان تفعل
فقصرت لان النساء لا يقدرون على رفع النخامة الى الاعلى لضعفهن ما

فقالت يا ويلتاه والثبور دهتني ثم رمى بالمرأة من اعلا الجبل ونزل فلقيته
ابنته وكلمته فضربها بحجر فكسر راسها فضربت العرب امرها مثلا لمن يواخذ بلا
ذنب وكان يقول المظلوم منهم ما اذنبت الا ذنب صحر يعني ابنة لقمان **ومن الثالث** في
ما حكي ان رجلا عشق ابنة عمه حتى فني في حبها فتزوج بها وكان لا يصبر عنها
ساعة وكان يجالس الناس فلم يصبر الى انقضاء غرض المجالس حتى يدخل فينظرها
ثم يرجع وان ابن عم لها غيرة اكثري دانا الى جانبها وراسلها فوقع حب كل
منهما عند الاخر فنزلت اليه ودخل زوجها فلم يجدها واذا هي قد انت من
الدار فعزم عليها ان تصدقه اين كانت فقالت اما اذ عزمت علي فاخاف صدقك
وحدثته القصة فرمى عنقها وعنق امها وهرب وكان كثيرا ما يتمثل دمع
ديك الجن الاتي **الصنف الثاني** في ذكر من اشتدت به الغيرة الى ان حملته
الغيرة فجرته الى تهمة محبوبه فانه قتله على تيل مطلوبه **حكي** ان عبد الله
ابن زغبان الكلبي وقيل عبد السلام المشهور بديك الجن الحمصي كان اديبا
حاذقا شاعرا لبيبا كانما تستطف فرجته بالرقة واللطافة والغزل والظرافة
الا انه كان من اعظم الفساق بين العشاق واجمعهم للقساوة والاشيا في
وانه عشق جارية وغلاما واشتد بهما كلفه وتناهت في حبهما حتى تلفه كان

فاشتراهما وكان يجعل الجارية عن يمينه والغلام عن شماله ويجلس للشرب
فيلثمها ويشرب من يدها تارة والغلام اخرى ولم يزل كذلك الى ان اقام
في نفسه لشدة الحب انه سيموت ويصيران الى غيره فذبحهما واحرقهما وعمل من
رمادهما برنيتين وكان يشرب منهما ويقبلهما عند الاشتياق واشعاره في
ذلك متظافرة ومن احسن ما كان ينشده عند برنية الجارية قوله

يا طلعة طلع الحمام عليها   فجنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفي في مجال خناقها   ومدامعي تجري على خديها
رويت من دمها الثرى ولطالما   روى الهوى شفتي من شفتيها
فوحق نعليها لما وطئ الحصى   شيء اعز علي من نعليها
ما كان قتليها لاني لم اكن   ابكي اذا سقط الذباب عليها
لكن بخلت على العيون بلحظها   وانفت من نظر العيون اليها

ومن لطيف شعره ايضا فيها

جاءت تزور فراشي بعدما قبرت   فظلت الثم نحرا زانه الجيد
فقلت قرة عيني قد بعثت لنا   فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامي فيه مودعة   تعيث فيها هوام الارض والدود

وهذه الروح قد جاءتك زائرة   هذي زيارة من في القبر ملحود

وعند تقبيل برنية الغلام قوله

اشفقت ان يرد الزمان بغدره   او ابتلى بعد الوصال بهجره
قمر اذا استخرجته من دجنه   لبليتي واثرته من خدره
فقتلته وله علي كرامة   فلي الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتا كاحسن نائم   والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده   بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه   ويكاد يخرج قلبه من صدره

ومن لطيف شعره في الدعاء على المحبوب

كيف الدعاء على من جار او ظلما   وما الكي ظالم في كل ما حكما
لا واخذ الله من اهوى بجفوته   عني ولا اقتص لي منه ولا انتقما

ومما ارخه الفرس عن اردشير ملك الطوائف انه لما حاصر قرمانا وهي قلعة
في برسجاب من مدن الشرق فاستعصم ملكها المعروف بالساطرون وطال
الامر فصعدت ابنته يوما على القلعة فرات اردشير فعلقته فرمت اليه كتابا
في نشابة فيه اذا انت شرطت لي ان تتزوجني عرفتك كيف تاخذ القلعة

فراجعها التي شرطت لك ذلك فعذلته فلما اخذ القلعة وتزوج بها واقاما مدة
ضجرت ذات ليلة من شي يوطئها فقال لها ما كان يطعمك ابوك فقالت الشهد
ومخ العظم والزبد فقال اذا كنت عند من هو عليك بهذه الصفة من الشفقة
والدلال فكيف بي واشتد عنده الغيظ والغيرة فقتلها **حكى** صاحب محاسن
البلدان ونزهة الازمان ان لكل اقليم اختصاصا بصفة وتميزا بحالة تغلب عليه
من قبل ما يتغير به الكائنات الفاسدة من العلويات وغيرها ان مصر وضعت في
طالع الجوزاء ومقتضاها الرقة وسرعة التاليف واللطف وعدم الانضباط
على حالة وقلة الغيرة وكثرة الغفلة وقد ظهر اثر ذلك في افعالهم قال الا
ترى الى لطف العزيز وتغافله وقد راى زوجته متهيئة للخلوة من غلق
الابواب ونحوها ولم يكن عالما بعصمة يوسف عليه السلم ليقال انه استند الى
ذلك ومع هذا قال اعرض عن هذا وقال للمراة استغفري لذنبك وعكس
ذلك الاقليم الخامس فقد وضع في طالع المريخ ومقتضاه الغلظة والنبو
والقسوة وسفك الدم الا ترى ان ملكا من ملوك الاندلس كان شديد
الكلف بجارية عنده حتى انه كان لا يستطيع عنها صبرا فجلس مع ندمائه
يوما وغنت الجارية فاستعاد منها بعض ندمائه صوتا فلما انفض المجلس

جيء بطست فوضع بين يدي مستعيد الصوت فقال له الملك اكشفه فاذا
فيه راس مقطوع فقال له استعيد الصوت منها فقام مريضا **الصنف الثالث** في ذكر
من عاندة الزمان في مطلوبه حتى شورك في محبوبه فصنع من الحيل ما
افضى الى قتله وقتل من يشاركه في فعله **حكى** لي رجل بحلب سنة ٩٤٣
ان رجلا موصليا علق امراة فزاد بها وجده فكان لا يصبر عنها ساعة وتلطف
بها حتى فارقت زوجها وتزوج بها واقام مدة وجاء يوما فوجدها تاكل في
طعام لم يكن جاء به هو فسالها عنه فقالت له من بعض اهلي فداخله من ذلك
شيء وقوي عنده وتجسس عن امرها فلم يقع على شيء فمضى وركب دواء
سميا ثم جاء به اليها فقال احتفظي بهذا فانه باهي فقالت كل منه فاكل
ودفعت الباقي ومضى فعالج نفسه من السم وعاودها بعد يوم متمرضا
فوجدها والرجل ميتين فخرج وقد اتفق عليه الغم وباقي السم فمات من ليلته
ورايت في الشهنامة الفارسية ما ترجمته ان ابرويز احد ملوك الفرس تزوج
امراة صغيرة بديعة في الحسن وقد بلغ ثمانين سنة فوجد بها وازداد عشقه
بها وهي تظهر حبه وتخفي بغضه وعلقت ولده واشتد ميلها اليه وان
الملك دخل فراهما على الحالة المنكرة فكادت نفسه ان تزهق وعلم انه

إن أظهر أنه رآها أمرت المرأة ولده بقتله فرجع وأخذ في تدبير الحيلة فأخذ
كتابا وسمّ ورقه وجلده بالذهب ورصّعه بالجواهر وأودعه صندوقا وجاء
به إلى المرأة فقال لها قد علمت ما حوت يدي من الذخائر والنفائس غير أنه
لم يكن بعدك نفسي إلا هذا الصندوق فاحتفظي به وعلم أنها ستطلع عليه
ولده فلما خلت به أخبرته القصة فقال عليّ بالصندوق فأحضرته ففضّه
فلم يجد إلا الكتاب مطبوقا فحاول فتحه فوجد أوراقه متعلقة بعضها
ببعض فجعل يبلّ اصبعه من ريقه ويصفح الأوراق فلعب السم فيه وعلم
بالحيلة فأخذ السيف وخرج فضرب أباه فسقطا ميتين ووقفت في سنة [illegible]
بمحروسة دمشق على كتاب لم أعرف مؤلفه سماه درر الأفكار في التحريض على
تزويج الأبكار ذكر فيه ما ملخصه أن قدماء الفرس كانوا يمنعون التزويج
بالثيب لأن حكماءهم يقولون أن المرأة لا تلقي مقاليد طاعتها ولا تفضي
لطائف شهوتها ولا تمحض حسن مودتها إلا لمن يفض ختام بكارتها لأنه
القاطف لزهر محاسنها والمجتلي على أول مطلع بدر باطنها فإن وقع
منها بغيره ود فنادر لا يعتد به ونزر لا ينبغي التمسك بسببه ولم تزل هذه
الوصايا عندهم محفوظة بعين الكمال ملحوظة وأن ملكا جاوز السنين ولم

ماحوت ٢٦٠

يرزق ولدا وكان ذا ملك عظيم ومال جسيم وكان يتأسف على خروج
ذلك منه وانتقاله عنه فجمع أهل التنجيم والخطوط وأمرهم بالنظر في
ذلك فرأوا أنه إن تزوج من الحبشة رزق ولدا يكون له الملك فأرسل
فجيء له ببنت فاختاروا له طالعا يبني بها فيه وواقعها فحملت وجاءت
بولد صحيح سوي الخلقة حسنها فأولم الملك أربعين صباحا ونشأ الولد
يحفظ الأدب والحكمة وأن أباه طلب تزويجه وتأدى بعرض البنات عليه
فوقع اختياره على واحدة لبست بالزينة المناسبة للملك فأراد تحوله
عنها فأبى فزوجه بها على غضاضة في نفسه فدخل بها فوجدها ثيبا
فكتم أباه ذلك لشدة عشقه لها وإن أمه ودهاة النساء من خدمها جعلوا
ينظرون في حب كل منهما لصاحبه فيجدونه أعظم حبا لها منها له فكانوا
يخبرون الملك فيقول إن صدق الحدس فإنها ثيب ولا يستطيع أحد
أن يكلمه في أمرها فلما أفضى الملك إليه بعد والده دخل يوما فوجدها
كالتي فرغت من الجماع وكان لدمية لم يتغشاها وكان إذا جامعها تدوم
حمرة وجهها مصفرة يوما فسألها عن العلة فأجابت أنها تشكو صداعا
وكان عارفا بالطب فلم يرض بذلك ولكنه كره أن يغضبها فأمسك وبكر

منه رؤيتها كذلك وكان قد برع في الدهن فصنع قارورة طيب نفيسة وأتى
بها الى بيتها فوضعها في صندوق في خزانة سرّه وأمرها ان تدهن فرجها
وأخبرها ان ذلك ذخيرة لم يظفر بها سواه وانه يقوّي الاعضاء ويعين على
الفعل ويحفظ الصحة والصبا والقوة وخرج عنها فجاء صاحبها وكانت تطلبه
من الطيب الى ان علم بثبوت ذلك عندها فجاء بسم قاتل لوقته فاوهمها
الاخذ من الدهن ووضع ذلك فيه واعلمها انه خارج الى شغل يقيم فيه
اسبوعا وخرج بعسكره من البلد ثم عاد من الغد على غفلة مستخفيا فدخل
عليها فوجدها والرجل فيها رامق الحيوة فرمى عنقيهما وسأل عن الرجل فاذا
هو جارها نشأ معها صغيرا فعلم انه الذي انال بكارتها ثم اقام مدة لم يكن
يعاوده من حبها وهو على سرير ملكه ما يذهب عقله فيقوم الى الخلوة
ويتذكر حسنها المسوقة عليه واتيانها الا اذا ... فيسكن ما به ويعود فلم يزل
ابا ما على ذلك حتى غلب الحب على التأسي فمات **الصنف الرابع** في ذكر من
عوقب بالفسق ولم يتّهم بالعشق قد خلط الصنف هؤلاء بالعشاق و
عقد للكل باب عقوبة الفساق واهل العشق الصحيح بريئون من الاثم
خارجون عن التسمية بهذا الاسم فمن اهل هذا الصنف ما حكي عن عمر

الصنف الرابع

انه الى لا يهدر دم مسلم فاني له يوما بباب امره مقتولا فعرف المكان
الذي وجد فيه واستكتم من جاء به وقال ارجو ان لا يفوتني فلما كان بعد
حول لقي طفلا ملقى موضع الشاب فقال قد ادركت ما اطلب واخذه
فسلمه الى من ترضعه واجرى عليها ما تحتاج اليه وقال لها اذا رأيت امرأة
تقبله وتضمه فاعلميني بها فجاءت جارية يوما الى المرأة فقالت ان سيدتي
تطلب الغلام ساعة فمضت به اليها فرشفته وضمته ثم دفعته الى المرأة
فجاءت الى عمر فاعلمته بذلك فاخذ سيفه ومضى الى الباب فاذا ابوها
شيخ من الانصار قد كبر فقال له اين ابنتك فقال بالبيت فقال كيف
سيرتها فقال على احسن حال من طاعة الله ورسوله والقيام بحقي فقال
مكانك حتى اغدو عليها واعظها فقال افعل واستأذن عليها فحين
صار عندها قال اصدقيني ما فعلت والا ضربت عنقك فقالت والله
محدثتك بما كان لا اكذبك شيئا اعلم ان عجوزا كانت تدخل علي من
الصغر وتخدمني الى ان صرت كما ترى وانا اظنها صالحة فقالت لي يوما
قد عرضت علي مكة وعندي ابنتي ولا آمن ان اتركها في البيت وحدها
فاريد ان اجعلها عندك حتى اعود فقلت وكرامة فمضت واحضرت شخصا

مؤزرا مبرقعا فلما كان الليل ونمت آمنة وثب على صدري فنال مني
فعمدت الى شفرة بالقرب مني فبعجت بها بطنه وجعلناه حيث رأيت فعند
مدة رأيت اني حامل فلما وضعت جعلته مكانه فدعا لها وجزاها خيرا
واوصى اباها بها ومنهم اعرابي من بني اسد خرج لحاجة فنزل على باهلة عند
امرأة فقدمت اليه ما يحتاج له فلما لم ير عندها احدا ساومها نفسها فقالت
على رسلك لا اصطلح وغابت ثم جاءت وقد اخفت مدية فوثب ليعانقها
فضربته بها في نحره فخر ميتا وسقطت حين رأت الدم وجاء بعض اهلها
وهي على تلك الحالة فاجلسها حتى سكن ما بها وحدثته القصة ومنهم
ما حكي عن عبد الله ابن سبرة ان امرأة مغنية تغني غاب عنها زوجها ارسل
اليه فلما جاء اخبرته ان رجلا ساومها نفسها فقال ابعثي اليه واخفيني فلما
جاء قام فقتله وامر الجارية فحفرت حفرة فالقاه فيها وقتل الجارية وجعلها معه
واعطى المرأة سبعين دينارا وقال اشتري بها خادما وكل حديث جاوز
اثنين شايع وكان عبد الله هذا من اعظم الناس مروءة حتى قيل ان شابا
اسمه فيروز خرج الى العرب يبيع العطر فوضع يده على عجيزة امرأة فقالت له
يا عبد الله ابن سبرة وبلغه ذلك فخرج من سجستان في طلب العطار الى الشام

حتى

حتى قتله ومنهم ما حكي عن جويرية ابن اسمعيل عن عمه قال خرجنا نريد
الحج فبتنا الليلة وبالقرب منا امرأة فلما اصبحنا اذا حية قد التفت على
عنقها فخفت من ذلك فلم تزل حتى دخلت الحرم فانسابت فلما قضينا المناسك
رأيت الغريض يقول للمرأة اي شيء صنعت اين حيتك فقالت في النار فقال لي
ستعلمين من في النار فلما اردنا الخروج عزمت على صديق لي بيني وبين
الغريض صداقة ان يمضي بنا اليه لنسمع من غناه فلما صرنا عنده اكرمنا
وسأله صاحبي الغنا فغنى

مرضت فلم تحفل علي جنوب	وادنيت والممشى الي قريب
فلا يبعد الله الشباب وقولنا	اذا ما صبونا صبوة سنتوب

واستعدناه صوتا فغنى قول المجنون عفى الله عن ليلى الابيات التي تقدمت
فتخيلنا ان الحباب ترقص طربا ثم استزدناه عند الوداع فغنى ابياتا
لابي الاسود الدؤلي التي اوصى بها ابنته عند الزفاف

خذي العفو مني تستديمي مودتي	ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
فاني رأيت الحب في الصدر والاذى	اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فلما رجعنا واذا بالمرأة وقد جاءت الحية حيث انسابت فانطوت

عليها وصفرت وإذا بالوادي كله حيات فأقبلن ينهشنها حتى ماتت فأتت
جاريتها فقالت لعنت ثلاث مرات كل مرة تلد ولدا فتحرقه **القسم السادس**
في ذكر من حل عقد المحبة • وخالف سير الأحبة • وهو بالنسبة الى ذلك من أشد
الغلط • واستقال مما فرط • والى من تمادى على نقض العهد • وإخلاف
الوعد • ينحصر في صنفين أردفهما بثالث من هذا الكتاب • إذ لم يكن
مناسبا للباب • قد سبق لك في الخطبة أن المؤلف قد أكثر في كتابه من
التخليط في تبويبه • وذكر غير المناسب لمطلوبه • ولكن لعمري لم يقع له
بهذه الأوصاف أكثر من الباب السابع حيث ترجمه بمن استخفه الملل
والضجر • لطول الزمان فعدد المحبوب وهجره • فإن الواقف على هذه
الترجمة يفهم منها أنه يذكر متحابين نكث أحدهما عهد الآخر ثم إما عاد أو
دام ولم يذكر من ذلك إلا قصة كثير التي ترجم لها في الباب بمن تاب عن
عقوقه • ورجع الى معشوقه • فمات في نادي الهوى وسوقه • وها أنا
ذاكر ما وقع لي من ذلك على الشرط المتقدم إن شاء الله **الصنف الأول**
في ذكر من تاب عن الخلاف • ورجع الى حسن الائتلاف • وكان محبوبه
في الوجود • فتراضيا على ضم شمل العهود **حكى** المسعودي في جزء تمام

اقداح زناد الأشواق واسترجاع شوارد العشاق أن المجنون لخبر بعد
توحشه بزواج ليلى فجاء ولبس أثوابه وأقام مدة يظهر انحلال العشق وانه
لم يبق له فيها أرب لما كان فدعاها هذا انها تدوم معه على المحبة ولا تنقض
٤٢ على الصحة فبينا هو نائم إذ رآها وهي باكية فدنى منها فولت بوجهها وقالت
أي غادر لو ملكت من أمري ما تملكه أنت من أمرك ما فعلت وايم الله إني
لم أكن معه إلا كمفترش النار في الهواجر ومتوسد الثعبان عاريا فانتبه
مرعوبا باكيا ثم نزع ما عليه وعاد الى التوحش **وفيه أيضا** أن قيس بن ذريح
حين تزوجت لبنى خرج متصفحا أحياء العرب حتى ظفر بامرأة اسمها لبنى
فتزوج بها وقال عشق بعشق وامرأة بامرأة وأقام معها والصحيح أن
ذلك لم يكن باختياره وإنما وقع بحيلة ولم يقم معها وقد بسطت الخبر
في قصته **وفيه** ونقله المصنف هنا أن عزة أرادت أن تعلم ما لها عند
كثير فتنكرت له ومرت به متعرضة فقام إليها وكلمها فقالت أين حبك
عزة قال جعلت فداك لو أنها أمة لي لوهبتها لك قالت لا تفعل فقد
بلغني أنها لك مخلصة وفي المحبة صادقة فقال دعيني منها فهل لك في
الخلال قالت وكيف تصنع بما قلت فيها قال أديره فيك ثم أنشد

ما وصل عزة الا وصل غانية … في وصل غانية من وصلها خلف

فكشفت عن وجهها فابهت فقالت الى هنا يا فاسق فهلا كنت مثل جميل

حيث يقول لحى الله من لا ينفع الود عنده … ومن حبله ان مد غير متين

ومن هو ذو وجهين ليس بدائم … على العهد حلاف بكل يمين

ثم لم يزل يعتذر ويتنصل الى ان قبلته ولما من رجع نادما على الهفوة

فوجد الحبيب قد فات فجرعه الغصص من ذلك كاس الممات فقليل

منهم ما حكاه في النزهة ان كعب ابن سعدة الغفاري قال خرجت وانا

ومالك ابن عقيلة العذري نمشي في القمر واذا بنسوة تقول احدهن

اي والله هو لم قربن منا فقالت لي احديهن قل لصاحبك

ليست لياليك في خاج بعائدة … كما عهدت ولا ايام ذي سلم

فقلت قد سمعت فاجب قال قد انقطعت فاجب انت فقلت ولم يحضرني غيره

فقلت لها يا عز كل مصيبة … اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وانصرفنا فما استقربت الا وجارية تقول اجب المرأة التي كلمتك فلما

صرت اليها قالت انت الحبيب قلت نعم قالت فما افض جوابك قلت لم

يحضرني غيره فقالت لم يخلق الله احب الي من الذي كان معك فقلت

علي ان احضره اليك فقالت هبها فضمنته في الليلة القابلة ورجعت قرأ

في منزلي فاخبرني بالقصة كالمكاشف فقلت له قد ضمنت احضارك الليلة

القابلة فلما كان الوقت مضينا فاذا بالمجلس قد طيب وفرش فجلسنا فقعا

فانشدته ابيات امية امرأة ابن الدمينة

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني … وانت بي من كان فيك يلوم

وابرزتني للناس ثم تركتني … لهم غرضا ارمى وانت سليم

فلو ان قولا يكلم الجسم قد بدا … بجسمي من قول الوشاة كلوم

فاجابها لما عدت ولم اغد وخشيت ولم اخن … وفي بعض هذا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الود ثم صرمتني … فحبك في قلبي اليك اداء

فالتفتت الي وقالت الا تسمع فغمزته فكف ثم انشدت

تجاهلت وصلي حين لجت عمايتي … فهلا صرمت الحبل اذ انا ابصر

ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته … نصيب واذ رأيي وعقلي موفر

ولكنما اذنت بالصرم بغتة … ولست على مثل الذي جئت اقدر

فاجابها لقد جعلت نفسي وانت اخترمتها … وكنت اعز الناس عنك تطيب

وفي روضة القلوب بدل هذا البيت

لقد كنت أنهى النفس عنك لعلها	إذا أوعدت بالنأي عنك تطيب

وفيها أنه قبلها وأنشد

دمعي عليك من الجفون سكوب	والقلب منك مروّع مكروب
لا شيء في الدنيا ألذ من الهوى	إن لم يخن عهد الحبيب حبيب
فلئن خلوتم بأنواع السرور هناكم	وأفردتموني للصبابة والحزن
وعذبتموني بالصدود وإنني	لراض بما ترضونه لي من الغبن

والمشهور أنهما لم يلتقيا بعد بل حين أنشد لقد كنت أنهى النفس قالت
لكعب ما قلت لك أنك لا تفي بضمانك ولكن إذا كان السحر فأتني فـك
فجئت وإذا بالصياح فسألت جارية فقالت حين خرجتم جعلت في عنقها
أنشوطة وخنقت نفسها فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا
وتفكر وتقول إنه لقاسي القلب ثم شهقت فماتت وبلغ الشاب فلزم
قبرها فجاءته في النوم فقالت هلا كان قبل هذا فمات من وقته قال
في النزهة وأصل هذه الحكاية أن هذه المرأة كانت من عذرة واسمها سعدى
وكانت وهذا الفتى على أعظم رتبة من شدة تعلق كل منهما بصاحبه وكان
في الحي رجل يحبها وهي لا تحبه فغار منهما فوشى به إلى أهلها فحجبوها
منه وتراسلا بالخفية وبلغه فأرسل زوجته عن لسانها إلى مالك بشتم و
قطيعة ولم يعرف أنها زوجة ذلك الرجل ولم تبد الزوجة تفصيل الأمر
وكانت عند مالك أنفة فخرج إلى مكة ناقضا للعهد فلما بلغ زوجة
ذلك الرجل وجه الحيلة وما أخفاه زوجها أخبرت سعدى بما تم فخرجت
على وجهها إلى مكة حتى اجتمعت به وتم بينهما ما سمعته

الصنف الثاني

في ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على إخلاف الوعد أخرج في
اقتداح زناد الأشواق عن الأصمعي قال نزلت على رجل من هذيل فأكرمني
وأطرفني بلطائف الأخبار فكان يوم أقصرها يكون بالسرور فلما كان
الليل فرش موضعا لطيفا فوطأه ونمت وجلس فقلت هل بقي لك
أرب في النزهة قال لا وعافاك الله ثم ودعني لما بي فحدثت أن له
شأنا فأوهمته النوم فقام وفتح مخدعا فأخرج منه كلبة عليها الحرير
وأطواق الذهب فقدم لها طعاما وشرابا فلما اكتفت غسلها بماء
الورد وبخرها بالعود ثم مكث ساعة ونزع ما كان عليها وربتها بالرند
والزنبق وعانقها طويلا وهو مع الفعلتين يبكي بشهيق لخال فيه أن نفسه
زهقت ثم أعاد إليها ما كان عليها وأدخلها المخدع وجلس يبكي وينشد

أحبابنا لو تعلمون بحالنا | لما كانت اللذات تلهيكم عنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا | وأبديتم الهجران ما هكذا كنا
وآليتم أن لا تخونوا عهودنا | فقد وحياة الحب خنتم وما خنا
غدرتم ولم نغدر وخنتم ولم نخن | وحلتم عن العهد القديم وما حلنا
وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم | ونحن على صدق الحديث الذي قلنا

ودام كذلك حتى طلع الفجر فجاء ليوقظني فرآني منتبها فلما واد عنه
تفرس أن في وجهي كلاما فقال أنشدك الله هل رأيت من حالي
شيئا أنكرته قلت اللهم نعم قال أو تحب أن أطرفك به قلت أي والله فتنفس
الصعداء وكفكف دمعه فلم يملكه وخنقته العبرة فأرسلها وأنشد

أكفكف جفن العين والدمع سافح | كشبه غدير فوق خدي جاريا
فيا ليت شعري ذا البكاء إلى متى | وحتى متى ذا الحزن والجسم باليا

ثم غيض دمعه وقال يا أخا العرب كانت لي ابنة عم لا أملك الصبر
عنها فتزوجت بها فكانت بي أبر من أمي وأقمنا مدة لا آلو جهدا في
الإنفاق عليها فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال فلما أملقت
أنفت مني وأخذت في التمايل والتجنب فقلت لها ماذا تريدين قالت

أو فاعل أنت ما أقول قلت نعم قالت تطلقني فخامرني حبها فقلت قد
فعلت فاعتزلت وعاودني القلق فمالت طويلا وجئت فشكوت إليها ذلك
وذكرتها العهود والمواثيق فطيبت نفسي وحلفت أنها لم تتزوج ولم تزن
لغيري فقمت وجئتها يوما فوجدتها على أحسن ما يكون من أنواع الزينة
٢٢٧/ فكلمتها فلم تجب فسألت فقيل قد تزوجت فحلفت لها أن لا آخذ بدلها
لتلبسها وزينتها التي عندي إلا كلبة وفعلت فأنا الآن أمثلها من زينة هذه
الكلبة وأذكر عددها فأسليها وأعاقبها كما رأيت قلت فهل وقع بينكما سلام
بعد ذلك قال نعم قد كلمها الذي تزوج بها سخطا وسامها نقصا فندمت
وأرسلتني تخالسني كالمتغولة وتقوم بما الحاجة حتى إذا أمنت مكثت جالسة
حتى يسفر الفجر فتروح إلى المكان الذي يزرف على الشجر كعادتها فقلت يا
سيدتي قد ضاق صدري لحالك وأنا أعزم عليك إلا ما أخبرتني بما أنت فيه
فقالت أولا بد قلت أي والله قالت إن أبي كان ذا ثروة وعز وكان لي ابن
عم فكفله أبي صغيرا فنشأت وإياه وليس عند أحدنا أعز من الآخر فتزوجني
منه فأقمنا لا نستطيع صبرا وكان في هذا البستان زوج حمام يبيتون فيه
ويصبحون فيغردون بأنواع التغريد فإذا اختفت واحدة في الشجرة دارت

الاخرى عليها حتى تكاد ان تموت فاذا التقتا تعانقتا وغردتا فلما كان يوم
مر بهما حمام فطارت احديهما البهن ومضت فلم ترجع فاقامت الاخرى تغرد في
كل صباح الى ارتفاع الشمس ثم تلقي نفسها كالميتة حتى ذهبت نضارتها وذوى
ريشها فقلت له يوما لئن فارقتني لاكونن كهذه فقال انا لا افارقك او اموت
فقلت قد تجد احسن مني قال معاذ الله ان يكون في الدنيا مثلك فاردت ان
اعرف صدقه وكانت لي صديقة قد احتوت على ادفع رتبة من الجمال فاخبرتها
وارسلتها اياها من خلال السجف فوقعت بقلبه وراسلها فاجابته فتزوجها
فلم توافقه فرجع يطلب مني ما كنت عليه فابت نفسي ان تطيع معه كما كانت
وتشفع فلم يفد فقال اطلقك مدة قلت نعم ففعل وخرج فلم اعرف خبره وانما
احدثك لانك غريب تفارقني فان رضيت هذا الحال والا فانك فلت
فلاني مني هجرت النوم ثلث كفارة لنومي عن مناوحة الحمامة وسبقها الى

الصنف الثالث في ذكر من اشبه العشاق في محبته وشاكلهم في مودته فتعاهد
لشدة كلفه بالمحبوب على عدم الفراق فتكن احدهما عهد الاخر بعد الثلاث وفي هذا
هو الذي عقد له المصنف الباب و وعدنا بزيادة لان الترجمة لم تخلو في الصواب
وقصة عائكة مع عبد الله وان كان لها بهذا الباب اعتلاق الا انها بما هي الصق

ثم صخر ابن عمرو وكان من اشجع العرب واكرمهم واجملهم وكانت تحته سلمى
بنت عوف بن ربيعة ابن حارث الرياحي وصخر هذا هو اخو الخنساء المشهورة فيه
بالشعر وكان عاهد سلمى على ان لا تتزوج بعده وكان يقول اذا نظر اليها لا
اكره الموت الا انه يفرق بيني وبين هذه فلما كان اليوم المشهور بيوم الكلاب
وهو الذي تحارب فيه بنو عوف وبنو الحارث التقى صخر مع ربيعة ابن ثور الاسدي
العوفي بعد ما غلبت بنو الحارث على بني اسد فطعن ربيعة صخرا وكان دمع صخر
نصرا فاصابه ربيعة فادخل في بطنه حلقا من الدرع فمرض صخر سنة بالطعنة
وكانت امه تلاطفه وقصرت سلمى في خدمته فسمع يوما امراة تقول لامه
كيف حال صخر فقالت نحن بخير ما دمنا نرى وجهه وسالت اخرى امراته
فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فينعى فغم لذلك وانشد

وان امرأ ساوى بام حليلة	فلا عاش الا في عنى وهوان

وحكي في الزهرة انه جلس يوما ليستريح وقد رفعت له سجف البيت فرأى
سلمى واقفة تحادث رجلا من بني عمها وقد وضع يده على عجيزتها فسمعه يقول
لها ايباع هذا الكفل فقالت عن قريب فقال صخر لامه علي بالسيف فلم يستطع حمله فكر

اهم بامر الحزم لو استطيعه	وقد حيل بين العير والنزوان

وهذا مثل يضرب للعجز والبيت والذي قبله من قصيدة لصخر واولها

اري ام صخر لا تمل عيادتي   وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت اخشى ان اكون جنازة   عليك ومن يغتر بالحدثان
اهم بامر الحزم لو استطيعه   وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد نبهت من كان نائما   واسمعت من كانت له اذنان
وللموت خير من حياة كانها   محلة يعسوب براس سنان
فاي امرئ ساوى بام حليلة   فلا عاش الا في شقا وهوان

ولما اشتد غمه وطال مرضه نتأت قطعة موضع الطعنة فقيل له اقطعها فاحموا الحديدة فادخلوها فيها فقيل له كيف صبرك فانشد

فان تسأليني هل صبرت فانني   صبور على ريب الزمان صليب

ثم مات فتزوجت سلمى بعده ومن لطيف شعر الخنساء فيه قولها

الا يا صخر ان ابكيت عيني   فقد اضحكتني زمنا طويلا
بكيتك في نساء معولات   وكنت احق من ابدى العويلا
دفعت بك الخطوب وانت حي   فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل   رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وادركت

وادركت الخنساء الاسلام وحسن اسلامها فقالت لها عائشة يوما اتبكين صخرا وهو في النار فقالت هو اشد لجزعي عليه وادعى للبكاء فتعد من الاجوبة المسكتة

ومنهم حمزة ابن عبد الله ابن الزبير تزوج بفاطمة بنت القاسم ابن جعفر ابن ابي طالب وكانت ذات جمال ففتن بها فلما حضرته الوفاة اظهر انه لم يكن جازعا على شيء غير تزويجها بعده بطلحة ابن عمر وحلفت له بصدقة مالها وعتق رقيقها ان تزوجت فلما مات خطبها طلحة فاخبرته فقال ان اجبت وفيت عنك بنصف ما عليك فتزوجته فتوفي لها فولدت له ابرهيم وكان اوجه الناس ورملة فزوجها بمائة الف دينار فقيل له انت اتجر الناس تزوجت فاطمة باربعين الف دينار وكثرت عنها بعشرين فزوجت ابرهيم واربعين الف دينار

ومنهم الحسن ابن الحسن خيره عمه الحسين عليه السلام بين احدى بنتيه سكينة وفاطمة فاستحى وكان يحب فاطمة لانها منقطعة القرين في الجمال فقال الحسين عليه السلام قد اخترت لك فاطمة لانها اشبه الناس بامي فزوجه بها فلما حضرته الوفاة جزع شديدا فقيل له على ما هذا وانما تقدم على جدك وابيك فقال هو كذلك ولكني اجد كربا غير الموت ثم قال لبعض اصحابه كاني بعبد الله ابن عمرو ابن عثمان وقد جاء في كبكبة يظهر جزعا علي وما هو الا ليخطب فاطمة فلما

سمعت حلفت أن لا تتزوجه فان فعلت لزمها عتق ما تملك فما كان الا أن
مات فأقبل عبد الله كما قال فرأى فاطمة تضرب وجهها فأرسل اليها ان يحق
عليك فان لنا فيك رأيا فلما خطبها ضمن لها التكفير بضعف ما عليها وقيل
ان امها هي التي ألجأتها الى تزوجه بأن وقفت في الشمس وحلفت أن لا
تدخل بحيث بيت ومنهم غسان ابن جهضم وكان مفتونا بابنة عمه أم عقبة
لانها كانت من أجمل النساء وأحباها وأفضلهن خصالا فحضرته الوفاة
فجعل ينظر اليها ويبكي ثم قال لها اني مخبرك أبياتا ثم أسألك فيها عما تصطنعين
بعدي وأعزم عليك أن تصدقيني فقالت قل فوالله لا أكذبك فأنشد

خبريني بالذي تريدين بعدي ... والذي تضمرين يا أم عقبة
تحفظيني من بعد موتي لما قد ... كان مني من احسن الخلق صحبة
أم تريدين ذا جمال ومال ... وأنا في التراب في سجن غربة

فأجابته: قد سمعنا الذي تقول وما قد ... خفته يا خليل من أم عقبة
أنا من أحفظ النساء وأرعا ... ها لما قد أوليت من حسن صحبة
سوف أبكيك ما حييت بنجو ... ومراث أقولها وبندبة

فقال: أنا والله واثق بك لكن ... ربما خفت منك غدر النساء
بعد موت الأزواج يا خير من عو ... شر فارعي حقي بحسن وفاء
انني قد رجوت أن تحفظي العهد ... فكوني ان مت عند رجائي

فلما مات خطبت من كل جانب فقالت:

سأحفظ غسانا على بعد داره ... وأرعاه حتى نلتقي حين نحشر
واني لفي شغل عن الناس كلهم ... فكفوا فما مثلي من الناس يغدر
سأبكي عليه ما حييت بعبرة ... تجول على الخدين مني فتكثر

فلما طالت الأيام قالت من مات فقد فات وأجابت الخاطب فلما كانت
الليلة التي زفت فيها على الخاطب جاءها في النوم فأنشدها

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة ... ولم تعرفي حقا ولم تحفظي عهدا
ولم تصبري حولا حفاظا لصاحب ... حلفت له يوما ولم تنجزي وعدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه ... كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة وكان ما كان معها فقلن النساء ما بك فقالت ما ترك
غسان في الحياة لي أربا ولا في السرور رغبة أتاني في المنام فأنشدني
هذه الأبيات ثم جعلت ترددها وتبكي فتشاغلن عنها بالحديث فلما غفلن
عنها أخذت شفرة فذبحت نفسها فتعجبن منها وقد نقل هذا في مجلس هنا

حين تذاكروا غدر النساء فقضى منه عجبا ومثل ذلك ما حكي عن موسى
الهادي انه كان مفتونا بجارية من جواريه اسمها غادر فرأى يوما يبكي فقيل له
على ما تبكي يا امير المؤمنين فقال كأني قد مت واخذ اخي هرون الخلافة
وتزوج بغادر فقيل له حاشاك من هذا الخاطر فزاد في البكاء وبلغ
هرون فحضر وحلف له بالطلاق والعتاق انه لن يتزوج بها وحلفت هي
ايضا فلم يمض لهم حتى مات وافضت الخلافة للرشيد فكفر عنها وعنه
وتزوج بها فلما كان ذات ليلة انتبهت من منامها فزعة مرعوبة وذكرت
انه قد اتاها فعاتبها وانشدها هذه الابيات

اخلفتِ وعدي بعدما ... جاورتُ سكان المقابر
ونكحتني وحنثتِ في ... ايمانك الزور الفواجر
ونكحتِ غادرةً اخي ... صدق الذي سماكِ غادر
لا يهنكِ الالف الجديد ... ولا تدر عنكِ الدوائر
ولحقتِ بي قبل الصباح ... وصرتِ حيث غدوتُ صائر

فقال لها الرشيد لا باس عليك انما هو اضغاث احلام وجعل يغمزها
وهي تضطرب في يده حتى ماتت الباب الثالث في ذكر عشاق الغلمان

والاحوال من عدل الى الذكور عن النسوان وتفصيل ما جرى عليهم من
تصاريف الزمان اعلم ان اصل هذا قد نشأ من قوم لوط زينه لهم
الشيطان فاخرجهم به الى العدوان وحكى بعضهم ان اصل ذلك من
ياجوج وماجوج ونقله بعض المفسرين في قوله عز وجل ان ياجوج
وماجوج مفسدون في الارض فيجب على كل ذي نفس شريفة وهمة منيفة
الردع والزجر عن هذه الفعلة الخبيثة التي ضجت الملائكة منها الى الله
تعالى وحسم المادة الموصلة الى ذلك كالنظر فلذلك حرمه النووي مطلقا
وقد ورد انه قدم على رسول الله صلعم وفد وفيهم امرد فاجلسه وراء
ظهره ونهى ان يحد الرجل النظر الى وجه الامرد وعن ابن المسيب اذا
رايتم الرجل يلح النظر في وجه الامرد فاتهموه واخرج ابن الخطيب عن
انس موقوفا لا تجالسوا اولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم ما لا
تشتاق الى الجواري العواتق وعن الخدري قال رايت ابليس فقلت له
تعال فقال لا حاجة لي بمن رمى الدنيا وان لي فيكم لطيفة فقلت وما
هي قال مجالسة الاحداث فاخذت العصى لاضربه قال انا لا اخوف في
العصى وانما يخوفني نور القلب وعن بعضهم قال نظرت الى شاب جميل

فقلت أيعذب الله هذه الصورة فقال لي استاذي أو ذا أبيته سوف ترى غيّها فانسيت القرآن بعد عشرين سنة ولله در من قال في المخنثين لهذا الشأن من أبناء هذا الزمان شعرا

فان لم تكونوا قوم لوط حقيقة … فما قوم لوط منكم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونكم … على مورد من جهلة وصديد
يقولون لا اهلا ولا مرحبا بكم … ألم يتقدم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم … صراطا لنا في الفسق غير حميد
أتيتنا بإكرام من عشقنا لهم … فاوردنا ذا العشق شر ورود
وانتم بتضعيف العذاب لحق من … بنا بعكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وانتم رسلكم انذرتكم … بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا … نذوق عذاب الهون غير مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم … ويجمعنا في النار غير بعيد

وقد انتظم شمل هذا الباب بما يتبعه من الأحكام، منقسما في ثلاثة اقسام القسم الاول فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى اسلمه رمسه وهو نوعان النوع الاول فيمن عرف اسمه، واشتهر في العشاق رسمه

منهم محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلاني هو أبو بكر محمد بن داود بن علي المعروف بالفقيه الاصفهاني كان لبيبا حاذقا وفقيها شاعرا وله في فقه الظاهرية ومتعلقاته والأحاديث والتواريخ يد طولى قال الخطيب عنه انه كان ملازما للهوى فيما منذ دخل للكتب وانه شرع في كتاب جمع فيه طرائف العشاق ولطائفهم وسماه كتاب الزهرة وسايره عمره وصاحبه هذا هو محمد بن جامع الصيدلاني كان يبيع القطن ببغداد وكان من أجمل أهل زمنه فعلقه محمد بن داود وكان له الوفا وعليه عطوفا وبه رؤوفا واشتهر أمرهما فلم يتكراه وافتضح فلم يخفياه وقيل انه لم يعمل الكتاب المذكور الا بسبب عشق هذا وان اليه الاشارة في أول الكتاب المذكور بقوله وتشكو من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ومن جفا الأخوان وأنت المقدم فيه ومن عجيب ما يأتي الزمان ان ظالما يتظلم وغاصبا يتندم ومطاع يستطيل وغالب يستنصر ومن أدلة عطفه عليه وود انه خرج من الحمام يوما فنظر في المرآة فأعجبه وجهه فبرقعه واتى ابن داود فلما رآه غشي عليه فقال له لا باس عليك انني لم ابرقع وجهي لسوء صابه ولكن رأيته عقب حمام فأعجبني فأحببت ان لا امتع به احدا قبلك فقداه وسر بذلك قالوا ولم يعلم فيما سلف ان معشوقا ينفق على عاشق سوى ابن جامع

ومن لطف ابن داود ورقته انه كان يدخل الجامع من باب الوراقين فهجره
اياما فسئل في ذلك فقال دخلت يوما فرايت متحابين يتحادثان فتفرقا
مذ رآياني فآليت ان لا ادخل مكانا فرقت فيه بين محبين وكان يجتمع
ابن سريج الشافعي في مجلس الوزير ابن عيسى فسبقه ابن داود يوما فسأله
حدث من الشافعية عن العود الموجب للكفارة في الظهار فقال هو اعادة
القول ثانيا فطالبه بالدليل فدخل ابن سريج فحين وقف على القصة قال
لابي بكر قول من هذا من المسلمين غيركم فقال له وقد استشاط غضبه
غاية امرنا ان نعد قول من خالفنا خلافا فغضب ابن سريج وقال له انت
اعزك الله بكتاب الزهرة اشق منك في غيره فقال ابكتاب الزهرة تعيرني والله

لا تصلح للنظر الرافل فيه

أنزه في روض المحاسن مقلتي	وامنع نفسي ان تنال المحرما
واحمل من ثقل الهوى ما لو انه	على جامد الصلد الاصم تهدما
وينطق سري عن مترجم خاطري	فلولا اختلاس الطرف عنه تكلما
رايت الهوى دعوى من الناس كلهم	فما ان ارى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن سريج بما تفتخر علي ولو شئت لقلت ايضا

ومطاعم كالشهد من نغماته	قد بت امنعه لذيذ سباته
صبابة وبحسنه وحديثه	وانزه اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده	ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابن داود ليحفظ مولانا الوزير قوله حتى يقيم بينة بالبراءة فقال
يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك انزه في روض المحاسن فقال الوزير
لقد حويتما ظرفا وعلما وقيل كانت المناظرة في الايلاء وان ابن سريج
قال انت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته احذق ومن لطف ابن داود انه سئل يوما

يا ابن داود يا فقيه العراق	افتنا في قواتل الاحداق
هل عليها القصاص في القتل يوما	ام مباح لها دم العشاق
فاجاب عندي جواب مسائل العشاق	فاسمعه من قلق الحشا مشتاق
لما سالت عن الهوى اهل الهوى	اجريت دمعا لم يكن بالراقي
لاخطات في نفسي السؤال وان تصب	بك في الهوى شغفا من الاشفاق
لو ان معشوقا يعذب عاشقا	كان المعذب انعم العشاق

وقيل له وهو في مرضه الذي مات فيه ماذا تشتكي فقال حب من تعلم
صيرني الى ما ترى فقال ما منعك وقد كنت قادرا على ذلك فقال

التمتع اما نظر مباح فقد اخذت منه بحظ واما تلذذ بالحرم فمنعني منه
قوله صلى الله عليه وآله من عشق فقدر فعف دخل الجنة وانشد

ما لهم انكروا سوادا بخديه … ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بدد الشعر … فعيب العيون شعر الجفون

فقيل انكرت القياس في الفقه واثبته في الشعر فقال غلب الحب وتوفي
نهار الاثنين تاسع رمضان اول الايام بقين منه او سابع شوال سنة ٢٩٧ ومن لطيف اشعاره في معشوقه

يا يوسف الحسن تمثيلا وتشبيها … يا طلعة ليس الا البدر يحكيها
من شك في الحور فلينظر اليك فما … صيغت معانيك الا من معانيها
ما للبدور وللتحريق يا املي … نور البدور عن التحريق يغنيها
ان الدنانير لا تجلى وان عتقت … ولا يزاد على النقش الذي فيها

ومنها
اشكو عليل فؤاد انت متلفه … شكوى عليل الى الف يعلله
سقمي يزيد مع الايام كثرته … وانت في عظم ما القى تعلله
الله حرم قتلي في الهوى سفها … وانت يا قاتلي ظلما تحلله

ومنها
حملت جبال الحب فيك واني … لاعجز عن حمل القميص واضعف
وما الحب عن حسن ولا عن سماحة … ولكنه شيء به النفس تكلف

ومنها
سقى الله اياما لنا ولياليا … لهن باكناف الشباب ملاعب
اذ العيش غض والزمان مساعد … وشاهد آفات المحبين غائب

ومنها
انظر الى النجم يجري من لواحظه … وانظر الى دمع في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه … كانهن نمال دب في عاج

اخبار القاضي شمس الدين محمد ابن خلكان وصاحبه المظفري هو قاضي القضاة
ابو عبد الله شمس الدين ابن خلكان الشافعي المصري كان يهوى احمد بن مسعود
ابن الملك المظفر صاحب حماة وله معه حكايات ظريفة وسبب اعتلاقه به
ان اباه دعاه ليلة فجلسا يتحادثان وخرج الغلام وعليه ثوب اسود وقد شد
وسطه بمنديل مطرز بالذهب وفي يده شمعة ومعه دينار فجلس ليتناول
من ابيه سكرجة كانت معه فسقط الدينار فاقام الشمعة لينظره فانطفت
ونظر القاضي الى وجهه فرأى الدينار تجاهه في الارض فالتهبت نار عشقه
في قلبه وخرج فكتم ذلك اياما ثم مرض واشتد به الحال فبينا هو كذلك
اذ ارسل المظفر ولده بعوده فحين رآه وتبين انما كان لم يكن به مرض وكان
الغلام حاذقا فعرف ذلك منه فاخبر اباه بذلك فحجبه فقال من رأى
القاضي بعد ذلك انه كان يبيت الليالي الى الصباح لا يعرف النوم وهو يقول

أنا والله هالك آيس من سلامتي … أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي

وقيل مات وهو ينشدهما وحكي أنه كان بعد حجبه لا يركب إلا يوم المركب وإن القاضي كان يقصده مستخفيًا فينظر إليه فبلغ أباه فمنعه المركب فكتب إليه ابن خلكان

يا سادتي إني قنعت وحقكم … في حبكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعطفًا … ورأيتم هجري وفرط تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى … يوم الخميس جمالكم في المركب
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي … ألقاه من كمد إذا لم تركب
لرحمتني ورثيت لي من حالة … لولاك لم يك حملها من مذهبي
قسمًا بوجهك وهو بدر طالع … وبليل طرتك التي كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من … أخطارها في الحب أصعب مركب
لو لم أكن في رتبة أرعى لها … عهدي القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذ لي … خلع العذار ولو ألح مؤنبي
لكن خشيت بأن تقول عواذلي … قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت … كشف القناع بحق ذيالك النبي
لا تفضحن بحبك الصب الذي … جرعته في الحب أكدر مشرب

أخبار أحمد بن كليب وصاحبه أسلم هو أحمد بن قزمان الشهير بابن الكليب الكاتب كان أندلسيًا شاعرًا نحويًا مشغوفًا بأسلم هذا وهو ابن سعيد بن خلف كان جده وزيرًا بالأندلس المعروف بالناصر وولي أسلم القضاء بالأندلس بعدما كان حاجبًا وله يد في الأدب وديوان شعر وهو في وعلقه أحمد من مجلس ابن خطاب وأشتد بكلفه فنظم فيه الأشعار الكثيرة وهو يكتم ذلك حتى نم عليه الوجد ففشا أمره واشتهر فيه على الألسنة بشعره وقيل أن أول ما اشتهر من ذلك

وسمع زامر السلطان يغني به قوله

أسلمني في هواه … أسلم هذا الرشا … غزال له مقلة … يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد … سيسأل عما وشى … فلو شاء أن يرتجي … على الوصل روحي ارتشا

فحين بلغ أسلم هذا الأمر انقطع في داره عن جميع الأشياء وصار يجلس على بابه أحيانًا فجعل أحمد لا يبرح الأعلى بابه فانقطع وصار يجلس ليلًا عند العشاء فمضى أحمد وأخذ دجاجًا وبيضًا وتزيا بزي فلاحين أسلم وأقبل فقبل يده وسلم الهدية وجعل يسأله عن الضياع فاستنكره فحين عرفه قال يا هذا ما يكفيك قطعي عن الطلبة والخروج حتى تبعتني إلى هنا ثم حلف لا يخرج من بيته ورده ومضى أحمد حزينًا فمر بماجن فقال له ذهب دجاجك وبيضك فقال

لو قبلت يده كل ليلة قبلة واذهبت فيها مثل هذا فلما طال عليه الامر
انقطع قال ابن خطاب فعدته فوجدته مشرفا على التلف فقال لو سعيت في
ان تجمع بيني وبينه لاتاك الله فمضيت اليه فقلت له لو تعلم حرمتي عليك
وحرمة ما ضمك مع ابن كليب من الطلب لنعم وقد رايت ما فنا من امرنا
قلت ما عليك ان تزوره فتتفقده من التلف فامتنع فلم ازل الى ان اجابني
انه يمضي من الغد فلما جاء الميعاد ذهبنا حتى صرنا بازاء بيته فتغير وقال
في هذه الساعة اموت ورجع بعد ما جاذبته الرداء وقطع منه في يدي
قطعة ودخلت على احمد وقد بشره غلامه بقدومه فلما لم يجده معي تغير
واختلط عقله فغبت عنه فثابت نفسه اليه فقال لي اسمع وانشد

اسلم يا راحة العليل	رفقا على الهائم النحيل
وصلك اشهى الى فوادي	من رحمة الخالق الجليل

فقلت له استعيذك بالله من ذلك فقال قد كان فلم اخرج عنه الا وقد
قام الصراخ عليه اخبار مدرك وصاحبه عمرو هو مدرك بن علي الشيباني
نسبة الى بني شيبان عرب بالبادية بالبصرة دخل بغداد صغيرا ونشأ ٢٢٢
بها فتفقه واحسن العربية والادب والخط وعمرو هذا هو ابن يوحنا النصراني

البغدادي

البغدادي كان بدار الروم من الجانب الشرقي وكان لمدرك مجلس علم لا يحضره
فيه الا الاحداث وكان اذا دخله شيخ يخرجه وكان عمرو يحضره فعشقه وزاد

فيه وجده فالقى اليه يوما رقعة مكتوب فيها

بمجالس العلم التي بك تم حسن جموعها	الا رثيت لمقلة غرقت بفيض دموعها
بيني وبينك حرمة	الله في تضييعها

فاطلع الحاضرون عليها فاستحيى عمرو من ذلك وانقطع عن المجلس وكان
مدرك يلزم دار الروم ويتبع عمروا وزاد به الوسواس حتى اختلط عقله
ولزم الفراش ودخل الناس عليه يعودونه فقال اما بيني وبينكم حرمة وعشرة
اما فيكم من يرحمني بالنظر الى عمرو فمضوا اليه فلما اعلموه بحاله وما صار
اليه مضى معهم فحين سلم عليه اغمي عليه ثم افاق فاخذ بيده وانشد

انا في عافية الا من الشوق والبكا	ايها العائد ما بي منك لا يخفى عليكا
كيف لا يهلك مرشوق بسهمي مقلتيكا	

ثم شهق شهقة فمات ومن اشعاره المشهورة فيه قصيدته المعروفة بالمزدوجة
وللطفها بتخميس الحلي لها اوردناها معه غير ان المصنف ابدل ابياتا
من التخميس وزاد اخر نعم ان الحلي لم يقف عليها وهذه القصيدة بالشرط المذكور

مِن عاشقٍ ناءٍ هواه دانِ   ناطقِ دمعٍ صامتِ اللسانِ
موثقِ قلبٍ مطلقِ الجثمانِ   معذّبٍ بالصدِّ والهجرانِ
طليقِ دمعٍ قلبُه في أسرِ

من غيرِ ذنبٍ كسبت يداهُ   يشكو هوىً نمّت به عيناهُ
شوقاً الى رؤيةِ من أشقاهُ   كأنّما عافاهُ من أضناهُ
إذ كان أصلَ نفعِه والضرِّ

يا ويحه من عاشقٍ ما يلقى   من أدمعٍ منهلّةٍ ما ترقى
ناطقةٍ وما أحارت نطقا   تخبرُ عن حبٍّ له استرقّا
إخبارَ من يعلمُ أخفى السرِّ

لم يبقَ منه غيرُ طرفٍ يبكي   بأدمعٍ مثلِ نظامِ السلكِ
تطفيه نيرانُ الهوى وتذكي   كأنّما قطرَ السماءِ تحكي
منهاملٍ فيه دمٌ بقطرِ

الى غزالٍ من بني النصارى   عذارُ خدّيه سبا العذارى
وغادرَ الأُسْدَ به حيارى   في ربقةِ الحبِّ له أسارى
تنشدُ قولَ مدنفٍ في عمرو

ريمٌ بدارِ الرومِ رامَ قتلي   بمقلةٍ كحلاءَ لا عن كحلِ
وطرّةٍ بها استطارَ عقلي   وحسنِ وجهٍ وقبيحِ فعلِ
وعظمِ ردفٍ ودقيقِ خصرِ

ريمٌ به أيَّ هزبرٍ لم يصد   يقتلُ باللحظِ ولا يخشى قوَد
متى يقل ها قالتِ الألحاظُ قد   كأنّه ناسوتُه حين اتّحد
أفديه من ريمٍ ومن هزبرِ

ما أبصرَ الناسُ جميعاً بدرا   ولا رأوا شمساً وغصناً نضرا
أحسنَ من عمرٍو فديتُ عمرا   ظبيٌ بعينيه سقاني خمرا
فما أفقتُ ساعةً من سكرِ

ها أنذا بفقدِه مفقودُ   والدمعُ في خدّي له أخدودُ
ما ضرَّ من فقدي به موجودُ   لو لم يقبّح فعلَه الصدودُ
فديتُه لقد أطالَ هجري

إن كان ذنبي عندَه الإسلامُ   فقد سعت في نقضِه الأيّامُ
واختلّتِ الصلوةُ والصيامُ   وجازَ في الدينِ له الحرامُ
يا خيبتي إن لم أفز بغفرِ

يا ليتني كنت له صليبا　　أكون منه أبدا قريبا
أبصر حسنا وأشم طيبا　　لا واشيا أخشى ولا رقيبا
ولا أخاف أبدا من غدر

يا ليتني كنت له قربانا　　ألثم منه الثغر والبنانا
أو جاثليقا كنت أو مطرانا　　كيما يرى الطاعة لي إيمانا
فلا يزال الدهر طوع أمري

يا ليتني كنت لعمرو مصحفا　　يقرأ مني كل يوم أحرفا
أو قلما يكتب بي ما ألفا　　من أدب مستحسن قد صنفا
ويجعل الريق بديل الحبر

يا ليتني كنت لعمرو عوده　　أو حلة بلبسها مقدوده
أو بركة باسمه محدوده　　أو بيعة في داره مشهوده
يدلج في أرجائها ويسري

يا ليتني كنت له زنارا　　يديرني في الخصر كيف دارا
حتى إذا الليل طوى النهارا　　صرت له حينئذ إزارا
أضمه إلى طلوع الفجر

قد والذي يبقيه لي أفناني　　وابتز عقلي والضنا كساني
ظبي على البعاد والتداني　　حل محل الروح من جثماني
فليس لي عن قربه من صبر

واكبدي من خده المضرج　　واكبدي من ثغره المفلج
لا شيء مثل الطرف منه الأدعج　　أذهب للنسك وللتحرج
إلا جمال ثغره بالدر

إليك أشكو يا غزال الإنس　　ما بي من الوحشة بعد الأنس
يا من هلالي وجهه وشمسي　　لا تقتل النفس بغير النفس
وجد بوصل لسقامي يبري

جد لي كما جدت بحسن الود　　وارع كما أرعى قديم العهد
واصدد كصدي عن طويل الصد　　فليس وجد بك مثل وجدي
وليس ذكراك مثل ذكري

ها أنا في بحر الهوى غريق　　سكران من حبك لا أفيق
محترق ما مسني حريق　　يرثي لي العدو والصديق
من حر صدري وعظيم ضري

فليت شعري فيك هل ترثي لي … من سقم ومن ضنى طويل
ام هل الى وصلك من سبيل … لعاشق ذي جسد نحيل
انحله حبك طول الدهر

في كل عضو منه سقم والم … ومقلة تبكي بدمع ودم
شوقا الى بدر وشمس وصنم … منه اليه المشتكى اذا ظلم
افديه من شمس ضحى وبدر

اقول اذ قام بقلبي وقعد … يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد
اقسم بالله يمين المجتهد … ان امرأ اسعدته لقد سعد
وكل من اشقيته في خسر

يا عمرو ناشدتك بالمسيح … الا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح … باح بما يلقى من التبريح
كسير قلب ما له من جبر

يا عمرو بالحق من اللاهوت … والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنعوت … عوض بالنطق عن السكوت
وانشر الميت ببطن القبر

بحق ناسوت ببطن مريم … حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الاقدم … فكلم الناس ولما يفطم
مصرحا عن امه بالعذر

بحق من بعد الممات قمصا … ثوبا على مقداره ما قصصا
وكان لله تقيا مخلصا … يشفي ويبري اكمها وابرصا
بما لديه من خفي السر

بحق محيي صورة الطيور … وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور … يعلم ما في البر والبحور
وما به صرف القضاء يجري

بحق من في شامخ الصوامع … من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع … خوفا من الله بدمع هامع
وهجر اللذات طول العمر

بحق قوم حلقوا الرؤوسا … وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا … مستعلين يعبدون عيسى
قد اخلصوا في سرهم والجهر

بِحَقِّ مَارَا مَرْيَمٍ وَبُولِسِ ... بِحَقِّ شَمْعُونِ الصَّفَا وَبُطْرُسِ
بِحَقِّ دَانِيلَ بِحَقِّ يُونُسِ ... بِحَقِّ حِزْقِيلَ وَبَيْتِ المَقْدِسِ

وَكُلِّ أَوَّابٍ رَحِيبِ الصَّدْرِ

وَنَيْنَوَى إِذْ قَامَ يَدْعُو رَبَّهُ ... مُطَهِّرًا مِنْ كُلِّ سُوءٍ قَلْبَهُ
وَمُسْتَقِيلًا فَاقْبَلْ ذَنْبَهُ ... وَنَالَ عِنْدَ اللهِ مَا أَحَبَّهُ

إِذْ رَامَ مِنْ مَوْلَاهُ شَدَّ الأَزْرِ

بِحَقِّ مَا فِي قُلَّةِ المَيْرُونِ ... مِنْ نَافِعِ الأَدْوَاءِ لِلْجُنُونِ
بِحَقِّ مَا يُؤْثَرُ عَنْ شَمْعُونِ ... مِنْ بَرَكَاتِ الخُوصِ وَالزَّيْتُونِ

خِصْبِ البِلَادِ فِي السِّنِينِ الغُبْرِ

بِحَقِّ أَعْيَادِ الصَّلِيبِ الزُّهْرِ ... وَعِيدِ اِشْمُونِي وَعِيدِ الفِطْرِ
وَبِالشَّعَانِينِ العَظِيمِ القَدْرِ ... وَعِيدِ مَرْمَارِي الرَّفِيعِ الذِّكْرِ

مَوَاسِمٌ تَمْنَعُ حَلَّ الأَزْرِ

وَعِيدِ اشْعِيَا وَبِالهَيَاكِلِ ... وَالدُّهْنِ اللَّاتِي بِكَفِّ الحَامِلِ
يُشْفَى بِهَا مِنْ كُلِّ خَبْلٍ خَابِلِ ... وَمِنْ دَخِيلِ السُّقْمِ فِي المَفَاصِلِ

لِكَوْنِهَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ تُبْرِي

بِحَقِّ سَبْعِينَ مِنَ العُبَّادِ ... قَامُوا بِدِينِ اللهِ فِي البِلَادِ
وَأَرْشَدُوا النَّاسَ إِلَى الرَّشَادِ ... حَتَّى اهْتَدَى مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالهَادِي

وَحُقِّقَ الحَقُّ بِكَشْفِ السِّتْرِ

بِحَقِّ اِثْنَيْ عَشَرٍ مِنَ الأُمَمْ ... سَارُوا إِلَى الأَقْطَارِ يَتْلُونَ الحِكَمْ
حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ الهُدَى جَلَا الظُّلَمْ ... سَارُوا إِلَى فَفَازُوا بِالنِّعَمْ

ثُمَّ اسْتَدَامُوهَا بِفَرْطِ الشُّكْرِ

بِحَقِّ مَا فِي مُحْكَمِ الإِنْجِيلِ ... مِنْ مُحْكَمِ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ
وَخَبَرٍ ذِي نَبَإٍ جَلِيلِ ... يَرْوِيهِ جِيلٌ قَدْ مَضَى عَنْ جِيلِ

بِسَنَدٍ زَيْدٌ عِلْمَهُ عَنْ عَمْرِو

بِحَقِّ مَرْعِيدِ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ ... بِحَقِّ لُوقَا ذِي الفِعَالِ الصَّالِحِ
بِحَقِّ يَمْلِيخَا الحَكِيمِ الرَّاجِحِ ... وَالشُّهَدَاءِ بِالفَلَا الصَّحَاصِحِ

الرَّاغِبِينَ فِي عَظِيمِ الأَجْرِ

بِحَقِّ مَعْمُودِيَّةِ الأَرْوَاحِ ... وَالمَذْبَحِ المَشْهُودِ فِي النَّوَاحِي
وَمَنْ بِهِ مِنْ لَابِسِ الأَمْسَاحِ ... وَعَابِدٍ بَاكٍ وَمِنْ نَوَّاحِ

يَنْثُرُ عِقْدًا مِنْ دُمُوعٍ حُمْرِ

بحق تقريبك في الأعياد   وشربك القهوة كالفصاد
وطول تغنيتك للأكباد   بما بعينيك من السواد
وسلبك العشاق حسن الصبر

بحق ما قدس شعبا فيه   بالحمد لله وبالتنزيه
بحق بسطور وما يرويه   عن كل ناموس له فقيه
مشبع في لهبه والأمر

شيخان كانا من شيوخ العلم   وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير فهم   موتهما كان حياة الخصم
وعنهما الخبر كل حبر

بحرمة الأسقف والمطران   والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديراني   والبطرك الأكبر والرهبان
والمغرباني ذي الخصال الزهر

بحرمة المحبوس في أعلى الجبل   وما رقى إلا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمة الأول   وبالسليح المرتقى بما فعل
وما أتاه من فعال البر

بحرمة الأسقوفيا والبترم   وما حوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الأعظم   وحق كل بركة ومحرم
من شرف سام رفيع القدر

بحق يوم الذبح ذي الإشراق   وليلة الميلاد والتلاقي
والمذهب المذهب للنفاق   والفصح يا مهذب الأخلاق
وكل ميقات عظيم الذكر

وكل قداس على قداس   قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناس   وقدموا الكاس لكل حاسي
توقد في ناحية كالجمر

إلا رغبت في رضى أديب   باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق إلى المذيب   أعلا مناه أيسر التقريب
من بسط أخلاق وحسن بشر

فانظر أميري في صلاح أمري   محتسبا في عظيم الأجر
مكتسبا مني جميل الشكر   في نثر ألفاظ ونظم شعر
ففيك نظمي أبدا ونثري

النوع الثاني في ذكر من جهل حاله وكان الى الموت في الحب مآله

وقد رأينا ان نبدأ منهم بعشاق النصارى تبعا للقصة المشهورة فمنهم
سعيد الوراق وكان بالرها يبيع الورق ويجلس اليه الشعراء واهل
الادب فيتحدثون عنده في الشعر كالصنوبري والمعوج وغيرهما فلازم
غلام نصراني اسمه عيسى يكتب ما عندهم من الادب فعلقه سعيد
وزاد به وجده فانشده يوما

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي ... وهاك فابر عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي ... فان ذلك لي برء من السقم
ترى المعلم لا يدري بمن كلفا ... وانت اشهر في الصبيان من علم

ثم اشتهر امرهما فلما شب الغلام طلب الترهب فاجابه اهله بعد
جهد فخرج الى دير زكي فاقام به وكان سعيد يأتيه فيجلس معه فكره
الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالخروج من الدير فمنعه وصارت
الرهبان تغلق باب الدير في وجه سعيد اذا اتى فلما يئس مضى فاحرق
داره وثيابه وخرج عاريا ينشد الاشعار ويطوف بالدير ويبيت
في ظله وان الصنوبري اتاه يوما وقد طال شعره وتشوهت خلقته

فعنفه

فعنفه فقال يا ابا بكر الا ترى الى هذا الطائر الذي على شرافة الدير
نعم قال لي سنة اسأله ان يحمل رسالتي الى عيسى فابى فقربه له اتحمل الالواح قال نعم ودفعه اليه فكتب

بدينك يا حمامة دير زكي ... وبالانجيل عندك والصليب
قفي وتحملي مني سلاما ... الى قمر على غصن رطيب
حماه جماعة الرهبان عني ... فقلبي لا يقر من الوجيب
وقالوا رابنا المام سعد ... ولا والله ما انا بالمريب
وقولي سعدك المسكين يشكو ... لهيب جوى احر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد ... اذا ما كنت تبخل من قريب
وان اك مت فاكتب حول قبري ... محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش ... فكيف بمن له الفا رقيب

ولم يزل كذلك حتى وجد عند الدير ميتا فاراد العامل يومئذ وهو
العباس بن وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فافتدوا منه بثمانين
الف درهم وكان الغلام اذا دخل المدينة لزيارة اهله نضربه الصبيان
بالاحجار ويقولون له يا قاتل سعيد فانتقل الى دير سمعان ومنهم
شرف العلا علق غلاما نصرانيا فلبس المسوح لاجله وتبعه الى

الكنايس والبيع وهام به فبلغ الظاهر ابن ايوب فاستحضره فلما دخل
عليه تلقاه بقدح من خمر فشربه وانشد

جمعت بالكاس لي الله يجمع شملك ... بحق راسك دعني حتى اقبل رجلك

ودام على ذلك هائماً حتى مات ومنهم ما اخرجه ابن الجوزي عن سعيد قال
كنت بخان التجار بالبصرة اذا بغلام يصيح وفي يده مدية فاجتمع الناس اليه فانشد

يوم الفراق من القيامة اطول ... والموت من الم التفرق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل ... لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بطنه بالمدية فسألت عنه فقيل عشق غلاماً لبعض الملوك فحجب
عنه يوماً واحداً ففعل هذا ومنهم ما حكاه السهروزي في روضة القلوب
قال كان بحمص مؤدب يقال له ابن الدوري عشق غلاماً وكلف به فلما
علم ابوه نقله الى مؤدب آخر فعدم له فضعف واشتد غمه وكتب الى ابي
الغلام يستعطفه فاجابه بانه ان لم يرجع رفع امره الى الحاكم فتغير من
وقته وتقيأ الدم وحمل الى بيته وجاءه الطبيب فاخبر ان كبده تقطرت
فمات في الرابع ومنهم ما حكاه في ديوان الصبابة قال عشق شاب بدمشق
غلاماً فلما اشتد به وجده قتله فحمل الى الحاكم فانكر فهدده بالضرب فجاء

شاب كان يعشقه فقال ان هذا لم يقتل الغلام وانما انا قتلته فكتبوا عليه
بذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بباطل القصة وكان متأدباً فامسك عن
قتله وحبسه لينظر في امره فعزل بعد ايام فكان اول ما حكم الجديد بشنق الشاب
المذكور ومنهم شهاب الدين الحاجبي كان شاباً لطيفاً جيد القريحة والشعر ونظم
من العجائب الدالة على ان له اليد الطولى في الادب وكان من اولاد الجند
علق شاباً من اولاد الحسنة وافرط في حبه حتى كان لا يصبر عنه ساعة فمرض
الشاب وانقطع فمرض الحاجبي لمرضه فدخل اصحابه عليه يعودونه فقال الذي يريد
من يوصل هذه الدراهم لفلان يعني صاحبه فقيل له قد مات فتغير من وقته
واختلط عقله وجعل يقول قد مات ثم قال احملوني من هنا والح عليهم فاخرجوه
من حارة بها بالدبو الى قناطر السباع فمات بها من يومه والتقت جنازته و
وجنازة محبوبه فصلى عليهما معاً ومن اشعاره فيه

ملأت فؤادي من محبة شادن ... اميل اليه وهو كالظبي رائغ
وقلت لقلبي قم لتعشق شادنا ... سواه فقال القلب ما انا فارغ
ومنه ان السيوف كلها قاطعة اذا انتضت ... وذا سيف في لحظه اذا انتضت قتلت
ومنه وصفت خصر الذي اخفاه ردف راجح ... قالوا انصف حبيبه فقلت ذاك واضح

ومنه له عين لها غزل وغزو	مكحلة ولي عين بكاك
وحاكت في فعائلها المواضي	فيا لك مقلة غزلت وحاكت
ومنه عودوا الصب يبكي عليكم	يا جيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه عاد بحرًا	وقلبه ما له قرار
ومنه لا تبعثوا غير الصبا بتحية	ما طاب في سمعي حديث سؤالها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت	نشرًا فيا لله ما أذكاها
ومنه لم أنس أيام الصبا والهوى	لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مر حلو الجنى	ظفرت منه بحبيب وراح

ومنها وهي من قصيدة طويلة ذكر ابن حجة أنه مدح بها صاحب حماة :

نائي المعاطف كنت أول عاشق	في حبه ولكل ثان أول
يرنو فيحلو للمتيم لحظه	إذ ذاك لحظ بالنعاس معلل
وعجبت منه شمائل لم أدر من	مشمولة أم خمرة كتمها شمأل
متلون الأوصاف سيف لحاظه	ماض ولكن هجره مستقبل

القسم الثاني فيمن اشتهر في العشق حاله ولم يبد ما له فمنهم من حكاه
لنا عنا بطرائف الأخبار قال نزلت دارًا فوجدت مكتوبًا على حائط

دعوا مقلتي تبكي لفقد حبيبها	لتطفي ببرد الدمع حر كروبها
ففي سح مزن الدمع للقلب راحة	فطوبى لنفس متعت بحبيبها
بمن لو رأته القاطعات أكفها	لما رضيت إلا بقطع قلوبها

فسألت فقيل قد كان بها تاجر يهوى غلامًا وأنه أنفق عليه ثلاثين ألف
دينار حتى نفد ما معه فلم ندر ما تم من أمرهما ومنهم ما حكاه بعضهم
قال دخلت درب الزعفراني ببغداد فرأيت غلامًا قد طرح شيخًا على
التراب وهو يعضه ويضربه فقلت له لا تفعل ذلك بأبيك وأنا أظن أنه
أبوه فقال حتى أفرغ ثم أقبل علي وقال هذا الشيخ يزعم أنه يهواني وله
ثلاث ما رآني ومنهم ما حكاه الأصمعي عن أبي النواس قال رأى غلامًا
بمكة فعلقه وقال لأقبلنه عند الحجر الأسود قلت اتق الله في ذلك فقال لا بد
منه ودنا فقبله حين أراد أن يلثم الحجر وأنا أنظر فلما عنفته قال إن الله رحيم وأنشد

وعاشقان التف خداهما	عند استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأثما	كأنما كانا على موعد

ومنهم رجل بإفريقية كان يهوى غلامًا وازدادت محبته له وهجره له
فأخذ قبسًا وأحرق بابه فرآه بعض جيرانه فحين أصبحوا رفعوه إلى القاضي

وكان لطيفا فقال لأبي نجي فعلت هذا فانشد

لما تمادى على بعادي … واضرم النار في فؤادي
ولم اجد من هواه بدا … ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي … ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي … اقل من قدحة الزناد
فاحرق الباب دون علمي … ولم يكن ذاك من مرادي

فاستظرفه القاضي وحمل عنه ما افسده **القسم الثالث** في ذكر من ساعده الزمان في المراد حتى بلغه ما اراد **فمنهم** ما حكي انه كان ببغداد رجل صوفي معروف بالزهد والعبادة فهوى غلاما جنديا حتى امتزج حبه بلحمه ودمه وفشا امره عند غلمان الغلام لان الصوفي كان يقصده في الطرق والمواكب وينظره فبينما الصوفي ليلة يصلي على سطحه اذ سمع صوت الغلام مارا فسقط من على السطح فرآه الغلمان فضحكوا فقال مولاهم ما لكم فقالوا لا شيء فاقسم عليهم فتقدم اليه بعضهم واسر الخبر اليه واعلمه انه يهواه فقال منذ كم قالوا من زمان طويل فقال بئس المرء الذي لا يعرف من يحبه ثم نزل فاقعده ونفض عنه التراب فانطفت الشمعة على وجه الشيخ ففتح عينيه فرأى صاحبه فانشد بديهة

يا محرقا بالنار وجه محبه … رفقا فان مدامعي تطفيه
حرق بها جسدي وكل جوارحي … واحذر على قلبي فانك فيه

فحمله الى بيته ولم يفارقه بعدها وساق الحجازي في روض الآداب الحكاية عن الخياط الدمشقي **ومنهم** البحتري المشهور كان يهوى غلاما اسمه نسيم فاشتراه حين اشتد به بلاه فلما اشتهر حاله مازحه ابو الفضل يوما وقال هل تبيعه قال لا قال خذ فيه الف دينار فابى وكان لا يساوي اكثر من مائة فقال خذ الفين فقال احضرهما فاحضرهما فاشترى ومضى به فلم يلبث البحتري اكثر من يوم حتى ذهب عقله فاكثر التردد الى ابي الفضل فلم يجبه وكتب اليه بيتا لوجد

ابا الفضل في تسع وتسعين نعجة … غنى لك عن ظبي بساحتنا فرد
اتاخذه مني وقد اخذ الهوى … فؤادي له فيما اسر وما ابدي
وتعقد عليه صبوتي وصبابتي … ولم يعده وجد ولم يأله جهدي
وقلت اسل عنه والمنية دونه … وكيف يسلوان الظماء عن الورد

فقال له ابيعكه بجميع ما تملك في سائر البلاد فقال افعل فباعه بذلك فلما اصبح اقاله ورده لباك وجهل الاحرار فان لهم مكايد **ومنهم** ما حكي عن الصاحب بدر الدين وزير اليمن دعا الاخير معلما ذا هيبة ووقار وادب

وكان يعلّمه في بيته فامتحن الشيخ بحبّ الغلام وزاد به الحال فشكى يوماً
إلى الغلام فقال ما أصنع وأخي ما يفارقني ليلاً ولا نهاراً فقال الشيخ إن داري
ملاصقة لحائطكم فإذا كان الليل أتناولك فتجلس معي لحظة لطيفة وتعود
فأجاب فلما كان الليل أظهر الشاب أنه نائم فقام أخوه ففتح الباب الذي
إلى الحائط فوجد الشيخ واقفاً فأخذه ومضى إلى مجلس لطيف ما بين فرش
وسماط ومشروب ومشموم فجلسا يتعاطيان الكاس وكانت ليلة البدر
وأفاق الوزير فلم ير أخاه ورأى الباب مفتوحاً فاطّلع فرآهما على
تلك الحالة والكاس في يد الشيخ وهو ينشد

سقاني شربة من خمر فيه	وحيّا بالعذار وما يليه
وبات معانقي خدّاً بخدّ	مليح في الأنام بلا شبيه
وبات البدر مطّلعاً علينا	سلوه لا ينمّ على أخيه

فكان من لطفه أن قال والله ما أنمّ عليكما وانصرف وذكر الحجازي لهذه
الأبيات الآتية مناسبة لطيفة من أن شخصاً كان يهوى غلاماً فأتى
فجلس يكلّمه فطلع البدر فلم يقدر أن يملأ عينيه منه فأنشد

شقيقك غيّب في لحده	وتطلع يا بدر من بعده

فهلا خسفت وكان الخسوف	لباس الحداد على فقده

فخسف من وقته ومنهم الشيخ مهذّب الدين ابن منير الطرابلسي وكان أديباً
ظريفاً عارفاً بالشعر والأدب وكان شيعياً وكان السيد المرتضى نقيب الأشراف
بالعراق والشام وغالب الممالك وكان بينه وبين مهذّب الدين مودة قال
ابن سعيد في الطبقات لأن السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان
مهذّب الدين من أجلاء طرابلس فبعث إلى الشريف يتحف مع عبد أسود وقيل
بالعبيد وحده فأرسل الشريف يعتبه في ذلك وكان معروفاً بالشهامة فقال
له أما بعد فلو رأيت عدداً أقل من الواحد ولوناً شراً من السواد لبعثت به
إليك والسلام وكان مهذّب الدين يهوى مملوكاً له اسمه تتر وكان لا يفارقه
في نوم ولا يقظة وكان إذا اشتد غمه أو رمي بمحنة نظر إليه فزال ما به فحلف
لا يرسل إلى الشريف الهدايا إلا مع أعز الناس عليه فجهزها مع مملوكه تتر
وأخذ يقاسي مشاق فرقته فلما وصل المملوك إلى الشريف توهم أنه من
جملة الهدايا تعويضاً من ذنب العبد فأمسكه وطال الأمر فلم ير ما ينكره به
الشريف وبعثه على إرسال المملوك إلا إظهار النزوع عن التشيع والدخول
في مذهب أهل السنة وإن ذلك دليل أمر عظيم أخرجه عن العقل حتى

فارق مذهبه فارسل اليه بهذه القصيدة يذكر فيها وجده بالمملوك وخروجه عن المذهب وتلبسه بالدين

عذبت طرفي بالسهر ● وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت جسماني الضنى ● وكحلت جفني بالسهر
يا قلب ويحك كم تخادع بالغرور وكم تغر
ريم يفوق إن رماك بسهم ناظره النظر
ورمت فأصمت عن قسي لا يناط بها وتر
تلهو وتلعب بالعقول عيون أبناء الخزر
تخفي الهوى وتسره ● وخفي سرك قد ظهر
نفسي الفداء لشادن ● أنا من هواه على خطر
قمر يزين ضوء صبح جبينه ليل الشعر
هو كالهلال ملثما ● والبدر حسنا إن سفر
يومي المحرم بعده ● وربيع لذاتي صفر
وبمن سعى فيه وطاف ببره ولبى واعتمر
ابدى الجحود ولم يرد على مملوكي نظر

ومزجت صفو مودتي ● من بعد بعدك بالكدر
وجفوت صبا ماله ● عن حسن وجهك مصطبر
والام تكلف بالاغن من الظباء وبالاغر
تركتك أعين تركها ● من بأسهن على خطر
جرحتك جرحا لا يخيط بالخيوط ولا الابر
فكأنهن صوالج ● وكأنهن لها أكر
أفهل لوجدك من مدى ● يفضي إليه فينتظر
عذل العذول وما رآه ● فحين عاينه عذر
ويرى اللواحظ خده ● فترى لها وبه أثر
وبلاه ما احلاه في ● قلبي الشجي فما أمر
بالمشعرين وبالصفا ● والبيت الحرم والحجر
لئن الشريف الموسوي ابن الشريف أبي مضر
وابت آل امية الطهر الميامين الغرر

وتجنبته حيدة ● وعدلت عنه إلى عمر
قلت المقدم شيخ تيم ● ثم صاحبه عمر
كلا ولا صدا البتول عن التراث ولا زجر
وبكيت عثمان الشهيد بكاء نسوان الحضر
وقرأت عن أوراق مصحفه براءة والزمر
وأزور قبرهما وأزجر من لحاني أو زجر
وركبت على جمل لتصلح من بنيها في زمر
فأتى أبو حسن وسل حسامه وسطا وكر
ما ضره لو كان كف ● وعف عنهم إذ قدر
وأقول إن أخطى معاوية ● فما أخطى القدر
بطل بجوثه يقاتل لا بصارمه الذكر
وأقول ذنب الخارجين على علي مغتفر
والأشعري بما يؤول إليه أمرهما شعر
فعلاوة لو خلعت صاحبكم وأوجز واختصر
وجنيته بالكف عن أبناء فاطمة [illegible]

وإذا جرى ذكر الصحابة بين قوم واشتهر
ما سل قط ظبا على آل النبي ولا بقر
وأنا بها الحسنى ولا الأشقى الكتاب ولا المعنكر
وشهدت حسن صلاته جنح الظلام المعتكر
ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وأقول أم المؤمنين عقوقها إحدى الكبر
وأتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر
وإذا أتى لحتوا الردى ● وبعير أمهم عقر
وأقول إن إمامكم ● ولى بصفين وفر
هذا ولم يعتب معاوية ● ولا عمرو مكر
وجنيتم من نطيب النواصب ما نثر وما ختم
لا تأثموا بقتالهم ● في النهروان ولا أشر
قال النصوص إلى منبر ● أنا البريء من الخطر
وأقول إن يزيد ما ● شرب الخمور ولا فجر
والشمر ما قتل الحسين ● وابن سعد ما غدر

وحلقت في عشر المحرم ما استطال من الشعر … ونويت صوم نهاره وصيام ايام اخر
ولبست فيه اجل ثوب للملابس يدخر … وسهرت في طبخ الحبوب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا اصافح من لقيت من البشر … ووقفت في وسط الطريق اقص شارب من عبر
واكلت جرجير البقول بلحم جري الحفر … وجعلتها خير المآكل والفواكه والخضر
وغسلت رجلي ضلة ومسحت خفي في السفر … وامين اجهر في الصلاة بها كمن قبلي جهر
واسن تسنيم القبور لكل قبر محتفر … واذا جرى ذكر الغدير اقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملابس ما اضمحل وما دثر … وسكت حلوق واقتديت بهم وان كانوا بقر
واقول مثل مقالهم بالفاسد ما قد فشر … مصطلحي مكوكة وفطيري فيها اقتصر
بقر يرى من بينهم طيش الظليم اذا نفر … وخفيفهم مستثقل وصواب قولهم هدر
وطباعهم كجبالهم جبلت وقدت من حجر … ما بدلك التثبيت تغرد البلابل في السحر
واقول في يوم تحار له البصيرة والبصر … والصحف ينشر طيها والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف اضلني بعد الهداية والنظر … ما لي مضل في الورى الا الشريف ابو مضر
فيقال خذ بيد الشريف فمستقركما سقر … لواحة تسطو فما تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسيء اذا تنصل واعتذر … فاخش الاله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية راقت لرقتها الحضر … شامية لو شامها قس الفصاحة لافتخر

ودرر وايقن انني بحري والفاظي درر … حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر
وبديعة كبديعة غراء ترفل في الحبر … والى الشريف بعثتها لما اقر اهلها وبهر
رد الغلا وما استمر على الجحود ولا اصر … وانابني فجزيته شكرا وقال لقد صبر

فلما وصلت القصيدة الى الشريف ضحك وقال قد ابطانا عليه فهو معذور وجزى المملوك مع هذا باحسنة فمدحه مهذب الدين فقال

الى المرتضى حث المطي فانه … امام على كل البرية قد سما
ترى الناس ارضا في الفضائل عنده … ونجل الزكي الهاشمي هو السما

القسم الرابع في ذكر من منعه الزهد والعبادة ان يقضي من محبوبه مراده قد رأينا ان نجعل هذا القسم كالاستغفار بعد الذنوب والكفارة لمن عزم ان يتوب لاشتماله على ذكر اقوام عصمهم الله سبحانه تعالى من الوقوع في الخطا وان سلك عليهم الغطا وهو نوعان **الاول** فيمن سلم من القضاء الجاري فعصم عن الجواري **في** الصحيحين عنه عليه السلام قال بينما ثلاثة نفر ممن قبلكم يمشون اذ اصابهم مطر فاووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه صدق فيه فقال واحد منهم اللهم ان كنت تعلم انه كان لي اجير عمل لي على فرق من ارز فذهب وتركه واني عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار

من ارز اني اشتريت منه بقرا وراعيها وانه اتاني يطلب اجرته فقلت له
اعمد الى تلك البقر فسقها فقال انما لي فرق من ارز فقلت له اعمد الى
تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من
خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة قليلا فقال الاخر اللهم انك تعلم
انه كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فابطأت
عنهما ليلة فجئت وقد رقدوا واهلي وعيالي يتضورون من الجوع وكنت
لا اسقيهم حتى يشرب ابواي فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان ادعهما
فيستكنا لشربتهما فلم ازل انتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني فعلته ذلك
من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء فقال
الاخر اللهم ان كنت تعلم انه كان لي بنت عم من احب الناس الي واني
راودتها فابت الا ان آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها واتيتها بها
فدفعتها اليها فامكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله
ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركت المائة الدينار فان كنت تعلم اني
فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وحكي ان رجلا
افتتن براهبة فتسور اليها وراودها عن نفسها فلم تمكنه الا بعد جهد

قدر عليها جعلت يدها في مجمرة فاحترقت فقال لاي شيء فعلت هذا قالت
خفت ان اشاركك في اللذة فاشاركك في المعصية فحلف لا يعصي الله بعدها
وتاب وحكي ان رجلا عشق جارية فزادت حبه لها ولم يتمكن منها وان اهلها
ارسلوها لحاجة فتبعها وراودها عن نفسها فقالت اني احب لك منك لي
ولكني اخاف الله فقال لتخافينه ولا اخافه ورجع فناله عطش كاد ان ياتي
عليه فلقيه رسول لبعض الانبياء فشكى ذلك اليه فقال الرسول انا ادعو وانت
تؤمن وفعلا فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فدعاه الرسول الى بيته
فتبعتهما السحابة فقال له تقول مالي عمل وقد تبعتك لتخبرني ما فعلت فاخبره
فقال ان التائب عند الله اعظم من العابد وحكي ان عمر بن عبد العزيز عشق
جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك وزاد فيها غرامه فطلبها منها فابت
عليه فلما افضت اليه الخلافة زينتها بانواع الزينة ثم قالت يا امير المؤمنين
قد كنت امسكت عنك هذه والان فقد وهبتها لك فسر بها سرورا عظيما
ثم قال لها اخلعي ثيابك فحين همت لتخلعها ثم قال لها من اين جئتك
في الاصل قالت غصب الحجاج مال عامل فاصطفاني منه وارسلني لعبد
الملك فوهبني ابنته فقال الحي هو قالت لا فقال هل له ورثة قالت ولد

فأحضره وأمره أن يذكرها لغرم الحجاج أباه وأعطاه ذلك مع الجارية وقال له
احذر أن يكون أباك نالها فقال هي لك يا أمير المؤمنين فأبى فقال ابعثها فأبى
فقالت الجارية أين وجد الحجي قال قد ناد ولكن أنهى النفس عن الهوى وحكي أن
امرأة كانت في بني إسرائيل قد حازت ثلث الحسن وكانت لا تمكن من نفسها
إلا بمائة دينار فأعجبت شخصا فمضى فجمع مائة دينار وجاء إليها فقالت ادفعها
إلى الجهبذ يعني الناقد ففعل فلما انقدها تهيأت وجلست على سرير من ذهب
فحين تمكن منها أخذته الرعدة فقال خلي عني ولك المائة فقالت أعجبتك فحين
هذا المال وجئت متاعها وجاءته فحين رآها شهق شهقة فمات فقالت أما
فقد فات فهل له أحد قالوا له أخ فتزوجت به لما ذكر لها وأما قصة بشر وهند
فقد آلت بها الشهرة إلى أن أفردت بالتأليف وحاصلها أن بشرا من أسد
ذكره الحافظ ابن حجر وهندا كانت بالمدينة في ممر بشر إلى رسول الله صلعم فعلقته
وتعرضت إليه بأسلا ظنها موضوعة لأهلها فلذلك حذفتها فلما رأى
بشر إلحاحها هجر الممر وصار يأتي من غيره فلزمت الوساد وهم زوجها أن
يدعو لها الأطباء فنهته وقالت أنا أعرف علتي فلما علمت الطريق التي يمر
منها بشر أخبرت زوجها أنها رأت في نومها أنها متى سكنت في موضع كذا

شبت

شبت فنقلها من وقتها وكانت تنظر إليه في ممره واطلعت عجوزا على أمرها
فوعدتها أن تجمعها به ثم وقفت له فسألته أن يقرأ لها كتابا أو يكتبه فشغل
وهند تسمع ثم قالت له العجوز أراك مسحورا وما قلت لك إلا عن يقين ثم
وعدته أن يأتيها يوما لتنظر له فيما يصلحه وقالت لهند قد سمعته فتهيئي فلما
خرج فلما خرج زوجها إلى بعض القرى وقد وعد العجوز بشرا فجاء فحين دخل
أدخلت هندا عليه وأغلقت الباب فجاء زوجها فحين رآها طلقها ثم مضى
به إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله اسأل هذه الجارية دخل
بيتي فقال بشر والذي بعثك بالحق ما كفرت منذ أسلمت ولا زنيت منذ
عرفتك ولكن القصة كذا وكذا فأدب العجوز وقال أنت أصل البلية وافترقوا
فلم يمكث بشر حتى ابتلي بحب هند وراسلها فامتنعت فلم يزل حتى مات
فجاءت فحين رأته سقطت ميتة ودفنا معا فجاءت العجوز إلى النبي صلعم معتذرة
فأخلصت توبتها وفي امتزاج النفوس عن رجل من أصحاب الحديث قال
دخلت ديرا كنت أعرف به راهبا معروفا بالأخبار فوجدته مسلما وجميع من
في الدير فسألته عن السبب فقال عشقت جارية منا غلاما مسلما بعدما
وافتتنت به ودعته إليها فأبى فلما زاد بها الوجد أعطت مصورا مالا فنقش

لها صورة الغلام وكانت تقبلها وتبكي كل يوم الى الغروب فبلغها موت الغلام
فعلت ما تمته لم ترمت لتم الصوم فلما اصبحنا وجدناها ميتة وعلى يدها مكتوب

يا موت دونك روحي بعد سيدها … خذها اليك فقد اودت بما فيها
اسلمت وجهي للرحمن مسلمة … ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها في جنان الخلد يسكنها … يوم الحساب بيوم البعث باريها
مات الحبيب ومات بعده كمدا … محبة لم تزل تنفي محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاخذوها ودفنوها الى جانبه فرايتها في النوم فقلت ما فعل الله بك فاذا

اصبحت في راحة مما جنته يدي … وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبي كلها وغدا … قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة … وقلت انك لم تولد ولم تلد
اثابني رحمة منه واسكنني … مع من هويت جنانا آخر الابد

فعلمت ان الاسلام حق فاسلمت واسلم اهل الدير بسببها وحكى التبريزي
في روضة العشاق عن راهب اسلم وكان اسمه عبد المسيح قال سئل عن
سبب اسلامه فحكى انه كان عندهم جارية نصرانية تبيع الخبز فعلق بها شاب
مسلم واشتد حاله في حبها فسلطت عليه الصغار فضربوه فلما علمت بصدقه

عرضت عليه نفسها بالحرام فابى فعرضت عليه التنصر فابى فامرت الصقالبة
بضربه حتى مات وهو يقول اللهم اجمع بيننا في الجنة فرايته في النوم فانطلق
بها الى الجنة فبعثت لاجل الاسلام فاسلمت ودخل بها فاذا هي قصر من
اللؤلؤ وقال هذا لي ولك وستأتين بعد خمس ليال فاستيقظت واسلمت
ولزمت قبره حتى ماتت في الليلة الخامسة فاسلمت لذلك وحكى ابن عاصم
قال قال لي بعض اصحابي بالكوفة هل لك ان تنظر الى عاشق فقلت
نعم فاني اسمع الناس يذكرون العشق فمضى بي الى دار فرايت شابا
مطرقا ساكتا لا يكلم الناس ولا ينطق وعلى عضده وردة حمراء فقال صاحبي
كانت فلانة ارسلتها اليه فحين سمع ذكرها رفع راسه وانشد

جعلت من وردها … تميمة في عضدي
اشمها من حبها … اذا علا في كبدي
من راى مثلي فتى … بالحزن اضحى مرتدي
اسقمه الحب فقد … صار حليف الاود
وصار يهوى ادهره … مقارنا للكمد

فنهضنا فلما بلغنا الباب حتى مات فرجعنا حتى نشهده فحين دفناه اقبلت جارية
مسفرة ما رايت احسن منها فما تركت ترابا على القبر حتى جعلته على راسها
فجاء قوم فجروها فقلت ارفقوا بها فقالت دعهم يبلغوا همتهم فوالله لا ينفعون

بي فما انقضى اليوم حتى ماتت فسألت عن القصة فقالوا انه كان يعشقها فبذل لها
في شرائها ملكه فأبوا عليه حسدا ان يكون عنده مثلها فارسلت اليه نفوم من بي
بما ثبت فارسل اليها ان الزمي طاعة ربك ومولاك واقبل على الزهد وهو مع
ذلك لا يفتر عن ذكرها حتى بلغ الى ما رايت النوع الثاني فيمن بلغه زهده الامان
فعصمه من الغلمان • وهؤلاء قوم جرت عليهم خصال البشر • حتى فتنوا باستحسان
بعض الصور • ثم عند ارادة الترويع • ومقاربة الوقوع • كشفت لهم حقائق الاحوال
عن قبيح عواقب هذه الافعال • فرجعوا الى انفسهم فذكروها خشية الله فزجر
كل نفسه حتى غلب على هواه قال بعضهم مررت بمدائن قوم لوط فاخذت منها حجرا
للحاجة فحين نزلت في دار جعلتها في طبقة فجاء رجل ومعه غلام ولم يشعر بي
فقضى منه وطرا فسقط الحجر عليه فمات فتعجبت من ذلك فمن المذكورين
صوفي يسمى المهرجان كان مجوسيا ثم حسن اسلامه قال من شهده رايته ببيت المقدس
ومعه غلام جميل ينام الى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلي ما شاء وينام يفعل ذلك مرارا
كل ليلة فاذا طلع الفجر قال اللهم انك تعلم ان الليل قد مضى علي سليما لم اقارف
فيه فاحشة ولا كتبت الحفظة علي فيه معصية وان الذي اضمره في قلبي لو حملته
الجبال لتصدعت او كان بالارض لدكدكت ثم يا ليل اشهد بما كان مني فقد

منعني

منعني خوف الله عز وجل عن طلب الحرام والتعرض للآثام ثم يقول سيدي انت
جمعت بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الاحباب فقلت له قد سمعتك تقول
كذا وكذا فما الذي يدعو الى عشرة من تخاف على نفسك منه فبكى وذكر ان مقصوده
بذلك امتحان نفسه وعالج بعضهم نفسه في صحبة الاحداث بالهجر قال ابو حمزة
رايت صوفيا يصحب غلاما دهرا طويلا ثم هجره فسألته عن ذلك فقال حدثتني
نفسي عند الخلوة به تحدثني بما يسقطني من عين الله ففارقته ليثيبني الله ثواب
الصابرين عن محارمه ويجمع بيننا في دار كرامته قال ورايت ايضا رجلا
ومعه غلام يصحبه فمات الرجل فلم يبرح الفتى محزونا فقلت له ما اراك تسلو
عن صاحبك فقال كيف اسلو عن شخص احسن تاديبي وعصمني من الفسق
وحكى ابو حمزة الصوفي قال نظر رجل صوفي الى غلام جميل فافتتن به
واقعد فكان نائبه ويسأله عن حاله فلا يخبره وبلغ الغلام فعاده فهش له
وضحك فاكثر من زيارته فقام وذهب مرضه فعرضه الفتى يوما فابى ان يذهب
معه فقلت له لاي شيء امتنعت فقال لست معصوما ولا اخاف ان تحدثني نفسي
عند الخلوة بما يحجبني عن الله وصحب ابو الحسين غلاما كانما خلق الحسن على
صورته او خلق من نفس من ينظر اليه وكان يأتي به الى مسعر فتحدث الناس فيهما

فمنع الغلام أهله من صحبة أبي الحسن فنحل حتى ساقه الموت فأنشد

يا من بدائع حسن صورته	تثني إليه أعنة الحدق
لي منك ما للناس كلهم	نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بأمنهم	وشقيت حين أراك بالفرق

ولم يزل حتى مات وغالب هذا الباب من رواية أبي حمزة عنهم والكل منقول
مكرر انتهى ما أردنا تحريره من أحوال العشاق على اختلاف أحوالهم خاتمة
في ذكر ما عولج به العشق من الدواء وقصد به السلو عن الهوى قد سبق في صدر
الكتاب أنه لا علاج للعشق على الأصح إلا دوام الوصال ما لم يتمكن أو يوقع
في الحبال ومن العلاج استعمال الحساب والخوض في المناظرات ومنه رقوا
وكتابات قيل وجد على قبر لبعض ملوك حمير أو صفحة ذهب مكتوبًا

ما أحسنت سلمى إليك صنيعا	تركت فؤادك بالفراق مروعا

قيل استخبرت كاهنة عن البيت فقالت كانوا يكتبونه مقلوبًا ويسقونه
العاشق فيسلو ومن الشائع بين العرب أن تراب قبر العاشق إذا شرب منه
في خشب الطرفا يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس أحدث السلوة وأخبرني من أثق
به بدمشق سنة [illegible] بالجامع الأموي قال عشق صديق لنا امرأة وازداد ولعه

بها حتى أنفد ما معه وهي تكره التجني عليه وتعرض من حبها حتى آيس من حبائه
وعزم على أن يشرب السم ليموت فشكى ذلك إلى صاحب له فكتب له في كفه
يوم الثلاثاء عشر صادات وأربع عينات وثلاث باءات وخمس هاءات وعشرين
كافًا وأمره أن يلحس ذلك ويكرر الفعل ثلاثًا فكان الله تعالى لم يخلق حبها عنده
ورأيت في كتاب للبوني تسمى خزائن الأسرار في علم الحروف والأسفار أنه من كتب
سورة يس في صحن ومحاها بماء المطر وشرب البعض واغتسل بالبعض سلا
وقيل إن عين البوم اليسار وأظفار الخنافس إذا جعلوا في جلد حمار وحش
وحملوا على العضد الأيسر أحدث السلوة الباب الرابع في ذكر ما سوى البرزخ
وما لقوا في العشق من العبر وهو نوعان الأول في الجنة وما لقوا من المحنة
سند المصنف عن الحافظ ابن حجر عن البلقيني يرفعه إلى البيهقي أنه لما تزوج سعد
ابن أبي وقاص امرأة فرأى عندها على الفراش ثعبانًا فهم بقتله فقالت هذا
كان يتبعني وأنا في بني عذرة عند أهلي فقال له سعد هذه امرأتي تزوجتها
على كتاب الله وسنة نبيه فما تريد منها فانساب حتى دخل مسجد النبي ﷺ وصعد
في السقف فلم ير بعدها ومحكي عن الربيع بنت معوذ بن عفراء من طرق
مختلفة كثيرة حاصلها أن جنيا أتاها في هيئة ثعبان أسود فغلبها فإذا

بكتاب او قال رقا او نحاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من رب الكبرا او قال
من ذرب كعب الى كعب لبس لك على بنات الصالحين او قال على امتي بنت عبدي
الصالح سبيل فقرصها قرصة بقيت الى الموت او قال جعل يده في حلقي
فاسودت واخبرت بذلك عايشة **وحكي** عن رجل انه سافر فجاء جني الى
زوجته في زيه فلما جاء قال له لك ليلة ولي ليلة والا قتلتك فاني
احبها فاتفقا على ذلك فجاءه الجني ليلة فقال انا نسترق السمع بالنوبة وهذه
ليلتي فهل لك ان تكون معي قال نعم فحملني حتى الصق بالسماء فسمع قايلا
يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فوقع وراى افاقي فصرت اقولها
اذا جاء فيذهب الى مضي ولم اره وعندي في هذه بعد لانه كان راكبه
فكيف جاء الى اهله حين سقط الجني في الخراب **واما** حكاية الديك فقد
اورد المصنف بعضها واصل ذلك ان رجلا خرج لحاجة له فراى شخصا
فتحادثا الى ان قربا من القرية فقال الشخص للرجل انا جني وقد صار بيننا
صحبة ولي اليك حاجة فهل تقضيها لي قال نعم قال امض الى بيت فلان
فان عندهم ديكا ابيضا معترا اشتره بما عساه ان يكون واذبحه فقال له
كرامة ولكن انا ايضا لي اليك حاجة فقال وما هي قال تخبرني اذا انتم

الانس

الانس ما الذي يحرجكم فقال له الجني اني مفيدك ذلك بشرط ان تكتمه
فلما وافقه قال له خذ عني من احد من بين عيني حمار وحشي قطعة كالشبر
فجعلها في عضده الشمال ولبس من حافره خاتما لم يقربه جني ابدا فمضى الانسي
واشترى الديك وكان عندهم جارية لم ير اجمل منها فحين ذبح الديك صرعت
فجاؤا اليه وتعلقوا به فقال علي ردها ومضى فصنع لها الخاتم والشبر وحين
دنى بهما منها صاح الجني وقال له او على نفسي علمتك والله ان فارقتها
فلم يلتفت اليه والبسها ذلك فذهب عنها **النوع الثاني** في ذكر من كلف وهو
غير مكلف وا وهن العشق قواه حتى تلف اوكاد ان يتلف قد اسلفت لك
في صدر الكتاب كيفية ارتباط العالمين في التكليف وتداخل اللطيف في
الكثيف واختلاف القوابل والفواعل وقد استعداد كل لصاعد او نازل
وان العشق سر يودعه الله تعالى في الارواح عند صفائها وسهولة انقيادها
ثم يختلف باختلاف البواعث والدواعي وميل النفوس بحسب مرادها
فعلى هذا لا يختص نوعا دون نوع من احد الاجناس كما دلت عليه ادلة
التجربة والقياس غير انه يختلف الرتب كما لا يخفى على ذوي الادب وقد
صح كما سبق ان الانسان افضل الموجودات لعلمه باحكام الاحوال المختلفات

فلذلك كان واسطة نظام هذا الشأن ثم ما يليه الأقرب فالأقرب من أنواع
الحيوان حتى ينتهي القول إلى الأجرام العنصرية وما بينها وبين الطبقات السماوية
وحيث أنهينا الكلام في هذا المقام على ما يتعلق بالإنسان فلنبين كيفية دخول
العشق في باقي أنواع الأعيان فينتظم هذا النوع في خمسة أصناف الصنف الأول
في الطيور وهي ألطف الحيوان عن أجل الانحلال كيفها تخرق الهواء وذهابها فضلا
في نحو الريش فلذلك دخلها الذكر والأنثى حكى الحافظ عن بعض الثقات
أنه تفرد في معبد منقطع فوجد فيه حمامتين بيتين فإذا أبرق الفجر ذهبتا فلا
يأتيان إلى الليل وقد كنت أشهد إحديهما تتخلف فتأتيها الأخرى تقوتها وداما
على ذلك مدة فلما كان يوم من الأيام خرجنا فإذا أبا شيق انقض فأخذ الواحدة
فرأيت الأخرى تتبعه حتى غاب وأيست فعادت إلى البيت وفيه ريش فلقد ٢٩٦
رأيتها تميز ريش المخطوفة حتى جمعته وجعلت تضرب بجناحها الأرض وتمرغ
على الريش وتضرب نفسها حتى نتفت ما أمكنها من ريش نفسها فقدمت لها
أكلا وماء فلم تلتفت إلى شيء فلما طلع الصبح رأيتها ميتة والريش في فمها ورأيت
في كتاب لا أعلم مؤلفه سماه لطائف الأسرار وكيفية جريان الأقدار أن غرابا
كان يأوي إلى حائط فيقيم به فجاء يوما فوجد حية قد استولت على محله فذهب

وأتى بحجر صغير فرماه عليها فماتت فقال من رآه إنه نحيبها وأخذ الحجر فتبعته
فمضى حتى ألقاها في عش خطاف ثم صار يأخذ الماء والأكل فيمضي بهما إلى فراخ
الخطاطيف مدة طويلة فلم أشعر يوما إلا وقد أقبل ومعه اثنان من الخطاطيف
فبانا معه وداما كذلك يوما فبينا أنا يوما إذا بالواحد منهما قد سقط قرب الغراب
فحمله فسقط فحمله عشر مرات فلم يستقر ساعة حتى رأيت الغراب يمزق نفسه حتى
مات فقمت إلى العش فرأيت الخطاف ميتا والآخر إلى جانبه يضطرب فمات
وأنا أنظره قلت ولم أزل أتفكر في هذه الحجر حتى وقفت على خواص الأحجار
فرأيت أن داخل الصين أغوار يسيل الماء فيها فينعقد حجرا إذا ترك مدة وعنك
خيوطا كالحرير تنسج منه أهل تلك البقعة ثيابا إذا اتسخت ألقيت في النار
٢٢٧ فيذهب ما فيها وأنه قيل إذا اتخذ ينفع من اليرقان والحصى وسائر السموم
وأنه يقتل الحيات بمجرد الرؤية وحذاق الحكماء تعمد إلى أعشاش الخطاطيف
فتدهن فراخها بالزعفران فتظن أمهاتها أن اليرقان اعتراها فتمضي إلى أماكن
هذه الأحجار فتأتي بها فتأخذه الحكماء فسبحان من ألهم كل شيء رشده
وفي الكتاب المذكور أن رجلا اشترى زوج بط فلما ذبح الواحد جعل الآخر
يضطرب تحت المكبة حتى رفعت عنه فجاء إلى الدم فلم يزل يتمرغ فيه حتى مات

وقالوا إنّ أوفى الطيور في المحبة القمري والفاختة وإنه إذا مات أحد الزوجين
تغرّب الآخر فلم يأنس حتى يموت وكثيراً ما سمعنا عن نحو البلبل والشحرور الحنين إلى
الغناء والملاهي والأصوات الحسنة وأنّ بعض الطيور نزل على يد بعض الوعاظ
واضطرب حتى مات وحكي عن سفيان أنّ بلبلاً كان لولده وأنه أقام يرعى في
البيت حتى قيل أنه مضى مع الناس يوم موته إلى القبر ورجع واضطرب حتى مات
وأما قصة الزاغ فمشهورة جداً وهي أنّ السعدي قال وجّه إليّ يحيى ابن أكثم
بالمأمونية فدخلت عليه وإذا عن يمينه قمطر مجلّد يعني قفص فقال اكشفه فكشفته
فخرج شخص نصفه الأعلى إنسان والأسفل زاغ فقال لي كلّمه فاستنشدته فأنشد

أنا الزاغ أبو العجوة	أنا ابن الليث واللبوة	أحبّ الراح والراحة	والنشوة والقهوة
فلا عدوة لي تخشى	ولا ترهب لي سطوة	ولي أشياء تظرف	يوم العرس والدعوة
فمنها سلعة في الظهر	لا تسترها الفروة	وأما السلعة الأخرى	فلو كانت لها عروة
	لما شكّ جميع النا	س فيها أنها ركوة	

ثم قال يا كهل أنشدني غزلاً فقال يحيى قد استنشدك فأنشده فأنشدته

أغرّك أن أذنبت ثم تتابعت	ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب
وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي	وقد يصرم الإنسان وهو حبيب

فجعل يقول زاغ زاغ وزال من القفص فقلت ليحيى أصلحك الله أو عاشق أيضاً
ثم سألته عنه فقال لا أعرف منه إلا ما رأيت وقد وجّه به صاحب اليمن إلى أمير
المؤمنين ولم يره بعد ومعه كتاب لم أفضّه أظنّ فيه أمره **الصنف الثاني** في ذكر
ما وقع للحيوان من أمور العشق في اختلاف الأزمان **حكى** الشيخ قدس سرّه أنّ
أعظم الحيوان إدراكاً من ذوات الأربع الخيل وأنها أقرب من غيرها إلى مزاج الإنسان
وقد بسطنا أحوال الحيوانات وما بينها من الاختلاف والاتفاق والقرب والبعد في
كتب الزبرجد وقد قرّرنا الخيل أحسن الحيوانات مزاجاً وإدراكاً حتى أنها لا تنزو على محرم
أبداً **وقد** أُلجئ حصان بأخته مبرقعة فلما نزل عنها انكشف الثوب فعرفها
فجعل يجري حتى ألقى نفسه من جبل شاهق فتقطّع **وفي** لطائف الأسرار أنّ
رجلاً من أصفهان ولدت عنده فرس حصاناً وأخرى أنثى فألفتا فكان
إذا فرّق بين واحدة والأخرى لا تمشي كلّ منهما ولا تأكل ولا تشرب وتصيح حتى
يجتمعا قال وربما كان يطرح الأكل للواحدة قبل الأخرى فلم تذقه حتى يطرح
للأخرى قال وشاهد إحداهما توقع بيدها حنيناً إلى الأخرى وأنّ أحدهما
مرضت فقصدها البيطار فلما رأت الأخرى الدم قطعت الرباط وجاءت
نفسها فيه حتى سقطت ميتة فلما رأتها المقصودة طرحت نفسها عليها فإذا

هي ميتة وحكي فيه ايضا ان ملك الهند بعث الى صاحب القمار بفيل فاحسن
خدمته فلما كان يوم حرب بينه وبين صاحب قندهار وهم يركبون الافيال
يقاتلون على ظهورها خرج بر فجين اصطفوا نظر الفيل الى فيل اخر في ذلك
العسكر فعلم حتى طرح ما عليه واخترق الصفوف حتى جاءه فانطرحا الى الارض
وجعل كل منهما فيطيسته على الاخر وجاء الناس ليفرقوا بينهما فاذا هما ميتان
وفي اللطائف ايضا ان غزالا كان ياوي الى محل في جبل وان شخصا راه يتردد
الى ذلك المحل فتبعه فراى وعلا في غار بيده الم لا يمكنه منه المجي وراى
مع الغزال قطفا من عنب وهو يلقيه في فم الوعل فانصرف عنهما وفيه ايضا
عن شخص بغدادي خرج في بعض اسفاره فبينما هو جالس في القيلولة وقد
بسط سفرة لياكل واذا بكلب اقبل فاخذ رغيفا فقام فتبعه حتى انتهى الى
غار فاذا فيه كلبة قد تعطلت عن الحركة فجعل يكسر الرغيف ويضع في فمها
ويترضاها فتعجب التاجر وانصرف وحكى الحافظ ان ملكا من اقيال اليمن اعتنى
بكلب فكان يلبسه الحرير ويطوقه بالذهب ويجعله معه حيث كان فالفه
الكلب حتى كان اذا غاب عنه لا يستقر في مكان فاعتزله يوما ضعف فخرج
الى الصيد وتركه في المطبخ وكان قد اوصى ان يطبخ له ارز بلبن فجعل الطباخ

اللبن في القدر وخرج لياتي بالارز فخرجت حية من السقف فسقطت في اللبن
والكلب ينظر ولم يدعه حتى تمرت واخشى الطباخ سطوة الملك وقد فاجاه بطلب
الارز وتركه وطلب ان ياكل في المطبخ فحين شرعوا في وضع الطعام جعل الكلب
يصرخ ويضطرب فقال الملك ما له فقالوا لا نعلم فقدم له الطعام فامتنع
وجيء بالارز الى الملك فصاح الكلب واشتد وجده حتى قطع السلسلة وعاجل
الملك قبل ان ياكل فوضع فمه في الطعام فاكل فتفرز جلده لوقته ومات
فضرب الملك الطباخين فاستقرهم فاقروا فعلم ان الكلب فداه بنفسه لمحبته
له فكفنه في حرير وبنى عليه قبة قال الحافظ وهي الى الان باليمن وتسمى
قبة الكلب وحكي عن ابي العيبر انه كان عنده حمار فمات فراه في النوم يخبره
شعرا يقوله فيه انه مات عاشقا فساله المتوكل ما الذي كان من شان حمارك
فقال يا امير المؤمنين كان اعقل من القضاة لم يكن له هفوة ولا زلة فاعتل
على حين غفلة فمات فرايته في النوم فقلت له الم انقي لك الشعير وابرد
لك الماء فما سبب موتك فقال اتذكر اذ وقفت بي على الصيدلاني يعني
العطار فقلت نعم قال مرت اذ ذاك اتان فافتتنت بها ومت فقلت فهل
قلت في ذلك شيئا قال نعم وانشد

هام قلبي بأتان	عند باب الصيدلاني
وبخدٍّ ذي دلالٍ	مثل خدّ الشيقران
تيمتني يوم رحنا	بثناياها الحسان
فبها مت ولو عشت	إذا طال هواني

فقلت له يا ابا معاذ وما الشيقران فقال انا مشغول بما انا فيه وهذا كلام تعرفه
الحمير فاذا اتيتم حمارا او من كان اولا حمارا فاسألوه فضحك المتوكل حتى سقط
وامر له بعشرة الاف درهم وتنسب القصة فيما حكاه صاحب نديم المسامرة الى
بشار فهذا ما اردنا تلخيصه من امور الحيوانات الصنف الثالث في ذكر ما جرى من
القوة العاشقية والمعشوقية بين الانفس النباتية نقل في الاسرار وبه
جزم الحكماء ان اصح النبات واعدله ما جمع امورا تسعة الورق والعود والثمر
والنوى والصمغ والدهن والليف والقشر والاصول وقد كمل في النخل ذلك
فهو اعدل النبات وفي الاخبار انها من طينة آدم عم وورد اكرموا عماتكم النخل
وفي الصحيحين اتعرفون شجرة هي كالرجل المسلم الحديث وفي الفلاحة النبطية
ان النخلة تخاف وتفرح وتعشق نخلة اخرى فقد صح ان النخلة اذا لم تحمل ضرب
في اصلها بفاس ويقول شخص آخر لاي شيء هذا فيقول الضارب دعني
اقطعها فانها لم تحمل فيقول دعها في ضماني العام فان لم تحمل فاقطعها فانها
تحمل وقد جرب وحكي في التقابير لقد زرع شخص اربع نخلات متقابلات

فحسن ثمرهن سنين ثم اصيبت الواحدة فيبست فلم تحمل التي في مقابلتها
وحكي ايضا ان شخصا كان له نخل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل
الانعقاد وربما تثمر وتسقط قبل البلوغ فشكى الى حاذق فجاء حتى نظرها
فقال انها عاشقة ثم دعا برصاص فصنع شريطا وربط منها الى نخلة هناك
فحسن ثمرها في تلك السنة ودامت كذلك وان صاحب البستان قطع
الشريط لينظر فاسقطت الزهر فاعاده فصلحت وذكر بعضهم ذلك في الجريدة
واما ما بين الفلفل والكافور والتين والنفط والزنجبيل والارز ادخنة فاشهر
من ان يحكى وغاية الامر ان يدعى فيه الخواص فيقال ان شدة الائتلاف
بين العاشق والمعشوق من قبيل الخواص الصنف الرابع فيما شعر الاسرار
بين اصناف الاحجار ائتلاف المغناطيس والحديد مما لم يشك في وجوده وهذا
لكثرة وجود المغناطيس والاقليسانوس المنطرقات احجار من الجامدات تجذبهما لمشاكلة
بينها وهذا ظاهر التعليل واغرب منه ما حكي في اختصار الكائنات للمعلم
ان بالبحر دابة كالارنب يتولد في نابها حجر اذا اخذه واشير به الى اللحم او
الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر وفيه ايضا ان شخصا نزل بارض اللؤلؤ
مما يلي جزيرة تلمهرام فوجد الشمس اذا اشرقت على ارضها ترفع منها اشعة

ثم تتراقص احجارها وتضطرب وتجتمع فاذا غربت الشمس افترقت الاحجار
الصنف الخامس فيما شئ من الاسرار الملكية بين الاجسام والاجرام الفلكية و هذا
منتهى الكتاب وسر الوجود وبه ومن حيث بدا الشي عاد عند مفارقة الفساد
اعلم ان الايام والاجرام والبروج والكواكب والاجسام والدوائر منطبعة بعد
التاليف متطابقة التكييف قد تربعت جهة ونجا واقطابا وطبعا و تسعة
قوى وجوانبا ونقصا وزيادة الى غير ذلك فمثالها في الانسان اثنى عشر برج
مخرجا عينان واذنان وفم ومنخران وسرة وثديان وسبيلان قد اقيمت بالبروج
ونفس بالشمس اذ لا تزيد ولا تنقص وعقل بالقمر في قبول الحالتين والخمس
الحواس بالخمس البواقي وهكذا الى درج في العروق والمفاصل بالجوهرات
ولكل خدمة بلسان الشرع ملائكة ولسان الحكمة نفوس وعقول مجردة وفرع
اهل الرياضة والروحانيات والارصاد على ذلك الاستخدام واستنزال الكواكب
وتكليمها والطيران اليها وتحريك الجمادات الى غير ذلك مما بسطناه في كتبنا
وجاربنا فيه اهل كل فن على مقتضى قواعدهم مما لا يليق بهذا المحل و هل
ذلك الا عن قوة عاشقية فليعتبر اولوا الابصار وليتذكر اولوا الالباب فسبحان
من اوجد ذلك واستغنى عنه واثر فيه ومنه لا تغيره الازمان ولا تفنيه الاوقات

ولا

ولا يعجزه اختلاف الاكوان الباب الخامس في تتمات يفتقر اليها الناظر في
هذا الكتاب ويحسن وقعها عند اولي الالباب فلذلك هو للشرع الجامع
لما ذكر في المصارع ويحصر في فصول مختلفة وان كانت في الجنس مؤتلفة
فصل في تحقيق معنى الحسن والجمال وما استطرف في ذلك من الاقوال
الاصل في المحاسن والمطلوب عند العقلاء في كل المواطن انما هو اصلاح
السرائر وتهذيب الضمائر على الاعتدال ويتم الاول لتحسين المقاصد
صلاح العقائد ونشر القلب على عتبات الحق في تلك المواقف مستمرا
بالمراصد للاوامر الالهية وتلقي ما في تلك الصحائف وذلك كما قاله محقق
المعقول ومهذب الفروع والاصول وجامع المراتب الباطنة والظاهرة
وقطب دائرة الكائنات في الدنيا والاخرة ان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد الا وهي القلب وصلاحه استعداده
لقبول ما يجب فعله وترك ما يجب تركه وذلك متعذر الا بعد الاخذ
بالحظ الاوفر من امهات الاخلاق وهي الحكمة والشجاعة والمروة والعدالة
فانها لهذا البدن كالاخلاط للمزاج افراطا واعتدالا وخير الامور سلوك
الاعتدال للسلامة من الافراط والتفريط اللاحقين لكل من هذه كالتهور

والجبن ولازم مما ذكرنا التخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم للخير في ذلك وعدّ قوم العفة اصلاً بدل المروة لانها تندرج في العدالة وبعض المتصوفة جعل التسليم ايضا اصلاً وبالجملة فهذه الخصال الداعية الى حفظ ما به النظام من النفس والعقل والعرض والمال فان التخلق بها محال ان يقع منه قتل او اخذ ما يزيل عقله او زناء او تناول غيرها هو له اهل فهذه اصول السياسة ونظام المدينة وموضع البسطة الحكمية بل ملاك الشريعة المطهرة فهذه الاخلاق لا تجد من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال

واما المحاسن الظاهرة اللائق ذكرها بهذا المحل واليها اشارة [illegible] وفيها غالب النثر والنظم فالعبارات عنها كثيرة والالفاظ فيها غزيرة قال بعضهم الحسن الصريح ما استنطق بالتسبيح او تناسب الخلقة واعتدال البشرة وصفاء المادة او مركب من الوضاءة والتناسب والصباحة وقيل الحسن بياض اللون وسواد الشعر وكل منهما شطره والصباحة كالملاحة والبياض والجمال ما اخذ بالبصر او هو السمن اشتقاقا من اسم الشحم والصحيح انه معنى لا يدرك ويختلف باختلاف الاشخاص ودقة الانظار وصحة التأدي الى الافكار وهذا معنى قولهم الحسن ما زين الزينة

والحسن

واستحسن دونها والى ذلك كله اشرت بقولي

جميلة اوصاف لطيفة منظر ... مليحة عطف طاب منها المغارس
يدق عن الادراك بالوهم حسنها ... وجلت فزلت عن علاها المقايس
منعمة لم تلبس الوشي زينة ... ولكن احبت ان تزان الملابس
غرست بلحظي الورد في وجناتها ... ومن دمي المسفوك تسقى الغرائس
وجئت لاجني ما غرست فصدني ... من الجفن سياف هناك وحارس

فلو لم يكن الحسن في نفس الامر كذلك ولكل ذي نظر فيه ما لك لاختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات ولا بالغ كل في تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده والخلاف انما هو في الالفاظ والمعنى المطلوب واحد كما هو رأي اهل التحقيق من سائر الموارد ومن قول بعضهم

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... وكل الى ذاك الجمال يشير

ولله در اسناد عطر الوجود فيض وجوده واستمدت الكائنات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه في احسن منوال فقال

فكم بين حذاق الجدال تنازع ... وما بين عشاق الجمال تنازع

هذا هو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة فقالوا الحلاوة في

العين والملاحة في الفم والجمال في الانف والظرف في اللسان وقال
اذا حسنت العين فتمامها الدعج والفم تمامه الفلج يعني في الثغر وتمام
طلاوة الجبين البلج وبريق الوجنة الضرج واحسن ما تكون المرأة اذا
طال منها الاطراف والعنق والشعر والقامة وقصر منها العين والاذن واللسان
واليد والرجل والمراد بالقصر المعنوي كعدم الطموح بالعين والكلام والاخذ
شيء فوق الحاجة والخروج من بيتها وابيض منها اللون والفرق والثغر
وبياض العين والمراد بالثغر الاسنان نفسها اما اللثة فقد مدحت العرب
سوادها واسود منها الهدب والعين والحاجب والشعر واحمر منها اللسان
والشفة مع اللعس يعني يسير السواد والخد بتشريب البياض ودق منها
الحاجب والانف والبنان والخصر وضاق منها المنخر والاذن والفم والفرج
وغلظ منها المعصم والعجيزة والفرج والساق واتسع منها الجبين والجبهة
والعين والصدر فهذه اوصاف بها اجماع الحسن اذ كل ما خرج عن ذلك كجعودة
الشعر واستدارة الوجه ونعومة البدن راجع اليها وانما العبارة الكثيرة
عين في الاوصاف واهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلا على اعتدال
المزاج وقال بعض الحكماء من انعم الله تعالى على العبد تحسين خلقه وخلقه

واسمه وقيل وصوته حكي بعض المفسرين في قوله تعالى يزيد في الخلق ما
يعني حسن الصوت وقال سقراط اذا احسن الله وجهك فلا تشنه بقبح الفعال
او قبحه فلا تجمع بين القبيحين وقال صم ان الله تعالى جميل يحب الجمال وكان
يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلبا لاجتلاب القلوب ومن ثم كانت
الانبياء عليهم السلام اكمل الناس لان غاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب استقصاء
موجبه فيهم واوتي يوسف عليه السلام شطر الحسن واما نبينا صم فكمل كماله بالنسبة
الى تحريه بلا الة والى نوره ذبالة فقد اتفق له صم محاسن الاخلاق والشيم وهذا
هو الطلب الذي تكل عنه البصائر ويقصر عنه كل ذي جد خابر تنبيه قد وقع
لهم تشبيه بعض الاعضاء بالحروف كالحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو
والفم بالصاد والميم والثنايا بالسين والطفرة بالشين والقامة بالالف وربما
شبه العين بالصاد وبالفواكه كالخدود بالتفاح والشفة بالعناب والثدي
بالرمان وبالمشمومة كالوجنة بالورد والعين بالنرجس والعذار بالاس و
بالمعادن كالشفة بالعقيق والاسنان باللؤلؤ وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان
ايضا وباشياء مختلفة كالوجه بالبدر والصبح والشعر بالليل ومرسله بالحية
والصدغ بالعقرب والوجنة بالماء والنار والريق بالخمر والثدي والسرة

يحقق العاجز الى عجز ذلك وللشعراء في ذلك على اختلافهم ارادتهم وتخيلاتهم المقدمات الشعرية كلام كثير فمن ابدع ما رايت في التشبيه بالحروف وبعض الاعضاء كلام الاديب الحاذق علاء الدين الشهيني من قصيدة طويلة كلها محاسن اولها

ثم العذار بعارضيه وسلسلا ... وتضمنت تلك المراشف سلسلا
فتم ابلح دمي الحرام محللا ... اذ ماس يخطر في قباه محللا
كتب الجمال على صحيفة خده ... بيراع معناه البهيج ومثلا
فبدا بنوني حاجبيه معرفا ... من فوق صادي مقلتيه واقفلا
ثم استمد فمد اسفل صدغه ... الفا الفت به العذاب الاطولا
فاعجب له اذ هم ينقط نقطة ... في نون حاجبه فجاءت اسفلا
فتحققت في حاء حمرة خده ... خالا فعم هواه قلبي المبتلى
فتما بفاء فتور جيم جفونه ... لا خالفن على هواه العذلا

وللتنوخي من الاسلوب المذكور وقد جمع الحيوان والحروف شعر

ارسل فرعا ولوى هاجري ... صدغا فاعيى بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية ... تسعى وهذي عقرب واقفه
ذي الف ليت لوصل وذي ... واو ولكن ليست العاطفه

غيره لا تقولي لا فمكتوب على ... وجهك المشرق نورا نعم
بحروف خلقت من قدرة ... ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها ... طرفك الفتان والميم الفم

تنبيه اعلم ان الاساليب في هذا الباب دائرة بين التشبيه المجرد وبين جعل الحروف ونحوها من المشبه به في العادة مشبها ومقابله في المحبوب مشبها به وفي كل ذلك اما ان تبقى الاداة او تحذف وفي كل اما ان يرشح المعنى باوصاف تزيده حسنا اولا وارفع الكل جعل ممدوح مشبه به محذوف الاداة مرشح بلطائف الاوصاف وقل بها الكد وعكسه معلوم منه فلحجر الفن العالي

بروحي التي من خلفها حين اقبلت ... على اثر حزن سترالدمع في الخد
قضيبا من الكافور يمطر لؤلؤا ... من النرجس الوضاح في فرش الورد

وسنه وقد زدته على ما يلزمه من التحسين الرد على اهل الاسلوب الاول

شمس الضحى كجبينك الوضاح ... اف لمن جعلوه كالمصباح
يا قدها ما الغصن اولى البلابل مع ... داعي الهوى كالغصن بالارياح
انا فيك سكران الفؤاد معذب ... ابدا وان اظهرت فعل الصاحي
فدع الملام وعذل من لم يتبع ... قول النصيح وخلني يا صاح

ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيه بل اشعر فيه باختلاج المشبه به في العادة الا انه قلت

يهنيك يا قلب من زانك في النحر	ولم تخف ثم من واش ولا ضرر
حسناء لو لم تغب عن نور طلعتها	شمس الضحى ما بدت يوما على البشر
ووجهها الوضاء البدر واحتجبت	عنه الذكا لم تخف نقصا على القمر

فصل في خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين اعلم ان مدار تلون البدن اما على صفاء الخلط او شدة الحرارة او ما تركب منهما والاول يلزم حالة واحدة اما البياض في البلغم او الحمرة في الدم او الصفرة في الصفراء او السواد في السوداء وما تركب بحسبه مع مراعاة الطوارئ كقرب الشمس او جبل و هذا البحث هو المعروف عند الاطباء بالالوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثاني يلزم الثمرة وان غلب البلغم واما الثالث فهو الذي تناط به امثال هذه الاحكام وحاصل القول فيه ان الجلد شفاف يحكي ما تحته وان الباعث اليه من الاخلاط هو الحرارة فهي كالنار ان اشتدت صعدت ما الاهوية وموضعها القلب ومحركاتها مختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وغيرها اما الى داخل دفعة او تدريجا او الى خارج كذلك او اليهما وموضع بسطه الحكمة والذي يخصنا من ذلك هنا ان نقول ان سلطان المحبة والعشق في العشق

على العاشق اعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطاني حتى قال بعض الحكماء لكل مرتبة من مراتب المحبة حد الا محبة العشق فلا حد لها وقال بعضهم ان تعلق روح العاشق ببدنه تعلق النار بالشمعة الا انه لا يطفيها كل هواء اذا تقرر هذا ورجع الى ما قررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لان الانسان بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة الى الخارج ليوثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة من خوف واش وسرعة تربق الياس الموجب لانخماد الحرارة او جذبها الى داخل الموجب لصفرة اللون او المفاجاة ومن ثم اذا امن ذلك لم يقع تغير

فلا تحسبن كل اجتماع مغيرا	فان اجتماع بالامان اماني

اما حمرة المعشوق فهي اما حياء واما خجل وكل منهما باعث للحرارة الى الخارج وبهجته احمرار الالوان وصفاؤها وافضل الالوان الاحمر الصافي في الكل مطلقا حتى في الثياب كالحلل والمذهب والثمر كالورد والشقيق والحيوان كالخيل والمعادن كالذهب والياقوت الى غير ذلك واحب ما يكون اليهم منه ما كان في الوجنات والشفاه قال ابو نواس

يا قمرا ابصرت في ماتم	يندب شجوا بين اتراب

يبكي فيذري الدرّ من نرجس ... ويلطم الورد بعنّاب

وأمّا وصفهم الموت بالأحمر والدمع الناشئ عن شدّة الحرقة بالحمرة فليس طعناً فيه بل مدح لأنّهم أرادوا أنّه من المطالب التي لا تنال إلا بالمشاق والصعوبة

ومن ألطف ما وصف الدمع الأحمر عماد الدين بقوله

أرى العقد في ثغره محكماً ... يرينا الصحاح من الجوهري
ومنثور دمعي غدا أحمراً ... على آس عارضك الأخضر
وجملة ذا الحسن إيضاحها ... رويناه عن وجهك الأزهري
وبعت رشادي بيع الهوان ... لأجلك يا طلعة المشتري

ومن ألطف ما يعجبني في وصف المعشوق بالأحمر أو العاشق بالأصفر قول ابن أبي حجلة

يصفرّ وجهي حين أنظر وجهه ... خوفاً ويدركه الحياء فيخجل
فكأنّ ما بخدوده من حمرة ... ظلّت إليها من دمي تتنقّل

وقال بعض المتأدّبين لم يقع في هذا المعنى ألطف من البيتين المنسوبين إلى ابن البلبل وهما

وحمراء قبل المزج صفراء بعده ... أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلّطوا ... عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

قيل أنشدهما لابن دريد في النوم فاعترضه بأنّهما من اللفظ والنثر المشوب

فقال له وما هذه المشاححة في مثل هذا الوقت يا بغيض **تنبيه** قد تنوّع الناس في هذا البحث فخرجوا منه إلى التفضيل بين السمر والبيض وخاضوا بسبب ذلك في كلام طويل عريض فمن قائل بتفضيل السمر مطلقاً وقوم البيض وآخرون فصّلوا فقالوا إنّ كلّاً ميلاً إلى عكس لونه وهذا تحكّم حكم على الطبائع والأمزجة بلا دليل والصحيح أنّ الميل إمّا بداعية الشهوة أو النفع ولا ضبط للأوّل لاختلافه كالأشخاص وأمّا الثاني فالقول فيه إمّا بحسب معتدل المزاج فالروميّات حينئذ في نحو الحجاز أنفع كما أنّ الحبشيّات في نحو الروم أجود لأنّ حرارة الأبدان تختبي في الأغوار من البرد وبالعكس وأمّا المرضى فالسود للمبرودين أجود والبيض للمحرورين وعندي أنّ عكس هذا أجود لما سمعت من التعليل والصحيح أنّ الحبشة ألطف من عداهم مزاجاً وأوفق بشرة وأعدل حرارة فلذلك هنّ أوفق مطلقاً ولكنّهنّ في معرض التغيير وموضع التحقيق ذلك في الطبيعيّات وأمّا الحكم على المصريّين بأنّهم إلى السمر أميل فمن قبيل ما قدّمناه من التحكّم ومن ألطف الأشعار المقولة في ذلك قول ابن الجهم

وعائب للسمر من جهله ... مفضّل للبيض ذي محك
قولوا له عنّي أما تستحي ... من جعل الكافور كالمسك

وقال ابو جعفر الشطرنجي

اشبهك المسك واشبهته … قائمة في لونه قاعدة
لا شك إذ لونكما واحد … انكما من طينة واحدة

وقلت في ذلك

ارى السمر ابهى منظرا عند عارف … واشرف مطلوب سما في المطالب
فقل للذي قد فضّل البيض جاهلاً … رويدك لا ترغب لغير مناسب
فكم بين قيراط من المسك قيمة … وقنطار ثلج بارد من مراتب

وقلت في عكسه

بيضاء تجلو الهم عن ناظر … بعين حق لا بعين انتقاص
فقل لمن يرغب في اسمر … ما الفضة البيضاء مثل الرصاص

وإذا احكمت ما قررته من اصفرار الالوان علمت ان خفقان القلب عند الاجتماع او الرؤية لا يتم ذلك الا لنا وقد لهج الشعراء بالاصفرار عن ذلك فمن الطف ما قال الوداعي

يقول لي حين وافى … قد نلت ما ترتجيه
فما لقلبك قد جا … بخفقة تعتريه
فقلت وصلك عرس … والقلب يرقص فيه

والطف منه قول البهاء زهير

لا تنكروا خفقانا قلبي والحبيب لدي حاضر … ما القلب الا داره دقت له فيها البشائر

[illegible]

وتظرّف ابن عنان بزيادة ظرافة على الاصفرار عن الخفقان حيث قال

ان كان لا بد من رقاد … فاطلبي هاك عن وسادي
ونم على خفقها هدوا … كالطفل في هزة المهاد

وكثيرا ما تتبعت كلامهم فلم ار من جمع بين الاصفرار عن تغير اللون والخفقان فقلت في ذلك

قالت اراك اذا عاينتني وجلا … عديم لون بهيج كنت تملكه
والقلب منك خفوق لا يسكنه … شيء فيا ليت شعري ما يحركه
فقلت لم تدر ان الشمس ان جمعت … بالبدر بعد تمام النور تهلكه
والطير ان الف الغصن الرطيب وقد … مادت به الريح هل يخفى تحركه

وفي الابيات مع ما ذكر وصفها بالشمس ثم جعلها غصنا يميل مع الهواء والقلب طائر عليه وكل ذلك زيادة على المطلوب واما وصف خفقان القلب من غير نظر الى اعتبار غيره فكثير قال ابن سناء الملك

اما والله لولا خوف سخطك … لهان علي ما القى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا … وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقال معين الدين

لم انسه اذ قال ابن تحيلني … حذرا علي من الخيال الطارق

فاجبت في قلبي فقال تعجبا ... ارايت عمرك ساكنا في خافق
حتى اذا امالك به سنة الكرى ... زحزحته شيئا وكان معانقي
ابعدته من اظلع تشتاقه ... كي لا ينام على وساد خافق

نقل انه لو قال باعد عنه اظالعا لكان اولى **فصل** في ذكر ارباب الغيرة وما يتوقع بالحبيب من الحيرة • وهي باعثة نفسية مادتها المروة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعي والاشخاص والحمى منها ما كان واقعا عند مشاهدة نقص في ناموس الهي وحكم ديني ونمط شرعي فتبعث المنافرة في الدين والمروة على اصلاح ما نقص باليد ان امكن ثم القلب وهذا هو الذي ترجم الناس بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم توسع الناس فيها فاضافوا اليها سوء الظن فوقعوا بذلك في مفاسد كثيرة كنهي بعض جهلة المتصوفة عن ذكر الله تعالى غيرة عليه والحج والصلوة وغير ذلك مدعيا انه ليس باهل لها وقتل بعض العشاق من يتوهم منه ميلا الى محبوبه بل نفسه بل معشوقه ولهم فيها كلام كثير في حد الشيء فبعضهم يغار من السواك والتريز والثوب وامثال ذلك غير اني لم ار من غاص على لطائف هذا المعنى وتطرق في هذا المبنى الطف من بهاء الدين زهير حيث غار من التلفظ بالحروف التي في اسم محبوبه فلله دره

من غايص على نقائص الجواهر الفكرية ومخرجا لها من بحور الاذهان الى نحور الالفاظ الرشيقة وذلك قوله

وانزه اسمك ان تمر حروفه ... من غيرتي بمسامع الجلاس
فاقول بعض الناس عنك كناية ... خوف الوشاة وانت كل الناس

الا انه فيه بحسب ما يظهر هنا شيء فان ظاهر كلامه انه يجوز التلفظ باسمها من غيره في نفسه بمسامع الجلاس وذلك غير جيد وادق منه واسلم وان كان هذا ابهم قول يزيد ابن معوية

الا فامل لي كاسات خمر وغن لي ... بذكر سليمى والرباب وتنعم
واياك ذكر العامرية انني ... اخاف عليها من فم المتكلم
اغار على اعطافها من ثيابها ... اذا البستها فوق جسم منعم
واحسد كاسات تقبل ثغرها ... اذا اوضعتها موضع اللثم في الفم

ومن لطيف كلام ابن ابي الحديد في المعنى

فيا رب بغضها الى كل صاحب ... سواي وقبحها الى كل ناظر
وبغض اليها الناس غيري كما ارى ... قبيحا سواها كل باد وحاضر

ومما ينسب الى قيس • ارى الازار على ليلى فاحسده ... ان الازار على ما ضم محسود

وقال ابو تمام • بنفسي من اغار عليه مني ... وتحسد مقلتي نظري اليه
ولو اني قدرت طمست عنه ... عيون الناس من حذري عليه

حبيبٌ بثّ في قلبي هواه … وآنسك مهجتي دهنا لديه
فروحي عنده والجسم خالٍ … بلا روح وقلبي في يديه

ومما سنح لي في ذلك

نظرت اليها والسواك قد ارتوى … بريق عليه الطرف مني باكي
تردّده من فوق درٍّ منضّدٍ … سناه لانوار البروق يحاكي
فقلت وقلبي قد تفطّر غيرةً … ايا ليتني قد كنت عود اراكِ
فقالت اما ترضى السواك اجيبها … وحقّك ما لي حاجة بسواكِ

فصل في احكام اسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الاحبة قد اختلفت آراء العشاق وتشعبت مرادات الحذّاق فمن ذاهبٍ الى ان الافضل خزن الاسرار ورأى ان ذلك من فعل الاحرار ومن قائلٍ ان افشاءها يبرّد القلب ويزيل الكرب ومن قائلٍ بالتفصيل وان الاذاعة الى الحبيب مطلوبة اذ هو الطبيب وكتم العلة عنه تعذيب واما الاباحة لغيره فغير جائزة في مذهب المحبين وفاعلها ممقوتٌ من اكبر المذنبين وهذا الطريق قد ادّعى في ديوان الصبابة انه الكاشف عن وجهه نقابه ولا والله ما له فيه ذرّة ولم يكن ارتضع من هذا اللقح درّة وسابيّنه عما نستنتج هذه الا

المرتبة ودون هذه المذاهب الحبرة اعلم ان الطرق الثلاث موجودة في كلام صاحب النفحات القدسية والالطاف الربانية سيدي عمر ابن الفارض فمن كلامه في المذهب الاول وهو الحقيق بالنصرة وعليه المعوّل قوله

وللحبّ اقوامٌ كرامٌ نفوسهم … منزّهةٌ عما سوى الحبّ بالخلي
اذا اودعوا اسرارًا رأيت صدورهم … قبورًا للاسرار تنزّه عن نقلِ

ومن قوله في المذهب الثاني

وابثثتها ما بي ولم يك حاضري … رقيبٌ بغى سترى بجلوة خلوتي

ومن قوله في المذهب الثالث

ويحسن اظهار التجلّد للعدى … ويقبح غير العجز عند الاحبة

وقد لهج الناس بهذه الطرق فمن قول بعضهم في المذهب الاول

باح مجنون عامرٍ بهواه … وكتمت الهوى فمتّ بوجدي
فاذا كان في القيامة نودي … من قتيل الهوى تقدّمت وحدي

واما كلام السهروردي فكانه وقف من كلام الطريق او تردد وحبله عاشق هو

وارحمتا للعاشقين تحمّلوا … سرّ المحبة والهوى فضّاح
بالسرّ ان باحوا تباح دماؤهم … وكذا دماء العاشقين تباح

وَاِذَا هُمُ كَتَمُوا تَحَدَّثَ عَنْهُمُ … عِنْدَ الوُشَاةِ المَدْمَعُ السَّفَّاحُ

وَلِلْوَاثِق فِي المَذْهَبِ الثَّانِي

ظَهَرَ الهَوَى وَتَهَتَّكَتْ اَسْتَارُهُ … وَالحُبُّ خَيْرُ سَبِيلِهِ اِظْهَارُهُ

فَاعْصِ العَوَاذِلَ فِي هَوَاكَ مُجَاهِرًا … فَالذُّ عَيْشِ المُسْتَهَامِ جِهَارُهُ

وَلِبَعْضِهِم فِيهِ

فَبُحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الكُنَى … فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ

وَلِبَعْضِهِم فِي المَذْهَبِ الثَّالِثِ

يَا مُوقِدَ النَّارِ اِلْهَابًا عَلَى كَبِدِي … اِلَيْكَ اَشْكُو الَّذِي بِي لَا اِلَى اَحَدِ

اِلَيْكَ اَشْكُو الَّذِي بِي مِنْ هَوَاكَ فَقَدْ … طَلَبْتُ غَيْرَكَ لِلشَّكْوَى فَلَمْ اَجِدِ

وَمِنْ ظَرِيفِ قَوْلِ بَعْضِهِم

وَقَائِلَةٍ مَا بَالُ جِسْمِكَ لَا يُرَى … سَقِيمًا وَاَجْسَامُ المُحِبِّينَ تَسْقَمُ

فَقُلْتُ لَهَا قَلْبِي بِحُبِّكِ لَمْ يَبُحْ … لِجِسْمِي فَجِسْمِي بِالهَوَى لَيْسَ يَعْلَمُ

وَلِلْمَعَرِّي فِي نُصْرَةِ الاَوَّلِ

فَظُنَّ بِسَائِرِ الاِخْوَانِ شَرًّا … وَلَا تَأْمَنْ عَلَى سِرٍّ فُؤَادَا

وَالطَفُ مِنْهُ قَوْلُ اَبِي جَعْفَرٍ الشَّطْرَنْجِي

فَلَا تُخْبِرْ بِسِرِّكَ بَلْ اَمِنْهُ … وَصَيِّرْ مِنْ حَشَاكَ لَهُ حِجَابَا

فَلَا اَوْدَعْتَ مِثْلَ النَّفْسِ سِرًّا … وَلَا اَغْلَقْتَ مِثْلَ الصَّدْرِ بَابَا

وَادَقُّ مِنْهُ قَوْلُ بَعْضِهِم

وَمُسْتَوْدِعِي سِرًّا تَضَمَّنْتُ سِتْرَهُ … فَاَوْدَعْتُهُ مِنْ مُسْتَقَرِّ الحَشَا قَبْرَا

وَمَا السِّرُّ فِي قَلْبِي كَمَيْتٍ بِحُفْرَةٍ … لِاَنِّي اَرَى المَدْفُونَ يَنْتَظِرُ الحَشْرَا

وَلَكِنَّنِي اُخْفِيهِ حَتَّى كَاَنَّهُ … مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا مَا اَحَطْتُ بِهِ خُبْرَا

وَلِبَعْضِهِم يَا ذَا الَّذِي اَوْدَعَنِي سِرَّهُ … لَا تَرْجُ اَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي

لَمْ اُجْرِهِ بَعْدَكَ فِي خَاطِرِي … كَاَنَّهُ مَا مَرَّ فِي اُذْنِي

وَاَمْثَالُهُ مِنْ اَكْبَرِ الدَّوَالِّ عَلَى اَنَّ المَذْهَبَ الاَوَّلَ هُوَ الصَّحِيحُ المُعْتَبَرُ وَبِالجُمْلَةِ فَاِفْشَاءُ السِّرِّ بَلَاءٌ عَظِيمٌ وَمَزَلَّةٌ لَا يَرْتَضِيهَا عَاقِلٌ وَاَغْرَبُ بَعْضُهُم فَفَسَّرَ قَوْلَ بَعْضِهِم وَكُلُّ حَدِيثٍ جَاوَزَ الاِثْنَيْنِ شَائِعُ اَنَّ المُرَادَ بِالاِثْنَيْنِ الشَّفَتَيْنِ

وَقُلْتُ لَقَدْ اَوْدَعَتْنِي سِرَّهَا فَكَتَمْتُهُ … وَلَوْلَا الهَوَى مَا غَيَّرَ البُعْدُ خَاطِرِي

وَلَكِنْ جَوَى الكِتْمَانِ ضَعْضَعَ مُهْجَتِي … وَقَطَّرَهَا دَمْعًا جَرَى مِنْ مَحَاجِرِي

فَشَفَّ لِطُولِ السُّقْمِ جِسْمِي عَنِ الَّذِي … كَتَمْتُ فَاَبْدَتْهُ هُنَاكَ سَرَائِرِي

فَنَمَّ بِهِ الوَاشُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا … فَصَدَّتْ وَقَالَتْ لَا وَفَاءَ لِغَادِرِ

فقلت وقد ضاقت هناك مذاهبي ومن كان قدما عاذلي صار عاذري
فمن شافعي يوما اليها وما لكي هواها وعن سري يحدث ظاهري
ولغيره يا معشر العشاق اوصيكم بكتم اسرار الهوى والغرام
الا مع المحبوب في خلوة فان كتم السر عندي حرام
ومنه بوصلك والود الذي كان بيننا حلفت ولا والله ما انا غادر
لانت اعز الناس عندي وسره بقلبي باق يوم تبلى السرائر
فان لم يحل لي الدهر منك بخلوة ففي الحشر تشكوه اليك الضمائر

فصل في ذكر المعاطفة والاستعطاف • واستجداء ما صد للمحبوب من الاعراض
وهو عبارة عن احتيال بلطافة على المحبوب • يبلغ من احكمه غاية المطلوب
موضوعه عود الالفة بعد النفور • ومادته اقيسة شعرية غالبها الزور • وغايته
الوصول الى المطلوب • واستمالة قلب المحبوب • والطف ما قيل لابن الاحنف

كان لم يكن بيني وبينكم هوى ولم يك موصولا بحبلكم حبلي
واني لاستحيي لكم من محدث يحدث عنكم بالملالة والمطل
وقال اتنسب لي ذنبا ولم آت مذنبا وحملتني في الحب ما لا اطيقه
وما طلبي للوصل حرصا على البقا ولكنه اجر اليك اسوقه

ابن ابي

وقال ابن ابي حجلة

لم اطلب الوصل من اجل فديتك يا من زاد قلبي سوادا منه شامات
لكن خشيت بان تبلى بحب رشا يقتص لي منك والدنيا مكافات
جميل وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا سوى ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون انت حبيبة الي وان لم تصف منك الخلائق

وقال ابن سناء الملك

وغانية لم تعد عشرين حجة اقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا لانك في العشرين وهي نصاب
بعضهم قم بنا يا نوصيني نجعل الشك يقينا فلكم يا حبيبي يأثم القائل فينا
وقلت تملكت اوصاف المحاسن والبها وزينت ارباب اللطافة والعقل
فقد اعجز الحساد شيء تقوله رموك باوصاف القطيعة والبخل
فلا تثبتني بالهجر زور كلامهم ولكن صليني وابطلي الزور بالنقل
ولا تمطلي بالوعد قلبا معذبا وان صح ان الشيء يعذب بالمطل

فصل في ذكر الرسل والرسائل • وتلطف الاحباب بالوسائل • وهو باب
قد لهج به لسان كل عاشق • وترجمة كل ذائق • وموضوعه الاستعطاف بالانصاف

وما دنّ زخرفة القول وغايته طلب الائتلاف ومن ألطف ما وقع فيه كلام الواوا الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني ... فعاتباه لعل العتب يعطفه
وحادثاه وقولا في حديثكما ... ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فإن تبسم قولا في ملاطفة ... ما ضرّ لو بوصال منك تسعفه
وإن بدا لكما في وجهه غضب ... فغالطاه وقولا ليس نعرفه

آخر ألا يا نسيم الريح بلّغ رسالتي ... سليمى وعرّض بي كأنك مازح
فإن أعرضت عني فقوه مغالطا ... بغيري وقل ناحت بذاك النوائح

آخر شكر النسيم أرضكم كم قد أطال في رسالتي الركبه ... لا غرو إن حفظت لها أيّ تلك الهوى فيها الذكه

وهو مأخوذ من كلام الصلاح الصفدي

يا طيب نشر هبّت لي من أرضكم ... وآثاركا من لوعتي وتهتّكي
أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم ... ورووى شذاكم إن ذا لريح ذكي

ويجب اختيار الرسول ذا عفة وصيانة ومروءة وديانة لئلا ينقلب عند هذا المحبوب عاشقا ويخلص من سلطان المحبة والمطلوب أن يكون بالحجة ناطقا وللعشاق في هذا المساق كلام لا تحصره الأوراق قال ابن سناء الملك

راح رسولا فجاءني عاشق ... وعاقه عن رسالتي عائق

فعاد لي بالجواب يحوي ... أخرسه والهوى به ناطق

آخر راح الرسول إليه وهو مفنّد ... رجع الرسول إليّ وهو متيّم

وما ألطف قول الأرجاني في هذا المعنى

قسمًا لقد رجع النسيم عليلا ... لما سرى مني إليك رسولا
ودرى بحبك أنه قد خانني ... فغدا بجرّ من الحياء ذيولا

ومن اللطف ما وقع في الرسائل من النكت العجيبة والطرف الغريبة التي تنبئ عن فرط الذكاء الذي يغلب نوره على ذكاء أن الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين افتتن بقينة حتى تملك حبها قلبه فعلم أبوه فمنعه عنها فأهدت إليه مع خادم كرة من عنبر مجوفة في داخلها زر من ذهب فلم يدر ما أريد بذلك

فأطلع سره إلى القاضي الفاضل فقال

أهدت لك العنبر في وسطه ... زر من التبر رقيق الختام
فالزر في العنبر معناهما ... زر هكذا مستترا في الظلام

وقلت رسولي تلطف واجر ذكري لها ... فإن رأيت الرضا في وجهها فابسط الشكوى
وإن أعرضت فاطو الذي قد نشرته ... ودعني بنيران الهوى والجوى أكوى
فقد صرت أرضى كلما ترتضي به ... فاشتغلت بالتعذيب في السر والنجوى

فعاد رسولي بعد عقل وحكمة   باضعاف ما عندي من العشق والبلوى
فلم ارض ارسال النسيم لانه   من النوء في التدبير من سائر الادوا
فخفت عليه عشقها ان يعله   فاحمل وجدا لست في حمله اقوى

ومثله ان رجلا دعى محبوبته الى النزهة فارسل اليها بمروحة وباقة نرجس وسكر
نبات وشرابة وعود فارسلت اليه بخيط احمر وصبارة وثلاث كونات سود وعا
وزر وفي ذلك من لطيف الاشارة ما تدق عنه الافهام فانه اراد بالمروحة الروح
وبالنرجس الى الزهر وبالسكر النبات نبات ليلة وبالشرابة شرب وبالعود الغنا والا
بالخيط الاحمر انها حائض وبالصبارة ان يصبر وبالثلاث كونات ثلاث ليالي وبالغاسول الاغتسال
وبالزر الزيارة بعد ذلك **فصل** في الاحتيال على طيف الخيال وهو امر مهم
عند اهل الغرام يتوسل اليه بالمنام وانما تدعو الحاجة اليه عند طول الهجر وشدة
الضجر ومقاساة نار الملل والنهر ولم ار فيه الطف من كلام استاذ الوجود وقطب
مراتب اهل الشهود سيدي عمر ابن الفارض حيث يقول

نصبت على عيني لتحصيل غمضها   لزورة زور الطيف حيلة محتال
فما اسعفت بالغمض لكن تعسفت   علي بدمع دائم الصوب هطال

ولطف ابن نباتة في اخذه فقال

ومنهم

واقسم لو جاد الخيال بزورة   لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

وتظرف ابن الستروجي بقوله

انعم بوصلك لي فهذا وقته   يكفي من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمري في هواك وليتني   اعطى وصولا بالذي انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره   وسلوت كل الناس حين عشقته
انت الذي جمع المحاسن وجهه   لكن عليه تصبري فرقته
قال العواذل يدعي بك نسبة   فرزت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عني قل لهم   عبدي ومملوكي وما اعتقته
او قيل مشتاق اليك فقل لهم   ادري بذا وانا الذي شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارني   من فرحتي بلقاه ما حققته
فمضى وفي قلبي عليه حسرة   لو كان يمكنني الرقاد لحقته

ومن المكثرين من ذكر الخيال حتى ضرب به المثل البحتري ومن قوله فيه

ولم انس اسعاف الكرى بدنوها   وزورتها بعد الهدو ولم تدري
اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة   تشتتنا بتاثير الصباح الى الفجر

وقوله

وليل هوينا اذ العيش اقبلت   بطيف خيال يشبه الحق باطله

فلولا بياض الصبح طال تشبثي / بعطفي غزال بت وهنا أغازله

فكم من يد لليل عندي جميلة / وللصبح من خطب تذم هو آئله

وقال ابن عبد الصمد

فواصل النوم بيننا بعد هجر / فاجتمعنا ونحن مفترقان

غير أن الأرواح خاف رقيبا / فطوت سرها عن الأبدان

منظر كان لذة القلب إلا / أنه منظر بغير عيان

وقال ابن القطان

زار الخيال بخيلا مثل مرسله / فما شفاني منه الضم والقبل

ما زارني قط إلا كي يوافقني / على الرقاد فينفيه ويرتحل

وقد أنشدهما يوما عند الوزير الزينبي وادعى أنه لا يمكن تذييلهما فأنشد الحيص بيص بديها

وما درى أن نومي حيلة نصبت / لطيفه حين أعيى اليقظة الحيل

وقال ابن العقيب

يا حبذا طيفك من قادم / يا أحسن العالم في العالم

طيف تجلى نوره ساطعا / حتى رأته مقلة النائم

يا غارما يحكم في مهجتي / علي طالت غيبة الحاكم

غار على حسنك أن يشتكي / حظي منه إنه ظالمي

ولحسن كشاجم حيث قال

لقد بخلت حتى بطيف خيالها / علي وقالت رحمة لتحيبي

أخاف على طيفي إذا جاء طارقا / وسادك أن يلقاه طيف رقيبي

آخر وزارني طيف من أهوى على حذر / من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا

فكدت أوقظ من حولي به فرحا / وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا

ثم انتبهت وآمالي تخيل لي / نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

آخر أبصرته في المنام معتذرا / إلي مما جناه يقظانا

ولان حتى إذا هممت به / انتبهت عند الصباح لا كانا

ثم تشعبت آراؤهم في التفنن في الخيال فمنهم من رده ملالا أو ضجرا أو نسبه ذكر
هذا ما سبق من حمله الضجر على ترك عز هجر فمنهم طرفة ويقال أنه أول من
الخيال وفي ديوان الصبابة أن أول من ذكره عمرو بن قميئة وأن طرفة أول من طرده فقال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب / إليها فإني واصل حبل من وصل

وتلاه جرير فقال

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا / وقت الزيارة فارجعي بسلام

و ومنهم من اعتذر عن عدم بعث الخيال بقوله

سامحت كتبك في القطيعة عالماً	ان الصحيفة اعوزت عن حائل
وعذرت طيفك في الجفاء لانه	يسري فيصبح دوننا بمراحل

٢٦٠...

ومنهم من ذم النوم في قالب الاعتذار عن طيف الخيال كانه يقول ان المنغصات في الدنيا لا تنفك عن الانسان حتى في النوم الا ترى انه من يحلم بمحبوبه او شيء من مطلوبه ينتبه فلم يرَ الا الاسف والقلق وزيادة الحرق وان حلم بانه لحقه اوضرب راى ذلك من الصباح وكان خيال المحبوب من فلم يأتي النوم بهجرنا على عوان الزمان في الابتا بغير الملائم للانسان وما احسن قول المتنبي

ولحسب اني لو هويت فراقكم	لفارقكم والدهر اخبث صاحب
فياليت ما بيني وبين احبتي	من البعد ما بيني وبين المصائب

فمن ذم المنام والرؤية فيه قول بعضهم

ارى في منامي كل شيء يسوءني	ورؤياي بعد النوم ادهى وافجع
فان كان خيراً كان اضغاث حالم	وان كان شراً جاءني قبل اصبح

المعري

الى الله اشكو انني كل ليلة	اذا نمت لم اعدم خواطر اوهام
فان كان شراً فهو لاشك واقع	وان كان خيراً فهو اضغاث احلام

وقال الاحنف العكبري

واحلم في المنام بكل خير	واصبح لا اراه ولا يراني
ولو ابصرت شراً في منامي	لوافى الشر من قبل الاذان

ومنهم من تطرق فوصف المنام والبرق لابن المعتز

الم الخيال بلا حمده	وابدلني الوصل من صده	وكم نومت لي فواده	اتت بالحبيب على بعده

اخر تركت هجا ابليس ثم مدحته	وذاك لامر عز عندي سلوكه
بقرب من اهواه حينا فان ابى	حكاه خيالاً في الكرى فانيكه

فصل في احكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار وتمني طول زمن الوصل والرضا وقصر الهجر وقطعه اسرع من الفضا وما تعبت في ذلك العشاق وذهبوا كل مذهب على اختلاف الاذواق فمما قاله محسنهم

بالليل طال ولا اطال	لا ابكلي ان اسهرك	لو بات عندي قمري	ما بت ارعى قمرك
اخر بالظلا اليل	لحبشي حين معن	لو كان لليل صبح	بعين كان تنفس

وقال ابن منقذ

لما رايت النجم ساه طرفه	والقطب قد القى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد حواسراً	ايقنت ان صباحهم قد ماتا

لغيره
وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها … وهجره النار يصليني به النارا
فالشمس بالقوس امست وهي نازلة … ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

وحكي ان محمدا سئل عن معنى هذين فقال هذا راجع الى النجوم وقام مستحيا على نفسه ان لا يجلس في حلقته حتى ينظر في النجوم وقال بعضهم في قصر ليل الوصال

يا ليلة كاد من تقاصرها … يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال بعضهم وقد جمع وصف الزمانين

عهدي بنا ورداء الوصل يجمعنا … والليل اطوله كاللمح بالبصر
واليوم ليلي مذ بانوا فديتهم … ليل الضرير فصبحي غير منتظر

وقال ابن المعارية

لقد ساعدتني عيون النجوم … وقد نمن عني عيون الملاح
اذا ما شكى الليل هجر الصباح … شكوت الى الله هجر الصباح

وقال الارجاني

لا اذعي جور الزمان ولا ارى … ليلا يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح تنفست … بالهم اصدى وجهها المصقولا

وقال المتنبي

كم زورة

كم زورة لك في الاعراب خافية … ادهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي … وانثني وبياض الصبح يغري بي

وقال ابن رشيق

انما الليل طل بغير جناح … ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه … بان عني نور الوجوه الصباح

وانما اكثروا من ذم الليل دون غيره لانه محل سكون الحواس وهدو الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعب فتنجلب الافكار الخفية فيما مضى وما هو آت واما النهار فالاركان فيه منتشرة والشواغل مستكثرة فهو محل الاستغراق وقلة الاعتلاق ومحل التسلية للاشواق اللهم الا شخص قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شي ولا يثنيه مراده **فصل** في ذكرهما ا على السنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذي اوقعه في الفضول و كيف ادخل نفسه بين الاحباب حتى انتقم منه اهل الاداب فوجهوا اليه سنان اللسان والاقلام فاثخن طعنا بكل نثر ونظام فقد قيل ليس من العدل كثرة العذل ومن تكلم بما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن لم يمسك عن ما استغنى عنه من الكلام فهو احق بالملام وليس في هذا الباب الطف من كلام

سيدي عمر ابن الفارض حيث يقول

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى … فإذا عشقت فبعد ذلك عنف

وقال بعضهم

يا عاذلي في هواه … إذا بدا كيف أسلو
يمر بي كل يوم … وكلما مر يحلو

وقال الشيخ جمال الدين ابن نباتة

يا من إذا باعت الأبصار أسودها … بحبة فوق خديه فقد ربحت
يبغي العذول تبرجا أسر به … فليت عذال حبي فيك ما برحت

وقال ابن العفيف التلمساني

أسرفت في العذل ولم تقتصر … وزدت في عذلك يا ذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها … وإنما المولى كثير الفضول

وقال بعضهم

بدا قمر اللاحي وجاء يلومني … وزخرف لي زور الكلام بمينه
وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه … فقلت له هذا الفضول بعينه

وأنشدني ابن وكيع وقد عشق غلاما نصرانيا فلامه عليه صاحبه فرمهما

المعشوق ولم يدر العاذل أنه هو فقال له لو عشقت هذا ما لمتك عليه

أبصره عاذلي عليه … ولم يكن قبلها رآه
فقال لي لو عشقت هذا … ما لامك الناس في هواه
فظل من حيث ليس يدري … يأمر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ بحماة

زعموا أنني هويت سواكم … كذبوا ما عرفت إلا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي … فسلوه إن كان قلبي سلاكم
قال لي عذلي نبصر الرشد … وتسلو فقلت يوم عماكم

آخر

إن قوما يلحون في حب سعدى … لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها … أخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

آخر

من منصفي من عاذل جاهل … يجنون باللوم لمن لا يجنون
إن قلت ما نصحك إلا أذى … قال وما عشقك إلا جنون

وقال محمد بن شرف الدين القيرواني

يقول لي العاذل في لومه … وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحببته قبلة … قلت ولا قولك قرآن

وقال الشيخ جمال الدين ابن نباتة

ايها العاذلي الغبي تأمل … من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين … ان في الليل والنهار عجائب

وقال ابن عبد الظاهر

كم على عاذلي وكم لحبيبي … ذاك تكبيرة وذا تهليلة
يا ثقاتي واين مني ثقاتي … اين من يبتغي الى الوسيلة
انا ان مت فبلوني اليه … فحبابي وحقه تقبيلة

وقال قابوس

من عاذري في عاذلي … يلوم في حب رشا … اذا طلبت وصله … قال كفى بالدمع شا

وقال الوداعي

يا لائمي في هواه … افرطت في اللوم جهلا … ما يعلم الشوق الا … ولا الصبابة الا

وقال البها زهير

وريم حكى ريم الفلا في نفاره … فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتجنهم … ويا ليته لو كان يدفع بالتي

وقال شيخ الشيوخ بحماة

ابغض العشاق منه انني … لم ابع في حبه رشدي بغي

قلت

قلت قد اضنيت جسمي قال قد … قلت كي تذهب روحي قال كي

وله ايضا اليكم هجرتي وقصدي … وفيكم الموت والحياة
امنت ان توحشوا فؤادي … فآنسوا مقلتي ولا تو

وقال ابن مطروح

والله ما خطر السلو بخاطري … ما دمت في قيد الحيوة ولا اذا
اخر لو رأى وجه حبيبي عاذلي … لتفارقنا على وجه جميل
اخر قل للعذول اطلت اللوم في قمر … يزيد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما في حسنه عجب … قم فانظر الورد في خديه منثورا

وقال محيي الدين البغدادي

ان لامني من لا رآه فقد … جار على الغائب بالحكم
وان نهاني من رآه فقد … اضله الله على علم

وقال البها زهير

انت الحبيب الاول … ولك المنا المستقبل … عندي لك الود الذي
هو ما عهدت واكمل … القلب فيك مقيد … والدمع فيك مسلسل
يا من يجدد بالصدود … نعم تقول وتفعل … قد صح عندك في الهوى

لكنني انعذلك　　قل للعذول لقد امللت　　لمن تقول وتعذل

عاتبت من لا يرعوي　　وعذلت من لا يقبل　　عتب العذول اخف من

عتب الحبيب واسهل　　اخر قلت اذ جرد لحظا　　لي حديدي الاجل

يا عذولي كف عني　　سبق السيف العذل　　وقال شيخ الشيوخ بحماة

أعاذلي ليس مثلي من تفنده　　وليس مثلك مامونا على عذل

مادمت خلوا فما تنفك متهما　　إعشق فقولك مقبول علي ولي

اخر وشادن مبتسم عن حبب　　مورد الخد مليح الشنب

يلومني العاذل في حبه　　وما درى شعبان سمي رجب

المراد بشعبان العاذل ورجب الاصم وهي اسماء للشهور كانت في الجاهلية

فصل في احكام الزيارة وما جاء في فضلها من البراعة والعبارة وتفنن العشاق في فضل زيارة الحبيب وايثار انفاسه على نفائس الطيب

قيل كان الشافعي يكثر من زيارة احمد وكان احمد يقل من زيارته هيبة له فقيل للشافعي انك لتزوره اكثر وهو المحتاج اليك فانشد

قالوا يزورك احمد وتزوره　　قلت الفضائل لا تفارق منزله

ان زارني فبفضله او زرته　　فلفضله فالفضل في الحالين له

ومن الطف ما قيل في الزيارة والعجلة قول العكوك

بابي من زارني مكتتما　　خائفا من كل شيء فزعا

زائر نم عليه عرفه　　كيف يخفي الليل بدرا طلعا

رصد الغفلة حتى امكنت　　ورعى السامر حتى هجعا

ركب الاخطار في زورته　　ثم ما سلم حتى ودعا

وقال ابن المعتز

زارني والدجى احم الحواشي　　والثريا في الغرب كالعنقود

وكان الهلال طوق عروس　　بات يجلى على غلائل سود

ليلة الوصل ساعدينا بطول　　طول الله فيك غيظ الحسود

اخر زارت على غفلة الرقيب　　كطيبة روعت بذيب

وكان وقت الوصال منها　　اقصر من جلسة الخطيب

وقال عبد العزيز ويقال انه اصدق ما قالته الاواخر

يقولون لي بالله ما انت فاعل　　اذا زارك المحبوب قلت ابكه

وقال ابن العفيف

ومليح كالبدر زار بليل　　فحكى حسنه الدجى اذ تجلى

ما درى منزلي ولكن قلبي … بلهيب الجوى هواه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكي … بمحل النزاع كيف استدلا

وقال بشار

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر … إلا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا زورة في العام واحدة … ثني ولا تجعليها بيضة الديك

وقال ابن أبي حجله

زار الحبيب ووجه الورد تجلان … فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا … وقد وفى الان فالعذال لا كانوا
ماضرني ضيق مبتلى حين واصلني … سم الخياط مع الاحباب ميدان

وقال ابن سكره

اهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة … تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت … ونابت اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لاظهرها … برق الشباب وعطر النحر والنفس

ومما انتجوا اليه من ذكر زيارة الحبيب ووصف عمره بالطيب قال ابن النبيه

إن جاء من يبغي لهم منزلا … فقل له بيتي ويستنشق

وقال الطغرائي

فسرنا في ذمام الليل معتسفا … فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

وقال المتنبي

ويفوح من طيب الثناء روائح … لهم بكل مكانة تستنشق

ومما ينخرط الى الحب فيها من الافادة وهي في الحقيقة زيارة بحيله تنعطف

بها النفوس البخيلة قال الطغرائي

خبروها اني مرضت فقالت … اجوى طارفا شكى ام تليدا
واشاروا بان تعود وسادي … فابت وهي تشتهي ان تعودا
واتتني في خفية وهي تشكو … الم الشوق والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك … ان امالت علي عطفا وجيدا

وقال ابن نباته

وملولة في الحب لما ان رأت … اثر السقام بعظمي المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم … انا بالصدود وانت بالاعراض
لا تهجروا من لا تعود هجركم … فهو الذي بسلاف وصلكم غذي
ورفعتم مقداره بالابتدا … حاشاكم ان تقطعوا صلة الذي

وعلى ذكر الذي والصلة قبل كتب ابن عنين وقد مرض إلى الملك المعظم

انظر إلي بعين مولى لم يزل | يولي الندى وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي أحتاج ما تحتاجه | فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فأحضر إليه ثلاثمائة دينار وقال أنت الذي وهذه الصلة وأنا العائد وقال الكمال

يقولون لي أنت الذي شاع ذكره | فمن صادر يثني عليه ووارد
فقلت لهم هبني الذي قد ذكرتم | فأين صلاتي منكم وعوائدي
ابن عنين مرضت وقد استنفقتم عن أن أزوركم | فأبصر أنا الكسوف على البدر

وقال الشهاب محمود

رأتني وقد نال مني النحول | وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام | فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وقال الأرجاني

غالطتني إذ كست جسمي الضنا | كسوة أعرت عن اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى | مثل عيني صدقت لكن سقاما

وقال ابن أبي حجلة

شكوت إلى الحبيبة سوء حظي | وما قاسيت من ألم البعاد

فقالت أنت حظك مثل عيني | فقلت نعم ولكن في السواد

وقال ابن النقيب

وما بي سوى عين نظرت لحسنها | وذاك لجهلي بالعيون وغرني
وقالوا به في الحب عين ونظرة | فقلت نعم عين الحبيب ونظرتي

وهو مأخوذ من قول المجنون

وجاؤوا إليه بالتعاويذ والرقى | وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة | ولو عقلوا قالوا به نظرة الإنس

وقال ابن الوكيل

وبي من قسا قلبا ولان معاطفا | إذا قلت أدناني يضاعف تبعيدي
أقر برقي إذ أقول أنا له | وكم قالها أيضا ولكن لتهديدي

وتشعباتهم في أنواع الزيادة كثيرة ذكرنا منها ما سمعت إذ لا يمكن استيعاب
ذلك ومما يتخرج على الزيادة تخريج الفروع على الأصول ويهتدي إلى
إلحاقها بها أهل العقول ما جرى على ألسنة الأحباب من أحوال العتاب
وانقسام الناس فيه إلى مادح له لتأكيد المحبة وذام له بين الأحبة و
الصحيح أن ما كثف منه الثاقل وميز الحق من الباطل وأكد الصحبة بعد

النفور وبين الحبيب النور فهو احق بان ينصر ومنه ينكر قال في احياء علوم الدين ما معناه ان العتاب شان اولي الالباب وقاطع لقطيعة الاخلاء والاصحاب وكان الرجل اذا وقع في نفسه من اخيه شيء لم يهجره حتى يوضح له ذلك فان انتهى والا هجره واما عتاب يفضي الى القاطعة ويحدث الهجر والمباعدة فتقريع يجب اجتنابه عقلا ونقلا وتركه فصلا ووصلا وفيه قيل من سوء الآداب كثرة العتاب ومن امثالهم في الاول العتاب مفتاح الوصال وقاطع للهجر والملال والى سلوك الطريقة الحسنة فيه اشار سعيد ابن الكاتب بقوله

اقلل عتابك فالبقاء قليل ... والدهر يعدل تارة ويميل
ولعل ايام الحياة قصيرة ... فعلام يكثر عتبنا ونطول
آخر
وبعض العتاب اذا ما رفعت ... يباعد هجرا ويدني وصالا
فعاتب اخاك ولا تجفه ... فان لكل مقام مقالا

والى تكثير التقاطع اشار بالترك من قال

لا تفرحن بسماع من ... يهوى بتعداد الذنوب
ما نافر الاحباب الا من ... يعيش بلا حبيب

والى قائل الاول اشار من قال

فلا عيش كوصل بعد هجر ... ولا شيء الذ من العتاب

فلاهذا يمل حديث هذا ... ولاهذا يمل من الجواب
آخر
واحسن ايام الهوى يومك الذي ... تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى ... فاين حلاوات الرسائل والكتب

وقال ابن سناء الملك

واملي عتابا يستطاب فليتني ... اطلت ذنوبي كي يطول عتابه
وفي غرتي ذكر العذيب وبارق ... وما هو الا ثغره ورضابه

وقال ابو فراس

اساء فزادته الاساءة حظوة ... حبيب على ما كان منه حبيب
تعد علي الواشيات ذنوبه ... ومن اين للوجه الجميل ذنوب

وقال الحكم ابن قنبر

كانما الشمس في اعطافه طلعت ... حسنا او البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان عظمت ... منه الاساءة معذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته ... من القلوب وجيه حيثما شفعا

وقال ابو فراس

قل لاحبابنا الجفاة علينا ... درجونا على احتمال الملال

احسنوا في عتابكم او اسيئوا ... لاعدمناكم على كل حال

اخر اذا امرضنا اتيناكم نعودكم ... وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

حججي عليك اذا خلوت كثيرة ... واذا حضرت فانني مخصوم

لا استطيع بان اقول ظلمتني ... الله يعلم انني مظلوم

اخر ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى ... فؤادي ولكن للعتاب مواضع

وقال ابن المعتز

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا ... ان بر عندك فيما قال او فجرا

فقد اطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد اجلك من يعصيك مستترا

وقد قيل ان افضل العتاب ما غرس العفو واثمر المحبة وعتب يوجب عفوا افضل من ترك يوجب جفا **وجاء** في تفسير قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل يعني اعف واصفح بلا عتاب **وورد** عنه عليه السلام من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا او كاذبا لم يرد علي الحوض وما احسن قول القائل

ذنبي اليك عظيم وانت اعظم منه ... فخذ بحقك اولا فاصفح بفضلك عنه

ان لم اكن في فعالي ... من الكرام فكنه

اخر ما احسن العفو من القادر ... لا سيما من غير ذي ناصر

يا غاية القصد واقصى المنى ... وخير مرعى مقلة الناظر

ان كان لي ذنب ولا ذنب لي ... فما له غيرك من غافر

اعوذ بالود الذي بيننا ... ان يفسد الاول بالاخر

وقال ابن زيدون

يا قمرا اطلعه المغرب ... قد ضاق بي في حبك المذهب

الزمتني الذنب الذي جئته ... صدقت فاصفح ايها المذنب

فان من اغرب ما مر بي ... ان عذابي فيك مستعذب

وقلت رايت اساليب العتاب كثيرة ... والطفها ما اكد الحب في القلب

اذا ما خلونا لم اجد ما اقوله ... بلذ سوى الشكوى اليها مع العتب

ومن ذكر المحبوب شيئا منفرا ... عقوبته الهجران في مذهب الحب

ومن يرد ذنبا من حبيب فدع ... وما الحب الا ان تنعم بالذنب

وقد قال بعضهم عتاب المحبين الدالة في الاعتاب وخدمة الابواب قالوا ولكن اذا قابلت الحبيب مرة يتفتش فيك ذنبه فتراه منك وتطلب صفحه عنك **فصل** ومما يلحق بالعتاب ويصلح ان يكون معه في باب الصبر على تعتب المعشوق وتجنيه على الصب المشوق وهو اصل عند

العشاق يبنى عليه، ويرجع في قواعد مذهب المحبين اليه

شرط المحبة عند ارباب الهوى	ان المليح على التجني يعشق

لا يصدهم صد، ولا يقفون من سيوف اللحظ عند حد، ولا تاخذهم فيه لومة لائم، ولا يعدون جور ما يروم من الظالم ظالم

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه	حلوا فقد جهل المحبة وادعى

ولقد تلطفت علية بنت المهدي في هذا المعنى حيث تقول

جبل الحب على الجور	فلو انصف فيه لسمج
ليس يستحسن في شرع الهوى	عاشق يحسن تأليف الحجج

ولما كان التجني من المحبوب، وتعنته الذي يكاد يفوت الغرض المطلوب يشتبه بالهجر والقطيعة، ويعسر التفريق بينهما على من لم يخض لجة هذه الشريعة، وجب بعد اذ اشرنا الى حقيقة الاول ان نشير الى الثاني ونذكر ما له من الاقسام والمباني، سالكين في ذلك مسلك ديوان الصبابة، اذ لا مزيد في هذا المحل على تقسيماته المستطابة، فنقول قد قسم الهجر عند اهل المحبة الى اربعة اقسام احدها هجر الدلال، وهو الممدوح الصفات المقصود بالذات، وسببه علم المحبوب بمكانته عند المحب

وانتم تتلذذ بالاساءة كما يتلذذ بالحسنة، ولا تغيره الحوادث على اختلاف الازمنة ولهذا اذا اصفت مرآة اهل المحبة، اتحدوا في كل رتبة، فيقع لاحدهم بعد المبالغة في هذا الصفا ان يعتقدوا ارتفاع الخلاف، وانتفا كل احد بما عنده من الاوصاف، فانظر الى قول بهاء الدين زهير

عتب الحبيب فلم اجد	سببا لذاك العتب باعث
ما كنت اعلم انه	ممن تغيره الحوادث

فهو وان لم يقع منه ما يوجب تغيره كما افهمه البيت الاول لم يعتقد تغير المحبوب لما يقع منه لانه هو كذلك وهذا في الاصل للعارفين وكل ياخذ ما يناسبه من الاشارات، وعلامة هذا القسم الاسعاف بالمطلوب وان لم يكن في كل آن، والتلطف بالعاشق ورفع محله في غصون الهوان، وهم يرون اليسير خطيرا والقليل كثيرا، قال استاذ الوجود

ففي سكرة منها ولو عمر ساعة	ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحكم

رجع الى كلام المترجمين قال بعضهم هجر الدلال، اعذب من الوصال

وبذلك هجركم على	اني خطرت ببالكم
لئن ساءني ذكراك لي بمساءة	فقد سرني اني خطرت ببالك

ويتحبب لمن وسم بالجمال، واخذ بقلوب النساء والرجال، ان يكون كثير الندل قليل البذل، فان ذلك ادعى للسلامة، وابعد من الملامة، قال ابن وكيع

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا — فقلت هيهات عنكم غاب اطيبه
لو جاد هان وقلت الجود عادته — وانما عز لما عز مطلبه

وقال العباس ابن الاحنف

يا قوم لم اهجركم لملالة — مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم — لا تصبرون على طعام واحد

القسم الثاني هجر الدلال، وهو هجر منشاه الملازمة مع اختلاف الخصال ويكون المحبة فيه غير عريقة، بل منشاها علة على الحقيقة، وسببه ما ذكر من الاختلاف وعلامته تاثره بمباعدة المكان، وطول الازمان، وعلاجه التحبب في التعلق بخلق المراد بالاخلاق وسلوك كلما اراد، وربما محنة الهدية، والملاطفة في الرضية، والصفح مع حسن الصبر، والمجاوزة عن الزلة، وان عظم الامر، بعض العشاق المترنمين صرح في علاجه بتباعد المكان، والغيبة الممتدة الى مدة من الزمان، وفيه انشد

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا — وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

وهذا لا يحسن على اطلاقه، الا بعد تحقيق وثاقه، فهو ان يكون للمحبة اصل وانما ضعف بالملازمة والا فالبعد مع عدم ذلك غاية مطلوبة وصفة محبوبة القسم الثالث الهجر المعروف بهجر الجزاء والعاقبة وهو هجر سببه وقوع في ذنب ولو خطأ وعلامته قبول الاوبة، من صدق التوبة، وعلاجه تصديق الحبيب في دعواه، والنزول على حكمه والرضا بما يهواه، والاعتراف بالذنب وان لم يكن صدره، وطلب العفو ممن قدره، والى هذا الترتب وسلوك هذا المارب، اشار عمر ابن الفارض بقوله

عبد رق ما رق يوما لعتق — لو تخليت عنه ما خلاكا

فقد حقق في هذا الباب، الامحيص له من هذا الجناب، وان يطلبه بكل حال، ولم يجد عنه في سائر الاحوال، سوى طلب او منع، او جلب او دفع، ثم دل على صدق كلامه، وانعقاد قلبه على مطاوعته في غرامه، فقال

وبما شئت في هواك اختبرني — فاختياري ما كان فيه رضاكا

ثم ارتفع عن هذه الرتبة ايضاحا لمراتب السالكين، ودلالة على التنقل الموصل للناسكين، حيث قال

وقد صرت مستدع قضاك وما به — رضاك ولا اختار تأخير مدة

فانه ابلغ من قوله

وان هددوا بالهجر ماتوا مخافة … وان اوعدوا بالقتل حنوا الى القتل

خلافا لبعض الشراح لعموم ما في الاول بالنسبة الى هذا وبيا بيتي عجز ولولا انه قوله

وما غدرت في الحب اذ هددت دمي … بشرع الهوى لكن وفت اذ توفت

فاصح من جميع ذلك فيما نحن فيه بل ينبا انباعن القسم الاول وهو له حقيقة

القسم الرابع الهجر الخلقي وسماه بعض الصوفية الازلي يقال ان الجنيد فسر قوله ص الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف بان الله تعالى حيث اخرج عالم الذر جعله في كفه ثم اخذ العهد عليه ثم بذلك فوقع بعضه متقابلا وهؤلاء هم المشتركون في نسب اوجب الصحبة و حقق المحبة وتدابر الآخر فحققت بين افراده المقاطعة وجبلوا على الممانعة انتهى وهذا التقابل والتدابر يجوز حمله على حقيقته ويجوز ان يراد به امر معنوي في غاية الاختلاف واسباب هذا كثيرة اعظمها عند المتمسكين بالشرايع اختلاف الاديان وعند مطلق العالم يستند الى الارادة الالهية التي صرح بعجز الكلي مخلوقاته وعين اعيان سر صفاته عن قيام الناموس بدفعها فقال عز من قائل لو انفقت ما في الارض جميعا الآية وهذا القسم والذي قبله لا تعلق

للعشاق بهما على ما اخترناه وبعضهم يرى ان الثلاثة الاول من متعلقات العشق ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب واذا عرفت ما قررناه ثبت عندك ان هذا القسم لا علاج له اصلا الا بالارادة الالهية ثم الهجر من الحب الصادق في قد يؤول الامر فيه بالعاشق الى ان يخرج مخرج الدعاء عليه ويكون في الحقيقة ثناء لديه وقد يتجه عند تمادي الهجر وحكم الغرام حلول زمنه فيجعل ذلك الدعاء لنفسه والطف ما سطر في الاول قول الشاب الظريف المعروف بابن العفيف

اعز الله انصار العيون … وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا … وان تك اضعفت عقلي وديني
وخلد دولة الاعطاف فينا … وان ثنت الفؤاد الى الشجون
واسبغ ظل ذاك الشعر يوما … على قد به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا … وان جارت على القلب الطعين

وله ايضا
ادام الله ايام الوصال … وخلد عمر هاتيك الليالي
واسبغ ظل اغصان التداني … وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس تجلى … تزيد لطافة في كل حال

وقال آخر
يا رب ان قدرته لمقبل … غيري فللمسواك او للاكوس

ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث … يا رب فلتك شمعة في المجلس
ولئن حكمت لنا بعين مراقب … يا رب فلتك من عيون النرجس

وقال شهاب الدين ابن العايم

والله ما ادعو على هاجري … الا بان يمتحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى … منه وما قد تم في حقي

آخر

ايها المعرض صفحا … عن خطائي وجوابي
لا اراك الله عمري … او يريني بك ما بي
رب فاجعله دعائي … خائبا غير مجاب
رق قلبي ان يرى … قلبك في مثل عذابي

وقال آخر

فجفاني فرمت ادعو عليه … فتوقفت ثم ناديت ذاهل
لا شفى الله طرفه من سقام … واراني عذاره وهو سايل

وقال ابن وكيع

ان كنت تعلم ما بي … وانت بي لا تبالي
بل عشت في طيبة … تعذيبك نفسي فحالي
فصار قلبك قلبي … وصرت في مثل حالي
دعوا اذا ما صدري … عليك ثم بدا لي

وقال آخر

فلما بدا لي انه غير رائدي … وان هواه ليس عني بمنجلي
تمنيت ان يهوى ويجفى لعله … بذوق مرارات الهوى فيرق لي

ثم قد يتمادى الهجر ولا ينجع الدعا، ويعز الوصل ويصعب الرضا، فيا

العاشق في نهج الدموع، والانحطاط من اوج الارتفاع الى حضيض الخضوع، ولقطب هذه الدائرة، وبدر سماء هذه الكواكب السائرة، المرتبة التي لا تلحق قصب السبق التي لا تدرك، والجواد الذي لا يسبق حلبته ل

ومن درجات العز اصبحت مخلدا … الى دركات الذل من بعد نخوتي
فلا باب لي يغشى ولا جاه يرتجى … ولا جار لي يحمى لفقد حميتي

واما اشارته الى الدموع وانسكابها فالغاية التي لا تدرك فيها قوله

فسهدي حي في جفوني مخلد … ونومي بها ميت ودمعي له غسل

فانظر الى غرائب هذه الاستعارات ولطف هذا التركيب وصحة هذا السبك الخالص عن الريب مع بلوغ المقصود ثم بالغ في تحقيق هذا المرام وارتقى في مسالك هذا المقام بقوله

وادمع سحت لولا التنفس من … نار الهوى لم اكد انجو من اللجج

وابلغ منه قوله

وطوفان نوح عند نوحي كادمعي … وايقاد نيران الخليل كلوعتي
فلولا زفيري اغرقتني مدامعي … ولولا دموعي احرقتني زفرتي

رجع الى الكلام المترجم القاضي الصاحب

قد استخدمت بالافكار سري … وما اطلقت لي بالوصل اجره

وقال المتنبي

أتراها لكثرة العشاق … تحسب الدمع خلقة في الآماق

وله ايضا وهبت السلو لمن لامني … وبت من الشوق في شاغل

كأن الجفون على مقلتي … ثياب شققن على ثاكل

وله اخرى وما انس لا انس ذاك الخضوع … وفيض الدموع وغمز اليد

وخدي يضاف الى خدها … نياما الى الصبح لم نرقد

وله اخرى وقائلة ما بال عينك مذ رأت … معاطف هذا الظبي ادمعها هطل

فقلت زنت عيني بنظرة طلعة … فحق لها من فيض ادمعها غسل

وقال السري الرفاء

بروحي من رد التحية ضاحكا … فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي

وجالت دموع العين بعدي وبعده … كأن دموع العين تعشقه معي

وقال السعودي شارح المقامات

قالت هند تلك تبكي … دما حذار التنائي

فقلت ما ذاك مني … ولم يكن بمرائي

فلم تعوضت عنها … بعد الدماء بماء

لكن دموعي شابت … من طول عمر التنائي

اخرى كانت دموعي حمرا يوم بينهم … فمذ نأوا قطرتها بعدهم حرقي

قطفت باللحظ وردا من خدودهم … فاستقطر البين ماء الورد من حدقي

وقال ابن التاشي الاكبر

بكيت الفراق وقد راعني … بكاء الحبيب لفقد الديار

كأن الدموع على خده … بقية طل على جلنار

فصل في نفي كدوراتهم من الصدود، باستجلاب الاماني والوعود، وانتعللهم بالاماني، والطمع في التهاني، وهو اصل فيمن تنتهي فيه العشاق الى من لا يفي لهم محبوبه، وحصل له بعد الوعد مطلوبه، وهو العزيز النادر، وقسم ما بين غصته، وحالت المنية بينه وبين امنيته، واعجب ما فيه ان الراضي سواق يرمع العلم بزوره اكثر العشاق، واغلب من نودي عليه في هذه الاسواق، وقد كشف عن غامض هذه الطريقة، واستثنى الرضا بزور هذه الحقيقة، الاستاذ فقال:

عدني بوصل وامطلني بنجازه … فعندي اذا صح الهوى حسن المطل

وما الصد الا الود ما لم يكن قلى … واصعب شيء دون اعراضكم سهل

ثم تجرد من ثياب هذه الطريقة، وانغمس في بحار الحقيقة، فانطوت

نفسه الابية في مطاوي الحقائق القدسية فقال

ان لم يكن وصل لديك فعد به … املي وماطل ان وعدت ولا تفي

واما الترنيمة فقد اكثروا في هذا الباب الاقوال واختلفوا باختلاف الاحوال فقال بعضهم

اعلل بالمنى قلبي لعلي … اروح بالاماني الهم عني

واعلم ان وصلك لا يرجى … ولكن لا اقل من التمني

وقال وما بلوغ الاماني في مواعيدها … الا كما تعب يرجو وعد عرقوب

ومن كلام افلاطون التمني حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال عمرة مونس لك ان لم ينفعك فقد الهاك قيل لاعرابي ما امتع لذة الدنيا فقال ممازحة حبيب ومحادثة صديق واماني تقطع بها ايامك وقال يا قوتا الرومي

لله ايام تقضت بكم … ما كان احلاها واهناها

مرت فلم يبق لنا بعدها … شيء سوى ان نتمناها

وقال ابن الوردي

وشادن قلت له … هل لك في النا … فقال كم من عاشق … سفكت في المنى دمه

وقال الحسين ابن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى … خلت اني وما اراك اراكا

وإذا ما تنفس النرجس الغض … توهمته نسيم شذاكا

خدعات المنى تعللني فيك … باشراق ذا وبهجة ذاكا

وقال ابن ابي حجله

رب في لصب غدا مما يكابده … من دمعه الصب يجري في مجاريه

لم يبق فيه سوى روح يرددها … لولا المنى مات يا اقصى امانيه

وقد ذم قوم الرضا بالوعد والاماني وعدوا ذلك جنونا ومشى على ذلك جمع كبير وقال الخاليين

ابن المعتز لا تاسفن من الدنيا على امل … ولا تكن عبد المنى فالمنى

رؤوس اموال المفاليس … فليس باقيه الامثل ماضيه

قال علي رضي الله عنه اجتنبوا المنى فانها تذهب ما خولتم وتصغر المواهب التي رزقتم وقال رجل لابن سيرين رايت كاني اسبح في غير ماء واطير بغير جناح فقال انك رجل تكثر الاماني وسمع الحجاج ليلة لبانا يقول ابيع هذا اللبن بكذا واشتري بضاعة فاكسب فيها كذا فيكثر مالي واتزوج ابنة الحجاج فتلد لي ولدا وآمرها يوما بشيء فلم تطع فاركلها فيها هكذا وشال برجله فكب اللبن فدخل الحجاج فضربه خمسين سوطا

وقال أليس يجمعني يا بنتي لو فعلت بها هذا وأما الرضا من المحبوب بالقناعة
بالبسير من المطلوب وإن طال الوعد وكثر الخضوع واشتد البعد وانسكبت
الدموع فصفة العاشق القانع الملتجي من تغير المطالع المنزه محبوبه عن
التكليف المشفق عليه من نحو التعنيف وقد اتصف به جم غفير هذا وانا فيه
أقل القليل أكثر الكثير وليس في هذا النمط ألطف من قول جميل واني
لأرضى من بثينة الأبيات السابقة في قصته قال ابن المعتز

ألست أرى النجم الذي هو طالع   عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقي في الأفق طرفي وطرفها   فيجمعنا إذ ليس في الأرض جامع

وقال بعض الأعراب

أليس الليل يجمع أم عمرو   وإيانا فذاك بنا تداني
نعم وأرى الهلال كما تراه   ويعلوها النهار كما علاني

وقال بعضهم

إلى الطائر النسر انظري كل ليلة   فإني إليه بالعشية ناظر
عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده   فنشكوا إليه ما تكن الضمائر

وقال بعض الأعراب

ولما نلت من وصل بها غير أنني   إذا هي بالت بلت جنب تبول

وقال بعضهم

وكن قنوعا فقد جرى مثل   إن فاتك اللحم فاشرب المرقه

هذه إشارة إلى مثل يضرب للقناعة بالبسير وأصله أن الهدهد قال
لسليمان ع أنت في ضيافتي بجميع عسكرك في جزيرة كذا فلما حضروا
أخذ جرادة وقمعها في البحر وقال يا نبي الله من فاته اللحم فليشرب المرق
وكان سليمن يضحك من ذلك إذا ذكره ويحكى في القصص من مد إلى المحبوب
باعه وأوسع أماله وأطماعه فلم يرض إلا بامتزاج الأشباح فضلا
عن الأرواح والتآلف الذي لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما
واحدا في العين الأحول الذي يرى الشيء اثنين قال بعضهم

وكنت وهو ضجيعي أن أقول له   من شدة الحب قد بعدت فاقترب

وقال ابن الرومي

أعانقه والنفس بعد مشوقة   إليه وهل بعد العناق تداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي   فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله   سوى أن يرى الروحين يمتزجان

ولم يك مقدار الذي بي من الجوى   ليشفيه مما ترشف الشفتان

وقال خالد الكاتب

كأنني عانقت ريحانة   تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى   حسبتنا في جسد واحد

وقال نفطويه النحوي

ولما التقينا بعد بعد بمجلس   تغازلك فيه اعين النرجس الغض
جعلت اعتمادي ضمه وعناقه   فلم نفترق حتى توهمته بعضي

وقال ابو بكر الابكي

هم الرقيب ليسعى في تعرفنا   ليلا وقد بات من اهواه معتنقي
عانقته فاتحدنا والرقيب اتى   فما رأى واحدا ولى على حنق

وقال بعضهم

توهم واشينا بليل مزاره   فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا   فلما اتانا ما رأى غير واحد

وقال ابن سناء الملك

وليلة بتنا بعد سكري وسكره   نبذت وسادي ثم وسدته يدي

وبتنا

وبتنا كجسم واحد من عناقنا   وكالحرف في لفظ الكلام المشدد

قيل اعترض على هذا بكون العروضيين تعد الحرف المشدد بحرفين فلو قال في الخط لحصل مطلوبه واجتمع ابن الجهم وابن عروس في سفينة فتذاكرا الشعر فقال ابن الجهم انا اشعر منك حيث اقول

الا رب ليل ضمنا بعد هجعة   وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
وبتنا جميعا لو تراق زجاجة   من الخمر فيما بيننا لم تسرب

فقال احسنت ولكني اشعر منك حيث اقول

لا والمنازل من نجد وليلتنا   بعيد اذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه   نوما فلا الف لاخذ ولا عضد

وقال بشار

مرنحة الاعطاف مهضومة الحشا   تمور بمجرى عينها وتدور
اذا نظرت صبت عليك صبابة   وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الماء دوننا   الى الصبح دوني حاجب وستور

وكلام بشار وان كان في الحقيقة اصلا للبيتين الا ان ابن الجهم حيث بدل الماء بالخمر لانه اشد نفوذا واما ابن العروس فلا

الطف منه اذ لا تبتي لسندسه بابا سنوط النجوم والحاصل انه يمكن الجمع بين
اهل القناعة باليسير من المحبوب وبين من لم يقف على غاية في المطلوب
باختلاف الامكنة وصفاء الايام والخلو من نحو واش ونمام ومجالس
بالورد والنمام فان من الحزم انتهاز الفرص ومن الحمق الوقوع في ضيق
القفص ومن صفى له الزمان فجبن عن مطلوبه فهو زاهد في محبوبه
ومن راى العوائق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه **فصل** في ذكر
مكابدة الامور الصعاب عند طلب رضى الاحباب وخوض الاهوال وارتكاب
قضاء الاجال فضلا عن بذل الاموال ليحصل من محبوبه على مطلوبه
ويرضى باليسير كما سلف ولو كان ذلك يفضي الى تلف وقد فتح للفقير
في هذا المجال ونسج على هذا المنوال سيدي عمر ابن الفارض فقال

فنافس ببذل النفس فيها اخا الهوى ... فان قبلتها منك يا حبذا البذل
فمن لم يجد في حب نعم بنفسه ... ولو جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

وقال الطغرائي

لا اكره الطعنة النجلاء قد شفعت ... برشقة من نبال الاعين النجل
ولا اهاب الصفاح البيض تسعدني ... باللمح من صفحات البيض في الكلل

وقال ابن خفاجه

ولقد طرقت المالكية بغتة ... اجد على حكم الشباب مرارا
فخالطت اطراف الاسنة انجما ... ودست بها لا بل البدور ديارا

وقال ابن بسام

لقد صبرت على المكروه اسمعه ... من معشر فيك لولا انت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم ... لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

وقال اخر

تروم الجد ثم تنام عنه ... لقد اطمعت نفسك بالمحال
يغوص البحر من طلب اللآلي ... ومن طلب العلى سهر الليالي

واعظم من ذلك الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء وتلف النفس
وشدة الابتلاء وامام اهل هذا الشان والمفرد بالسبق في هذا الميدان
الطغرائي **قيل** انه علق مملوكا لمؤيد الدين وكان يهواه فحين بلغه تهمة
الطغرائي واراد قتله فانه شفقة على المملوك من الالسنة ان الطغرائي
ملحد فشد الى شجرة وامر ان تفوق اليه السهام ولا يرشقوه حتى يامرهم
والمملوك امام الكل ثم امر رجلا يسمع ما يقول الطغرائي وهو لا يشعر

فاذا هو يقول

ولقد اقول لمن يسدد سهمه … نحوي واطراف المنية شرع
والموت من لحظات احور طرفه … دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل ترى … فيه لغير هوى الاحبة موضع
اهون به لو لم يكن في طيه … عهد الحبيب وسره المستودع

فاطلقه ورفع شانه ** وقال بعضهم **

ولقد ذكرتك والرماح نواهل … مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها … لمعت كبارق ثغرك المتبسم

** وقال الطغرائي **

اني لاذكركم وقد بلغ الظما … مني فاشرق بالزلال البارد
واقول ليت احبتي عاينتهم … قبل الممات ولو بيوم واحد

** وقال بعضهم **

ذكرت سليمى وحر الوغى … بقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها … وقد ملن نحوي فعانقتها

** وقال ابن رشيق **

ولقد ذكرتك والطبيب معبس … والجرح منغمس به المسبار

وادیم وجهي قد فراه حديده … وبمينه حدنا على بسان
فتغلني عما لقيت وانه … ليضيق عن برحاتها الاقطار

** وقال الشريف البياضي **

ولقد ذكرتك في السفينة والردى … متوقع بتلاطم الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف … والليل مسود الذوائب داجي
وعلت لاصحاب السفينة ضجة … وانا وذكرك في الذ تناجي

** وقال ابو الثنا محمود **

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع … والموت يرقب تحت جفن المرقب
والحصن في شفق الدروع تخاله … حسنا ترفل في رداء مذهب
سامي السماء فمن تطاول نحوه … للسمع مسترقا رماه بكوكب
والموت يلمع بالنفوس وخاطري … يلهو بطيب ذكرك المستعذب

** الصفي الحلي **

ولقد ذكرتك والعجاج كانه … مطل الغني وسود عيش المعسر
والشوس بين مجدل في جنده … منا وبين معفر في مغفر
فظننت اني في صباح مسفر … بضياء وجهك او سناء مقمر

ونعطرت ارض الكفاح كأنما … فتقت لنا ريح الجلاد بعنبر

تتمة تشتمل على ذكر مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يرجع مضمونها الى جميع الاصول السابقة وتترجم عندهم بالغزل والنسيب لإعراب من نحو محاسن الحبيب وتهيجها الاشواق المستعرة حيث تذكر الشعر والطرة وتفصيلها لتلك الجملة من وصف الحاجب والمقلة واثارة ما فيها من البلبال عند ذكر الوجنة والخال واستمالتها نفوس الاحباب عند ذكر الثغر والرضاب وذكرها مطاوي الاشواق اذا سمع مدح الخلخال والساق الى غير ذلك مما اقتدحته افكارهم الدقيقة اللطيفة ونخبة في هذا الباب اذهانهم الرشيقة النزيهة وبه نختم هذا المورد اللطيف وما يتعلق بالعشق من هذا التأليف ذكروا ان اغزل بيت للمتأخرين

قول بشار

انا والله اشتهي سحر عينيك … واخشى مصارع العشاق

شمس الدين ابن العفيف

لحسن خلق الله وجهاً وفماً … ان لم يكن احق بالحسن فمن
حكى الغزال مقلة ولفتة … من ذا رآه مقبلاً ولا افتتن

ولما وصلت هذه الابيات الى القاهرة والشاعر المشهور يومئذ بها الحلي اقترح عليه بعض اعيان الدولة محاكاتها فانشد قصيدته التي اولها

كم قد افضنا من دموع ودما … على رسوم للديار ودمن
وكم قضينا للبكاء منسكا … لما تذكرنا بهن من سكن

فاستحسن ابيات الحلي ودامت الناس مدة طويلة مفترقين في ذلك والغزل كما سمعت كثير الفنون والشعب قد توسعت فيه اهل الادب فمن الا

ابن نباتة ايها العاذل الغبي تأمل … من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين … ان في الليل والنهار عجائب

وله ايضا

قلت وقد ابدى جبينا واضحا … وفوقه ليل دلال قد سجى
افدي الذي جبينه وشعره … طرة صبح تحت اذيال دجى

ابن مطروح

ظباء اعارتها المها حسن مشيها … كما قد اعارتها العيون الجآذر
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقبلت … مواطئ من اقدامهن الغدائر

اسمعيل الاسكندري

لما ارى قبل شعره ووجهه ... ليلاً على صبح نهار عسعسا
والسكر في وجنته وطرفه ... يفتح ورداً ويغض نرجسا

حسام الدين

ومهفهف من شعره وجبينه ... تغدو الورى في ظلمة وضياء
لا تنكروا الخال الذي في خده ... كل الشقيق بنقطة سوداء

ابن الصايغ

ثنى غصناً ومد عليه فرعاً ... لحظي حين اطلب منه وصلا
وبلبلة على الارداف منه ... فلم ار مثل ذاك الفرع اصلا

المجلي

رقت محاسنها ورق اديمها ... فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
يندى بماء الورد مسبل شعرها ... كالطل يسقط من جناح الطائر

الخيزراني

رايت الهلال ووجه الحبيب ... فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتي منهما ... هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد في الوجنتين ... وما راعني من سواد الشعر

كنت اظن الهلال الحبيب ... وكنت اظن الحبيب القمر

ابن نباته

واغيد جارت في القلوب لحاظه ... واسهرنا الاجفان اجفانه الوسنى
اجل نظرا في حاجبيه وطرفه ... ترى السحر منها قاب قوسين او ادنى

الصلاح الصفدي

بهم اجفانه رماني ... وذبت من هجره وبينه
ان مت ما لي سواه خصم ... لانه قاتلي بعينه

ابن نباته

ويح قلبي من كاسر الطرف اضحى ... فيه قلبي كما ترى مكسورا
قد حمى ثغره بعينه عني ... وكذاك السيوف تحمي الثغورا

برهان الدين القيراطي

بابي سلطان حسن حسنه ... لقتال القلب في الحب نوى
صال في العشاق منه ناظر ... هو والسيف على حد سوى

الصلاح الصفدي

بسيف اجفانه المرضى اراق دمي ... ولم يطق دفعه حولي ولا حيلي

لولا السقام الذي بهما لما فتكت … وربما صحّت الأجسام بالعلل

الفرزدق

ومقلة شادن أودت بنفسي … كأن السقم لي ولها لباس
يسل اللحظ منها مشرفيا … لقتلي ثم يغمده النعاس

بدر الدين ابن حبيب

عيناه قد شهدت بأني مخطئ … وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي … فالخط زور والشهود سكارى

جلال الدين بن خطيب داريا

شهدت جفون معذبي ببلائه … مني وأن وداده تكليف
لكنني لم أنا عنه لأنه … خبر رواه الجفن وهو ضعيف

أمين الدين كاتب سر الشام

إن كان شرع هواك أطلق أدمعي … فوكيل شوقي عاجز من حبسه
أو كان منك الطرف أسهر ناظري … فلكل شيء آفة من جنسه

الصلاح الصفدي

غزال من الأتراك ما ضاق لحظه … لحظي إلا كي تضيق مذاهبي

كأن الخواطر وكاسر لحظه … تصيدها من جفنه بمخالب

ابن قلاقس

فوق خديك دليل … أن نهديك ثمار
ما اختفى الرمان إلا … وتبدى الجلنار

ابن أسد الدين

إلى الله أشكو حب أهيف فاتن … وقعت فما لي من يديه خلاص
جرحت بلحظي خده وهو جارح … بلحظيه قلبي والجروح قصاص

وقلت

يقولون إن الشمس تحرق كلما … تجاسده من كائنات الكواكب
فما خدها المريخ مع شمس وجهها … قد اقترنا في سمت قوس الحواجب
نعم قضبا لي بالشقاوة منهما … بسهم لحاظ عاقني عن مذاهبي

كمال الدين ابن النبيه

صنعة الكيمياء صحت لعيني … حين يزداد إذ يراني احمرارا
فإذا ما ألقيت إكسير لحظي … في لجين الخدود عاد نضارا

بعضهم

ثبتت بركبه حماني عنانه ... عقارب صدغيه على خده تسعى

الم تر انّي كلما رمت لثمه ... تخيّل لي من سحرها انها تسعى

الصنوبري

ذات خدّ يكاد يدميه وهم ... من مشير بالجدّ او بالمزاح

في بياض وحمرة وكان قد ... صبغ حسنا من ماء مزن وراح

محمد ابن ياقوت

مالي بجور الحبيب من قبل ... هل حاكم عادل فيحكم لي

حمرة خديه من دمي صبغت ... ويدّعي انها من الخجل

برهان الدين القيراطي

عنقود صدغ الذي اهواه يمنعني ... فقال لي ريقه لما رأى وصبي

ان كان في الصدغ عنقود افتتنت به ... فان في الخمر معنى ليس في العنب

الصلاح الصفدي

بروضة خده الحمراء اضحت ... عليه شامة شرط المحبة

كأن الحسن يعشقه قديما ... فنقّطه بدينار وحبة

بعضهم

واعدني بقبلة ارشفها من مبسمه ... سوّفني ولم يزل بوعد لكن بفمه

ابن نباته

بروحي فاتن الالحاظ المي ... ملي الحسن خالي الوجنتين

له خال على دينار خد ... تباع له القلوب بحبتين

العفيف التلمساني

ادنته لي سنة الكرى فلثمته ... حتى تبدّل بالشقيق السوسن

ما نمّ بي الا بلال الخال من ... خدّيه في صبح الجبين يؤذن

شهاب الدين الخيمي

وعذول لجّ في عذلي اذ ... لم ير الخال على الخد الاسيل

لو رأى وجه حبيبي عاذلي ... لتفارقنا على وجه جميل

شمس الدين ابن الصائغ

بروحي افدي خاله فوق خده ... وما انا ذو مال فافديه بالمال

تبارك من اخلى من الشعر خده ... واسكن كل الحسن في ذلك الخال

ابن نباته

لله خال على خد الحبيب له ... للعاشقين كما شاء الهوى عبث

اورثته حبة القلب القتيل به وكان عهدي بان الخال لا يورث

الصلاح الصفدي

افدي حبيبا له في كل جارحة مني جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

بعضهم

يا سائلا قمر السماء جا له البستني في الحزن ثوب سمائه
اشعلت قلبي فارتمى بشراره علقت بخدك فانطفى في مائه

ابن تميم

رايت حبة قلبي حين لاح لها محبوبها نفرت من حر افكاري
ثم استجارت بخد منه فهي به كالمستجير من الرمضاء بالنار

اخر

يريك بوجنتيه الورد غضا ونور الاقحوان من الثنايا
تامل منه تحت الصدغ خالا لتعلم كم خبايا في الزوايا

اخر

غدا خاله رب الجمال لانه على عرش كرسي الخدود قد استوى

وارسل في الاصداغ رسلا اعزة على فترة تدعو الانام الى الهوى

بعضهم

ابو طالب في كفه وبخده ابو لهب والقلب منه ابو جهل
وبنتا شعيب مقلتاه وخاله الى الصدغ موسى قد تولى الى الظل

اخر

لهيب الخد حين راه طرفي هوى قلبي عليه كالفراش
فاحرقه فصار عليه خالا وها اثر الدخان على الحواشي

القيراطي

انظر الى سطر عذار بدت من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن وكم قد راحت الارواح فيها غلط

اخر

ومهفهف يحمي ورود رضابه بصوارم سلت من الاجفان
كتب العذار بليقة مسكية في خده سطرا من الريحان

البدر الدماميني

تحدث ليل عارضه باني سأسلوه وينصرم المزار

فقاك جبينه لنا تبدّى ... كلام الليل يمحوه النهار

ابن النبيه

جنت بمنظره البديع عيوننا ... فتسلسلت بمدامع الاجفان
ولخضر فوق الخد آس عذاره ... فعجبت للجنات في النيران

تاج الدين اليماني

بخلت لواحظ من رأينا مقبلا ... برموزها ورموزهن سلام
فعذرت نرجس مقلتيه لانه ... يخشى العذار لانه نمام

الصلاح الصفدي

عذارك والطرف يا قاتلي ... يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة ... فهذا يدب وذا ينعس

الطنفا الجاوني

عذارك والطرف قد اظهرا ... جميع الذي فيهما يرمز
واني يصان الهوى عنهما ... وهذا ينم وذا يغمز

وله ايضا

من قال عمّا قد بدا في خده ... احببته شعرا بما انصفا

هذاك

هذاك نمل رام شهدة ريقه ... فرأى تلهب خده فتوقفا

محمد ابن الرعاد

اعد نظرا فما في الخد نبت ... حماه الله من ريب المنون
ولكن رق ماء الخد حتى ... اراك مثال اهداب الجفون

عز الدين الموصلي

لقد كنت لي وحدي ووجهك خضر في ... وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض ... وزاحمني في ورد ريقك شارب

بعضهم

ذكرت ريق حبيبي ... بشرب راح معطر
وليس ذا بعجيب ... فالشيء بالشيء يذكر

صلاح الدين الصفدي

رشفت ريقك حلوا ... ولم يكن لي صبر
وسوف احظى بوصل ... واول الغيث قطر

ابن نباته

واحربا من هوى رشيق ... معتدل كالقضيب مائل

عذاره لا يجيب دمعي … وسائل لا يجيب سائل

الشهاب الحجازي

سال العذار بخده فإذا … المبيض من خديه مسودّ
ولسان حال الخد ينشدنا … هل بالطلول لسائل ردّ

بعضهم

إن ماس فالغصن بالأوراق مستتر … أو لاح فالبدر بالأنوار محتجب
عذاره بسواد القلب منتقش … وخده بدم العشاق مختضب

آخر

سألته في ثغره قبلة … فقال ثغري لم يجز لثمه
فها كها في الخد واقنع بها … ما قارب الثغر له حكمه

ابن نباته

واغيد في فيه المدام وحظه … وفي وفي أعطافه نشوة السكر
تداويت من لحاظه برضابه … كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

الصفدي

يا ثغره لبس الثنايا التي … تضحى غنىً الأنجم الغُرّ

فلينقل

فلينقل المسواك ما عنده … فهو عن الضحاك والزهري

آخر

خد وثغر فجل رب … ببديع الحسن قد تفرد
فذا عن الواقدي يروي … وذاك يروي عن المبرد

شمس الدين الصايغ

بروحي من ولى فولى بمهجتي … وولى منامي فهو كالوصل شارد
حمى ثغره عني بسيف لحاظه … وختام بحمى ريقه وهو بارد

ابرهيم المعمار

عزمت على رقيا محاسن وجهه … بأنوار آيات الضحى حين أقبلا
فلما بدا بغتة من نظم ثغره … بدأت بسم الله في النظم أولا

الصفدي

أحبتنا كالغصن كم شاعر … له عليه نوح ورفاء
وثغره الشادي من حسنه … يحار في تشبيهه الطائي

النواجي

لله ثغر للحبيب تجمعت … في ضمنه للعاشقين نفائس

فيه الرحيق وخاله المسك الختام   وفيه فليتنافس المتنافس

الصفدي

قد اشبه الخال على ثغره   تشبيه من لا عنده شك
بنحلة من جوهر اودعت   حق عقيق ختمه مسك

ابن زيان

لاحت على مبسمه المشتهى   ثلاث شامات غدت في النظام
لا تعجبوا ان كثرت حوله   فالمنهل العذب كثير الزحام

شيخ الشيوخ بحماة

سألته من ريقه شربة   اشفي بها من كبدي جمرة
فقال اخشى يا شديد الظما   ان تتبع الشربة بالجرة

ابن الوليد

اريق من رضابك ام رحيق   رشفت فلست من سكري افيق
وللصهباء اسماء ولكن   جهلت بان في الاسماء ريق

ابن عنين

يا غزالا لا ارى الغواية رشدا   في هواه واحسب الرشد غيا

ما راينا قبل ابتسامك بدرا   اتم يفتر عن نجوم الثريا

ابن سناء الملك

له فم يمنعه ضيقه   ان يخرج اللفظ بتقويم
ولفظه سكران من ريقه   فهو لهذا غير مفهوم
ما فمه ميم ولكنه   علامة الجزم على الميم

بعضهم

كان على انيابها الخمر شجه   بماء الندى في آخر الليل غابق
وما ذقته الا بعيني تفرسا   كما شيم من اعلا السحابة بارق

الحريري

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه   وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد   وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

وقال آخر

بابي فم شهد الضمير له   قبل المذاقة انه عذب
كشهادتي لله خالصة   قبل العيان بانه رب
والعين لا تعيا بنظرتها   حتى يكون دليلها القلب

بعضهم

واعدني بقبلة ارشها من مبسمه
فسوفني ولم يزل بوعد لكن بفمه

وقلت

ارى ريقها عند الشفاء لكل ما … تعذر من داء عن البرء او فسد
عليك به فهو النجاة لشارب … وان جاوز القانون فيه او اقتصد
فهذي اشارات كفت كل عاقل … وان قيل شيء غيرها ليس معتمد

وقلت

عجبت من المسواك يرشف ريقها … مدى الدهر لا يحميه من ذاك مانع
ويسقى جمادا كيف لم يحي بالحيا … وتفنى الليالي وهو اخضر يانع
رضاب يقوم الميت ان شم عرفه … ولو قطعت اوصاله والاضالع
فقال خشيت الهجر منها فعافني … فحسبك عذر في جوابي قاطع
بنفسي ثغر قلت اذ لاح نوره … ابرق بدا من جانب الغور لامع
وبرد رضاب قلت عند وروده … زمان اللقا بالخيف هل انت راجع

دعبل

اباح لك الهوى بيض حسان … سلبنك بالعيون وبالنحور

نظرت الى النحور فكدت اقضي … فاولى لو نظرت الى الخصور

ابن الرومي

٢٢ صدور فوقهن حقاق عاج … وحلي زانه حسن اتساق
يقول الناظرون اذا راوها … اهذا الحلي من هذا الحقاق
وما ذاك الحقاق سوى ثدي … قددن من الحقاق على وفاق
نواهد لا يعد لهن عيب … سوى منع المحب عن العناق

المهلبي

اقاتلتي بفتور الجفون … ورمانتين على معصر
كحقين من لب كافورة … براسيهما نقطتا عنبر

وله ايضا

قد حجبت وجهها عن النظر … بمعصم حل عقد مصطبري
كانه والعيون ترمقه … عمود صبح في دارة القمر

الرفاء

ومن وراء سجوف الحي شمس ضحى … تجول في جنح ليل مظلم داجي
مقدودة حفظت ايدي الشباب لها … حقين دون مجال العقد من عاج

بعضهم

كأنّ الثدايا إذا ما بدت … وزيّن منها النهود الصدورا
حقاق من الدر مخروطة … يسعن من المسك شبابيرا

الحسن

بأبي غادة تميس بقدٍّ … تتثنى فتخجل الأغصانا
لبست صدرها فتاهت وقالت … غصن قدّي قد أثمر الرمانا

عبد الوهاب السندوي

قام فكادت لين أعطافه … تقصفها الأرداف من نهضه
فكيف يرجو الغير إنصافه … وبعضه جار على بعضه

ابن قزل

وأهيف القد بت أشكو … له تلافي وما تلاقى
فمال عطفا ورق خصرا … وإنما ردفه تجافى

الصلاح الصفدي

أقول له قد ذاق مبسمي والصبا … وعقلي وكاساتي وصوت الذي غنى
وقال الذي أهواه خصري نسبته … فقلت له والله قد جيت في المعنى

وقال آخر

يا خصره كم جفاءٍ … تبدي وأنت نحيل
يا ردفه ملت عني … ما أنت إلا ثقيل

ابن مكانس

كللت لذا احتجي … فدموعي سؤالي
أيها المحبوب فارحم … رب دمع فيك سالا

سيف الدين

مهفهف القد نحيل الحشا … يسبي الورى عمدًا بطرف مريض
تلاعب الشعر على ردفه … أوقع قلبي في الطويل العريض

ابن سناء الملك

تلعب الشعر على ردفه … أوقع قلبي في العريض الطويل
يا ردفه زدت على خصره … رفقًا به ما أنت إلا ثقيل

ابن الوردي

إذا قيل ما ردفي وشعري أجبته … كثيب مهيل فوقه حية تسعى
وإن قيل هل يرعى عذاري موردا … أقول له أي والذي أخرج المرعى

الصفدي

لولا شفاعة شعره في صبه … ما كان نار ولا أدال سقاما

لكن نادت في الشفاعة عنده ... وغدا على اقدامه يترامى

العباس ابن الاحنف

ومثلك لم ار في العالمين ... نصفا قضيبا ونصفا كثيبا
وانت اذا ما وطئت التراب ... كان ترابك للناس طيبا

ابو الحسين الجزار

وكم ليلة استغفر الله بتها ... بخد وثغر بين ورد وجريال
سرت راحتي غورا ونجدا الى الضحى ... وما ذاك الا في خصور واكفال

الصفي الحلي

اذا انثنت باعطاف يجاذبها ... موارد غصن من الكثبان ممطور
رأيت امواج ارداف قد التطمت ... في لج بحر بماء الحسن مسجور

ابن نباته

سألت النقا والبان ان يحكيا لنا ... روادف او اعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما انا حملها ... وقال قضيب البان ما انا قدها

الصفدي

اقول وقد نامت على حر وجهها ... وما لي عليها في الظلام دبيب

وان الكثيب الفرد من جانب الحمى ... الي وان لم آته لحبيب

شمس الدين ابن جابر النحوي

ردف يقيم لنا بها فتن الهوى ... واذا انثنت لتقوم قال لها اقعدي
ابصرتها من بين ذاك وبين ذا ... فوقعت منها بالمقيم المقعد

وله ايضا

سبب خفيف خصرها ووراءه ... من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان في تركيبها ... الا لان الحسن منها وافر

ابن ابي حجله

مالت كغصن مع الارداف مياس ... مصرية الحلي تدعى بقياس
ما جئت ليلي واسمى حليها قلقا ... الا وثار بها جني وسواسي
ولا بدا ردفها الراسي اذا قعدت ... الا وبانت يدي منه على راسي

شمس الدين ابن جابر

مقدمة الارداف تركب فوقها ... مقدمة الخصر الذي هو ناحل
فتم قياس الحسن لما تركبا ... وجاء على النظم الذي هو كامل
فانتج حسنا لم يلم فيه عاشق ... بوجه ولم يجحد من الناس عاذل

وله ايضا

وقفت يوم الوداع ملتفتا ... اطمع في نظرة اردّدها
فاعرضت والظباء تغبطها ... في حسن اعراضها وتحسدها
وكفلت لدن خصرها كفلا ... يكاد عند القيام يقعدها

الشهاب الحجازي

قصدت رؤية خصره مذ سمعت به ... فقال لي بلسان الحال ينشدني
انظر الى الردف تستغني به فانا ... مثل المعيدي فاسمع بي ولا تروني

وقال آخر

واذا السوالف بالبنفسج ... جاورت ورد الخدود ... وتموجت كثب الروادف
تحت اغصان القدود ... شاهدت في ايكة الظباء ... قياد اعناق الاسود

واما الاغزال المطلقة التشبيه العامة من غير تخصيص فكثيرة لا تحصى وغزيرة لا تستقصى فلنذكر منها ما احسن وقعه في الاسماع وجلب القلوب السليمة الاذواق عند السماع ابن العفيف شمس الدين

قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا ... فراح في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا ... فسام صبرا فاعيى نيله فقضى

٣٣٧٠

وقال آخر

لو كان مالك عالما بذنوب الهوى ... ومحله من اظلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى ... وان استغاثوا غاثهم بفراق

المظفر الاعمى

قل للذين جفوني مذ لهجت بهم ... دون الانام وخير القول اصدقه
احببتكم وهلاكي في محبتكم ... كعابد النار يهواها وتحرقه

ابن نباته

اهلا بسائرة الصبا من نحوكم ... وبما عهدنا من تعاهد طولها
املت على الزهر المقطب ذكركم ... حتى تبسم ضاحكا من قولها

الصفي الحلي

لا غرو ان يصلى الفؤاد بذكركم ... نارا تؤججها يد التذكار
قلبي اذا غبتم بصور شخصكم ... فيه وكل مصور في النار

وقال آخر

صلوا مدنفا فقد واصل السقم جسمه ... ومن بعدكم طيب الرقاد فقد فقد
باحشائه نار تشب ضرامها ... فمن لي باطفاء الضرام وقد وقد

الأرجاني

تمتعتما يا مقلتي بنظرة ... وأوردتما قلبي أشر الموارد
أعيني كفا عن فؤادي فإنه ... من البغي سعي اثنين في قتل واحد

الملك الصالح داود

عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك الجفون سكون
إذا أبصرت قلباً خلياً من الهوى ... تقول له كن مغرماً فيكون

ابن إسرائيل

وقلت شهودي في هواك كثيرة ... وأصدقها قلبي ودمعي مسفوح
فقالت شهودي ليس يقبل قولها ... فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

القيراطي

لما حدا بالركب حاديهم ... وأسمع الداني والقاصي
أطاعني دمع جرى نهره ... فدمعي الطائع كالعاصي

لؤلؤ

وأرقني خيال من حبيب ... تناءت داره لما أتاني
فمن سهري يلم فلا أراه ... ومن سقمي يطوف فلا يراني

آخر: قد كان لي فيما مضى خاتم ... فرق جسمي فتمنطقت به
وزاد بي السقم فلو زج بي ... في مقلة النائم لم ينتبه

شمس الدين ابن العفيف

فكم يتجافى خصره وهو ناحل ... وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدعي صوناً وهذي جفونه ... تقسم للعشاق منها مواعد

آخر: قال لي العاطف صف لي ... هيفي قلت يا رشيق القوام
لك قد لولا جوارح لحظيك ... لغنت عليه ورق الحمام

ابن أبي الحديد

بالله ضع قدميك فوق محاجري ... فلقد قنعت من الوصال بذاك
وأطل محادثتي فإن مدامعي ... تهوى حديثك مثلما تهواك

ابن المنوفي

رأت قمر السماء فأذكرتني ... ليالي وصلنا بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن ... رأيت بعينها ورأت بعيني

الوداعي

قلت للعاذل المفند فيها ... يوم زارت وسلمت محتاله

قم بنا ندّعي النبوّة في العشق … فقد سلمت علينا الغزاله

ياقوت

وعدت ان تزور ليلاً فالوت … وانت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت … كيف صدقت ان ترى الشمس ليلا

اخر تجلى محياها وخافت رقيبها … فارخت عليه من ذوائبها سجفا
محيّاً اراه الصب للحسن جامعاً … فاجرى عليه من مدامعه وقفا

ابن الرومي

نظرت فاقصدت الفؤاد بسهمها … ثم انثنت عنه فكاد يهيم
ويلاه ان نظرت وان هي اعرضت … وقع السهام ونزعهن اليم

شمس الدين

حتى اذا طاش عنها المرط دهشتي … وانحل بالضم عقد السلك في الظلم
تبسمت فاضاء الجو فالتقطت … حبات منتثر في ضوء منتظم

الارجاني

وفتانة صاغت سلاسل صدغها … قيوداً على اعداد عشاقها الاسرى
تبسم عن درّ تكلم مثله … فلم ارا احلى منه نظماً ولا نثرا

اخر

اخر نظرت اليها نظرة فتحيرت … دقائق فكري في بديع صفاتها
واوحى اليها الوهم اني احبها … فاثر ذاك الوهم في وجناتها

ابن مكانس

علقتها معشوقة خالها … ان عمها بالحسن قد خصصا
يا وصلها الغالي وباجنها … لله ما اغلا وما ارخصا

امين الدين السليماني

اضيف الدجى معنى الى لون شعرها … فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبها نون الوقاية ما وقت … على شرطها فعل الجفون عن الكسر

ابو الحسين الجزار

تكلف بدر السما اذ حكى … محياك لو لم يشنه الكلف
وقام بعذري فيك العذار … فاجرى دموعي لما وقف

وله حمت خدها والثغر عن جاني … لم امل في ورده ومورده
وكم هام قلبي لارتشاف رضابها … فاعربه عن تفصيل نحو المبرد

شيخ الشيوخ بحماة

لنا من ربة الخال ابن جارة … تواصل تارة وتصد تارة

تعاملني بما يحيي سلوتي … ولكن لبس في جوفي مرارة

ولها سبحان موريه من حسن يوسف ما … لم يبق في الحر لي والصبر من حصص

اقام للشعراء العذر عارضه … فكم لهم في دبيب النمل من قصص

مجير الدين الدمشقي

لما لبست لبعده ثوب الضنا … وغدوت من ثوب اصطباري عاريا

اجريت وافقت مدمعي من بعده … وجعلته وقفا عليه جاريا

ابن لؤلؤ

رفقا بصب مغرم … ابليته صدا وهجرا … وافاك سايل دمعه … فرددته في الحال نهرا

ابن قرناص

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها … واشبه الآس ذاك العارض النضر

كان موسى كليم الله اقبسها … نارا وجرة عليها ذيله الخضر

وله ان الذين ترحلوا نزلوا بعين ساهره … انزلتهم في مقلتي فاذاهم بالساهره

ابن العفيف

ايبعدني يا طلعة البدر طالع … ومن شقوتي حظ بحذك نازل

ولو ان فتنا واصف منك وجنة … لا عجزه نبت بها وهو باقل

اخذه ابن نباته فقال مضمنا

تطاولت الاغصان تحكي قوامه … وعند التناهي يقصر المتطاول

واعيى فصيح الوقت نبت عذاره … وعبر فتنا بالفهاهة باقل

وله وافى بوجه كالهلال مركب … في قامة غصنية هيفاء

فبقلبه خفق الفؤاد وقد ربت … وكذا الجنون يكون من سوداء

وله اسكرني باللحظ والمقلة … الكحلاء والوجنة والكاس

ساق يريني قلبه قسوة … وكل ساق قلبه قاس

وله بابي شادن غدا الوجه منه … يخجل النيرين في الاشراق

سلب الغصب لينها فهي غيظا … واقفات تشكوه بالاوراق

وله لولم تكن ابنة العنقود في فمه … ما كان في خده القاني ابو لهب

نبت بدا غاذلي فيه فوجنته … حمالة الورد لا حمالة الحطب

ابن نباته

وضعت سلاح الصبر عنه فما له … يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله

وسال عذاره فوق خديه جائر … على مهجتي فليتق الله سائله

وله ومن النقا ان الجفا وتشوقي … لا ينتهي هذا وذاك الى الطرف

ما مال غصن قوامه عن فكرتي … يوما ولا دينار وجنته انصرف

الصلاح الصفدي

وظبي معانيه بيان بديعها … لقد حار فكري إذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريري كلها … على خده مشروحة للمطرزي

وله مليح ردفه والساق منه … كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيبا … فقد عزم العريب على الخروج

وله تقويم ثغرك صح يا من ثغره … در بقصر دونه التقويم
إني لأبكي من جفاك ولي أب … والثغر يضحك منك وهو يتيم

وله ووعدت أمس بأن تزور فلم تزر … فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتا
لي مهجة في النازعات وعبرة … في المرسلات وفكرة في هل أتى

ابن مكانس

يقولون هل من الحبيب بزورة … فمنا كرم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا لنا غوصوا على دره ومنا … يحاكي إذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

وله بحق الله دع ظلم المعنى … ومتعه كما يهوى بأنسك
وكف الصد يا مولاي عمن … بيومك رحت تهجره وأمسك

ول

وله بالأمس إذ فقد الصبر في قمر … أصداغه سلبت أهل الهوى وسبت
كانت سبو في اصطباري عنه حين بدا … آس العوارض في وجناته ونبت

البدر الدماميني

لا ما عذاريك هما أوقعا … قلب المحب الصب في الحين
فجد له بالوصل واسمح به … فقبل قد هام بلامين

الحافظ ابن حجر

تجرد من أحب فقال لي من … يلوم وأظهر الحسد المكتم
أجاد لك الحبيب بلثم جسم … له كالخز قلت نعم وأنعم

التلعفري

رشا أعهده وجفناه والخصر … وجسمي كما أراه عليلا
أشبهته البدور نورا ولكن … ما حكته لونا وخصرا نحيلا
قمر حل من القلب والطرف في … له في سعوده إكليلا
كلما ضل عن طريق جفاه … ظل فيه من الدليل دليلا
بعث الصدغ منه في فترة الجفن … لإنذار عاشقيه رسولا

وله هذا العذول عليكم ما لي وله … أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله

شرطُ المحبةِ انّ كلّ متيّمٍ ... صبٌّ يطيعُ هوىً ويعصي عُذّالَه

اخر كانّ خضرةَ نقشٍ فوق معصمِها ... نباتُ مسكٍ على كفٍّ من البردِ

فمن ملامُ مقلتيهِ من محاسنهِ ... كانّ الامانَ لعينيهِ من الرمدِ

ابن تميم

جاءت بعودٍ كلما لعبت بهِ ... لعبت بي الاشجانُ والتبريحُ

غنّت فجاوبها ولم يكُ قبلها ... شجرُ الاراكِ مع الحمامِ ينوحُ

الصفدي

اتتنا بعودٍ حرّكته بانملٍ ... هي الماءُ لطفاً في اتباعِ الاناشيدِ

يكادُ وقد جسّت ملاويهِ يكتسي ... باوراقهِ لمّا جرى الماءُ في العودِ

الصوري

بسطت انامل لؤلؤٍ اطرافُها ... فيها تطاريفٌ من المرجانِ

وتقنّعت لك بالدجى فوق الضحى ... وتنقّبت بشقائقِ النعمانِ

صاحب الاصل

وروضٍ اتيناه عشيّةَ اقبلت ... ملاحُ البرايا من غضيضٍ وغضّةِ

حكى لونَه والبيضُ محدقةٌ به ... زمرّدةٌ خضراءُ في شطِّ فضّةِ

محمد ابن وهب

اذا اختلجت عيني رات من محبّةٍ ... فدام لعيني ما حييتُ اختلاجُها

فما ذقتُ كاساً مذ تعلّقني الهوى ... فاشربُها الّا ودمعي مزاجُها

صاحب الاصل

لنا الكاساتُ اني في انتظامٍ ... وبنتُ الكرمِ واسطةُ العقودِ

وقد رمنا نزوّجها ابنَ مزنٍ ... فهل لك ان تكونَ من الشهودِ

اخر اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق ... كلاماً تكلّمنا باعيننا شزرا

نصدُّ اذا ما كاشحٌ مال طرفُه ... الينا ونبدي ظاهراً بيننا هجرا

فان غفلوا عنّا رايتَ خدودَنا ... تصافحُ او نغرا فرعنا به نغرا

ولو قذفت اجسادُنا ما تضمّنت ... من الضرِّ والبلوى اذا قذفت جمرا

صاحب الاصل

لحى اللهُ يومَ البينِ كم دمِ عاشقٍ ... اراقَ فوا به لا يطلبون بثارِهِ

وعاذلةٍ اضحت تلومُ على الهوى ... لنا لوعةٌ لمّا يفيقُ من خمارِهِ

واغيدَ في جيشٍ من الحسنِ يقتدى ... لماهُ وعينيهِ وخطِّ عذارِهِ

حكى الظبيَ ظبيَ الرملِ جيداً ومقلةً ... فيا ليته لم يحكِه في نفارِهِ

ابن العلاء البرقي

لأحبك يا سلمى على غير ريبة ... ولا بأس في حب تعف سرائره
وقد مات قبلي أول الحب وانقضى ... ولو مت أمسى الحب قد مات آخره

عبد الرحمن الصقلي

هذي الخدود وهذه الحدق ... فليبد من بفؤاده يثق
لو أنهم عشقوا لما عذلوا ... لكنهم عذلوا وما عشقوا
حنقوا علي بلومهم سفها ... لو جرعوا كأس الهوى رفقوا
ليس الفؤاد معي فأعلم ما ... قد نال منه الشوق والقلق
ما الحب إلا مسلك خطر ... عسر النجاة وموطئ زلق

صاحب أصل الأصل

إذا كنت من أسر الهوى غير منفك ... فدع جسدي يضنى ودع مقلتي تبكي
ألا قاتل الله الرقيب وموقفا ... بكينا به والبين يفتر بالضحك
وغرب غربان النوى حين فرقت ... نعيبا من البين المفرق بالوشك
فيا ويح للعشاق أمست دماؤهم ... تطل غراما وهي هينة السفك
آخر: وما الحب إلا شغلة قدحت بها ... عيون المها باللحظ بين الجوانح

ونار الهوى تخفى وفي القلب فعلها ... كفعل الذي جادت به كف قادح
آخر: يقول أناس لو نعت لنا الهوى ... ووالله ما أدري لهم كيف أنعت
فليس لشيء منه حد أحده ... وليس لشيء منه وقت موقت
آخر: لي في محبته شهود أربع ... وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبي وارتعاد مفاصلي ... وصفار لوني واعتقال لساني

ابن دريد

أقول لورقاتين في فرع أيكة ... وقد طفل الإمساء أو جنح العصر
وقد بسطت هذي لتلك جناحها ... ومرت على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة ... ولا دب في تشتيت شملكما الدهر
فلم أر مثلي قطع الهجر قلبه ... على أنه يحكي قساوته الصخر
آخر: قالت وقد مدت يدا نحوي تودعني ... وروعة البين تأبى أن أمد يدا
أميت أنت أم حي فقلت لها ... من لم يمت يوم بين لم يمت أبدا

الشهاب محمود

أأحبابنا هل لي إليكم وقد نأت ... بي الدار من بعد البعاد رجوع
وهل شمس هذا الأنس بعد فراقنا ... يكون لها بعد المغيب طلوع

وهل لي لا والله ما ذاك ممكن	فؤاد اذا حان الفراق بطيع
وقد كنت أدري والحبوة نهبة	تروق بكم أن النوى ستروع
أخر يا بانة الوادي التي سفكت دمي	بلحاظها بل يا مهاة الاجرع
لي ان أبث اليك ما القاه من	الم الجوى وعليك ان لا تسمعي

سعد ابن الدهان

قل للبخيلة بالسلام تورعا	كيف استبحت دمي ولم تتورعي
هل تسمحين ببذل ايسر نائل	ان اشتكي بثي اليك وتسمعي

محمد ابن موسى

٤ ٤ يا جفونا سواهرا اعدمتها	لذة النوم والرقاد جفون
٤ ٤ ان لله في العباد منايا	سلطها على القلوب العيون

الحسين ابن الضحاك

الا انما الدنيا وصال حبيب	واخذك من مشموله بنصيب
ولم ار في الدنيا كحلاوة عاشق	وبذلة معشوق ونوم رقيب
أخر ليس الحبيب الذي يخشى العقاب ولو	كانت عقوبته في الفه النار
بل الحبيب الذي لا شيء ينفعه	او تستقر ومن يهوى به الدار

أخر ومهدي بالعقار حين تشوا	تخفف لذعها وتقل ضرا
فما بال النساء اتى وهدي	عقارب صدغه تزداد شرا
غيره وقائلة ما بال دمعك ابيضا	فقلت لها يا علو هذا الذي بقي
الم تعلمي ان البكا طال عمره	فشابت دموعي مثلما شاب مفرقي
غيره عذيري من ريم رماني بسهمه	فلم يخط ما بين الحشا والترائب
فأصداغه يلسعنني كالعقارب	والحاظه يفعلن فعل العقارب
غيره غضبت من قبلة بالكره جدت بها	فهاك فيّ لك فاقتص اضعافا
لم يأمر الله الا بالقصاص فلا	تستجوري ما ابى الله انصافا
غيره خطرات ذكرك تستثير مودتي	فاحس منها في الفؤاد دبيبا
لا عضو لي الا وفيه صبابة	فكأن اعضائي خلقن قلوبا
غيره شرب المدامة وانثنى فكأنها	وكأنها في صادق التشبيه
شمس اتت بدرا لتطلب قبلة	من فيه فاستترت حياء فيه
غيره وشادن ما تولى وصفه احد	الا اقر له بالعجز ان وصفا
لا شيء اعجب من عينيه انهما	لا يضعفان القوى الا اذا ضعفا
غيره حسب المحبين في الدنيا عذابهم	والله لا عذبتهم بعدها سقر

سكوت ما بي الى هند فاكرهت … يا قلبها الحديد انت ام حجر

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم … وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

لا تحسبوني غنياً عن مودتكم … اني اليكم وان اثريت مفتقر

غيره طرفي لطرفك حين ينظر مقتل … لكن طرفك سهم حتف مرسل

ومن العجائب ان شيئاً واحداً … هو منك سهم وهو مني مقتل

غيره لاموا وقالوا اصطبر عنها فقلت لهم … هيهات ان سبيل الصبر قد ضاقا

ما يرجع الطرف عنها حين يبصرها … حتى يعود اليها الطرف رماقا

غيره اراك فلا ارد الطرف كيلا … يكون حجاب رؤيتك الجفون

ولو اني نظرت بكل عين … لما استوفت محاسنك العيون

غيره ايها اللائم المفند صدري … لا تلمني فكثرة اللوم تغري

قد اقام القوام حجة عشقي … وابان العذار في الحب عذري

غيره يا تاركي جسداً بغير فؤاد … اسرفت في الهجران والابعاد

ان كان يمنعك الزيارة اعين … فادخل علي بعلة العواد

كيما اراك وتلك اعظم منة … ملكت يداك بها منيع قيادي

ان العيون على القلوب اذا جنت … كانت بليتها على الاجساد

بهاء الدين

وما ثنت الاعطاف تستر وجهها … بمعصمها لله كم هتكت سترا

ارادت لتخفي فتنة من جمالها … بمعصمها فاستأنفت فتنة اخرى

جعفر الخطي

سواد صدغ الذي هام الفؤاد بها … ومحط عاشقها في اللون سيان

ليلان ضاع صباح الوصل بينهما … فاين اذا التف بالاصباح ليلان

ابن نبهان

اني اغار من النسيم اذا سرى … بأريج عرفك خشية من ناشق

واود لو سهدت لا من علة … حذراً عليك من الخيال الطارق

جمال الدين بن مطروح

فلو اضحى على قتلي مصراً … لقلت معذبي بالله زدني

ولا تسمح بوصل لي فاني … اغار عليك منك فكيف مني

غيره فيا نسيم الصبا انت الرسول له … والله يعلم اني منك غيران

بلغ سلامي الى من لا اكلمه … اني على ذلك الغضبان غضبان

لا يا رسولي لا تذكره غضبي … فذاك مني تمويه وبهتان

ايضـ

وكيف اغضب لا والله لا غضب   اني لما رام من قتلي لفرحان
أكل يوم لنا رسل مرددة   وكل آن لنا في العتب ألوان
استخدم الريح في حمل السلام له   كأنما أنا في عصري سليمان
غيره قاس قوم شعر الحبيب بليل   قلت هذا القياس فيه التباس
ان شعر الحبيب قد يفرق   ومع الفرق لا يتم القياس
غيره قيل لي من هويت قد عبث الشعر   بخديه قلت ما ذاك عاره
جمرة الخد أحرقت عنبر الخال   فمن ذلك الدخان عذاره
غيره وأبيض غض ذا دخط عذاره   لعاشقه في همه وبلابل
تموج بحار الحسن في وجناته   فتقذف منها عنبرا في السواحل
وتجري بخديه الشبيبة ماؤها   فتنبت ريحانا جنوب الجداول
غيره مررت بحارس بستان فقال لها   سرقت رمانتي تهديك من شجري
فصاح في وجنتيها الجلنار على   قضيب قامتها لا بل هما ثمري
غيره ما بان عذري فيه حتى عذرا   ومشى الدجى في وجهه فتبخترا
همت تقبله عقارب صدغه   فاستل عارضه عليها خنجرا

أبو نواس

غيره لا تحسبوا شامة في خده طبعت   على صحيفة خد راق منظره

لكنما خده الشافي تخال به   سواد عينيك خالا حين تبصره
وله ما ركب الله خالا فوق مبسمها   إلا ليجمع مشروبا ومشموما
لو لم يكن ريقها بالخمر ممتزجا   ما كان مبسمها بالمسك مختوما
وله نرى لون ذاك الخال من فوق خده   غدا أسودا لما اصطلى نار جمره
أم الخال قد أضحى بلالا مؤذنا   لطلعة شمس ظهرها وقت ظهره
ومن عجبي سحر لفرعون لحظه   ويعجز موسى الخال عن دفع سحره

عائشة بنت الباعوني

كأن خديه ديناران قد وزنا   فدقق الصبر في الوزن واحتاطا
فشف أحدهما عن وزن صاحبه   فزاده من فتيت المسك قيراطا
ولها وبين الخد والشفتين خال   كزنجي أتى روضا صباحا
تحير في الرياض فليس يدري   أيجني الورد أم يجني الأقاحا
ولها كأنما الخال تحت القرط في عنق   بدا لنا عن محيا جل من خلقا
نجم بدا في عمود الصبح مستترا   تحت الثريا قريبا الشمس فاحترقا

العنابي

لا تحسبن سواد الخال عن زلل   من الطبيعة أو جاءت به غلطا

لكنما قلم التصوير حين جرى	بنون حاجبه في خده نقطا

الشهيد مكي

جرحت بناظري خديه لطفا	فخالوا خاله اثر اندمال
ولما فاح طيبا قيل مسكا	فقلت المسك بعض دم الغزال
وله ولرب اهيف قامة من لحظه	يفري بحد المشرفي مضاء
ذي وجنة تحكي شقايق روضة	والخال فيها النقطة السوداء
غيره ومهفهف من شعره وجبينه	أمسى الورى في ظلمة وضياء
لا تنكروا الخال الذي في خده	كل الشقيق بنقطة سوداء

الوأواء الدمشقي

لحبيبي شامة في خده	لا علا شان حسود شانها
رب عين ذهبت فيه فقد	نبتت في خده إنسانها

ابن الوراق

حبذا الخال كائنا منه بين	الخد والجيد رقبة وحذارا
رام تقبيله اختلاسا ولكن	خاف من سيف لحظه فتوارى
وله شبهت عنبر خاله في خده	من فوق وجنته على التحقيق

١١٧

عبدا من السودان هدد فاختفى	خوف العقوبة في رياض شقيق

ابن الوراق

خد الحبيب وقلبي فيهما شبه	مبين فلذاك القلب يهواه
نوريه خده حكى اشراق حمرته	والخال في خده يحكي سويداه

ابو بكر الخالدي

وكأن ذاك الخال راهب بيعة	قطع الدجى في مسجد متهجدا
او بلبل اضحى بروضة خده	لولا جوارح مقلتيه لغردا

بعضهم

اسفر وجه الصبح عن وجهه	فقام ذاك الخال فيه بلال
كأنما الخال على خده	ساعة هجر في زمان الوصال

السري الرفاء الموصلي

بنفسي من اجود له بنفسي	ويبخل بالتحية والسلام
وحتفي كامن في مقلتيه	كمون الموت في حد الحسام

البهاء زهير

رقت شمايله فقلت شموله	وحوى الجمال فقلت ثم جميل

ودنا فما للبين فيه مطمع   ونأى فما للقرب فيه سبيل
اهواه اما خصره فمخفف   طاوٍ واما ردفه فثقيل
ريان من ماء الشباب مهفهفا   ارايت غصن البان كيف يميل
حلو التثني والثنايا لم يزل   لي منهما العسال والمعسول
لحبابنا ان الوشاة كثيرة   فيكم وان تصبري لقليل
ايخاف قلبي عندكم مع انه   جار اقام لديكم ونزيل
فاصد حتى لا يقال متيم   وازور حتى لا يقال ملول

وله ايضا

رعى الله من لم يرع لي حق صحبة   وسلم من لم يسخ لي بسلامه
وفي ذمة الرحمن من ذم صحبتي   ولم اك يوما ناقضا لذمامه
واني على صبري على فرط هجره   وقرب مغانيه وبعد مرامه
يحاول طرفي لحظة في خياله   ويشتاق سمعي لفظة من كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا   بوجه يحاكي البدر عند تمامه
شكوت الذي القى فظل مقابلا   بكاي وشكوى حالتي بابتسامه
بدمع يحاكي لفظه في انتثاره   وعتب يحاكي ثغره في انتظامه

فارق

فارق من شكواي غير خدوده   ولا الان من نجواي غير قوامه

وله ايضا

كلمني والمدام في فيه   قد عبقت من حبابه بفيه   وراح كالراح في تمايله
سكران ينطق في تحكيه   بالله يا برق هل تحمله   عن نار وجدي وعن تضرمه
وهل نسيم ترى يبلغه   رسالة من فمي الى فمه   عجبت من بخله علي وما
يذكره الناس من تكرمه   هم علموه فصار يهجرني   رب خذ الحق من معلمه

وله ايضا

يا من لعبت به شمول   ما الطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال   كالغصن مع النسيم مائل
لا يمكنه الكلام لكن   قد حمل طرفه رسائل
ما اطيب وقتنا واهنى   والعاذل غائب وغافل
عشق ومسرة وسكر   العقل ببعض ذاك زائل
البدر يلوح في قناع   والغصن يميس في غلائل
والورد على الخدود غض   والنرجس في الجفون ذابل
والعنبر كما احب صاف   والانس بمن احب كامل

مولاي يحق لي بأني … عن مثلك في الهوى أقاتل

لي فيك وقد علمت عشق … لا تفهم سرّه الأوائل

في حبك قد بذلت روحي … إن كنت لما بذلت قابل

لي عندك حاجة فقل لي … هل أنت إذا سألت باذل

في وجهك للرضا دليل … ما تكذب هذه المخايل

ما أطلب في الهوى شفيعا … لي فيك غنى عن الوسائل

ذا العام مضى وليت شعري … هل يحصل لي رضاك قابل

ها عبدك واقف ذليل … بالباب يمد كف سائل

من وصلك بالقليل يرضى … الطل من الحبيب وابل

العفيف التلمساني

أشتاق من ساكني وادي الحمى سكنا … عليه خفق فؤادي قط ما سكنا

ولي غرام وصبر في محبته … هذا أقام بأحشائي وذا ظعنا

أضعتم بالأهيل المنحنى قمرا … بدا على الكون منه بهجة وسنا

سبى عيون محبيه الكرى فلذا … أجفانهم قد غدت مملوءة وسنا

إن قلت غصنا بدا وجهه قمرا … أو قلت بدرا تثنى قده غصنا

نادى ضنى خصره من يشتري سقما … مني ليغنى به في الحب قلت أنا

فيا غنى جماله بات مفتقرا … لحسنه البدر ما لي عن هواك غنى

دنا إلى إلفه النائي البعيد وفي … هواك ما لي جفون من لحينه دنا

بعضهم

لقاؤك عامه يوم قصير … لديّ ويوم لا ألقاك عام

وما هذا التفرق باختياري … ولكن طال ما منع المرام

عداني أن أزورك حادثات … إذا ذكرت تذوب لها العظام

متى رمت النهوض تعلقت بي … هموم لا تنيم ولا تنام

إذا همت أطقت به قياما … أتى ما لا يطاق له قيام

فلا تتوهمن لي عنك صبرا … متى صبرت عن الماء الحيام

ولو في الخلد كنت ولم أمتع … بقربك لم يلذ بها المقام

عليك وأي أرض كنت فيها … من الله التحية والسلام

بعضهم

دعي ما مضى وانسا نفي الود بيننا … لنا ما حصلنا فيه لا ما تقدما

عفى الله عما كان منا ومنكم … لنا وعلينا فاتركي الأمر مبهما

اتيت بعذر ينقض الذنب فاقبلي ... ولا تجعلي التوبيخ للهجر سلما
فلو اخذ الله العباد بذنبهم ... اعد لهم في كل يوم جهنما

بهاء الدين زهير

وحقكم ما غير البعد عهدكم ... وان حال حال او تغير شان
فلا تسمعوا فينا بحقكم الذي ... يقول فلان عندكم وفلان
لدي لكم ذاك الوفاء بحاله ... وعندي لكم ذاك الوداد يصان
وما حل عندي غيركم في محلكم ... لكل حبيب في الفؤاد مكان
هبوا لي امانا من عتابكم عسى ... تقر عيون او يقر جنان
ومن شغفي فيكم ووجدي انني ... اهون ما القاه وهو هوان
ويحسن قبح الفعل ان جاء منكم ... كما طاب ريح العود وهو دخان
رعى الله قوما شط عني مزارهم ... وكنت لهم ذاك الوفي وكانوا
وكم عزمة لي غالها الدهر عنهم ... وللدهر في بعض الامور حران

وله ايضا

لئن جمعتنا بعد ذا البعد خلوة ... فلي ولكم عتب هناك يطول
وكنت زمانا لا اقول فعلتم ... ولكنني من بعده ساقول

جنان لكم اشياء سوف اقولها ... لما جل منها وفضول
فوالله ما تشفي العليل رسالة ... ولا يشتكي شكوى المحب رسول
وما هي الا غيبة ثم نلتقي ... ويذهب هذا كله ويزول
وتستكثر العذال دمعا ارقته ... وفي حبكم ذاك الكثير قليل
وما انا ممن يستعير مدامعا ... ليبكي بها ان بان عنه خليل
اذا ما جرت من ماء عيني اعين ... جرت من دمائي ابحر وسيول
واقسم ما ضاعت دموعي فيكم ... ولو ان روحي في الدموع تسيل
سواي لاقوال الوشاة مصدق ... وغيري في عتب الحبيب عجول
سيندم بعدي من يريد قطيعتي ... ويذكر قولي والزمان طويل
فيا عاذلي في لومتي لست سامعا ... فكم انا لا اصغي وانت تقول
اذا كان من اهواه في الحب راضيا ... فيا رب لا يرضى علي عذول

المجنون

الا هل الى شم الخزامى ونظرة ... بارض الحمى قبل الممات سبيل
فاشرب من ماء الحجيلات شربة ... يداوى بها قبل الممات عليل
فيا اثلات القاع من بطن توضح ... حنيني الى افيائكن طويل

وبا اثلاث القاع قلبي موكل ... بكن وجدوي غير كن قليل
وبا اثلاث القاع قد مل صحبتي ... مسيري فهل في ظلكن مقيل
وبا اثلاث القاع ظاهر ما بدا ... بجسمي على ما في الفؤاد دليل
اريد انحدارا دونها فيردني ... ويمنعني دين علي ثقيل

لطيفة وخاتمة تشتمل على لطائف ما نقش على نحو الخواتم والتكك

وجد على اكليل براس جارية

والله يا طرفي الجاني على كبدي ... لتطفين بدمعي لوعة الحزن
بالله تطمع ان ابلى هوى وجوى ... وانت تلتذ طيب الغمض والوسن

وعلى عود

يا ايها الزاعم الذي زعما ... ان الهوى ليس يورث السقما
لو ان ما بي بك الغداة لما ... لمت محبا اذا شكى الما

وعلى مغسل

لو كان بيدي مالك ما الذي ... القى من الاحزان والكرب
وما الاقي من اليم الهوى ... عذب اهل النار بالحب

وعلى كاس

الحمد لله على ما قضى ... قد كان ذا في القدر السابق
ما تحمل الارض على ظهرها ... اشقى ولا اوثق من عاشق
فبينما يمشي على مرمر ... وبينما يسقط من حالق

وعلى اترجة

يا لك اترجة مطيبة ... توقد نار الهوى على كبدي
لو ان اترجة بكت لبكت ... لرحمتي هذه التي بيدي

وعلى تكة

ان العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن اضعف خلق الله اركانا

وعلى خاتم

قلبان في خاتم الهوى جمعا ... فارغم الله انف من قطعا

وعلى خاتم ايضا

تمنيت القيامة ليس الا ... لالقى من هويت على الصراط

ونقش ابن داود على خاتم سطرين احدهما وما وجدنا لاكثرهم من عهد والثاني فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان ابن سمنون

بعارضه فيما يفعل فقال له يوماً اتعارض هذا فقال نعم وجاء بعد قليل
وقد نقش على خاتم سطرين الأول وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
والثاني ولنصبرن على ما آذيتمونا ومما تخرط في هذا السلك ما كتب على الكتب

قيل ان صاحب المصارع كتب على اول جزء منها

هذا كتاب مصارع العشاق … صرعتهم يوماً نوى وفراق
تصنيف من لدغ الفراق فؤاده … وتطلب الراقي فعز الراقي
فاذا تصفحه اللبيب رثى لهم … اسرى هوى بخسوا من الاطلاق

وعلى الثاني

مصارع العاشقين صرعهم … هوى الظباء الفواتر الحدق
تصنيف من صده تصونه … من كشف ما في الفؤاد من حرق
فهو يسر الهوى ويكتمه … والقلب قد تاه منه في الطرق

وعلى الثالث

مصارع العشاق مجموعة … فيها لمن يقراؤها عبرة
جمع عفيف الحب يطوي الهوى … لو لم تكن تخشى العبرة
غرامه ناء مقيم وان … اعدمه يوم النوى صبره

وعلى الرابع

كتاب مصارع اهل الهوى … ومن فتكت فيه ايدي النوى
تكلف تصنيفه عاشق … عفيف الضماير جم الجوى
اضل برمل اللوى قلبه … فهل ناشد قلبه باللوى

وعلى الخامس

مصارع قتلى من العاشقين … ما لدماء بهم طالب
تكلف جمع احاديثهم … عفيف جوى وجده غالب
سقاه الهوى صرف صهبائه … فاصبح سكرانه التايب

وعلى السادس

كتاب صرعى الهوى وقتلاه … ومن صحى منهم وسكراه
تصنيف من كاد ان يشاركهم … لكن وقاه بفضله الله
فضم مما منوا به طرفا … تعجب قاريه حين يقراه

وعلى السابع

مصارع من جارت يد البين والنوى … عليهم فاضحوا في ديارهم صرعى
دماؤهم مطلولة قد اباحها … لاحبابهم شرع الهوى حبذا الشرعا

تدرعت من نبل الهوى الصبر جنة … فجاءت سهام منه أنفذت الدرعا

وعلى الثامن

كتاب مصارع قوم سقوا … كؤوس الهوى مترعات دهاقا
شكوا صرفها طالبين المزاج … فشيبت على الرغم منهم فراقا
جمعنا أحاديث صرعاهم … وسكراهم فيه لا من أفاقا

وعلى التاسع

كتاب من دارت كؤوس الهوى … عليه صرفا ليس فيها مزاج
فصرعتهم إذ حسوها هم … مرضى بنا دون الأمن علاج
تصنيف من شاركهم في الهوى … فليته مما لقي اليوم ناج

وعلى العاشر

مصارع اللائين قص الهوى … ضفت عليهم كل بحر رها
تصنيف من ذاق من سلافته … الصفو وما فاته مكدرها
يطوي أحاديث وجده ودموع … العين فوق الخدود تنشرها

وعلى الحادي عشر

كتاب تضمن أخبار من … أطاع الهوى وعصى العذلا

فلما تمكن من قلبه … أعاد حلاوته حنظلا
تكلف تصنيفه عاشق … سلا العاشقون وما إن سلا

وعلى الثاني عشر

كتاب مصارع من جهزت … بظلم إليه النوى جندها
جمعناه لما سقينا الهوى … أفاويق لم نستطع ردها
وسقنا أحاديث من جاوزت … به فجعات النوى حدها

وعلى الثالث عشر

مصارع أبناء الهوى كل عاشق … رماه الهوى عن قوسه فأصابا
بنى لهم من خاف يلقى الذي لقوا … فألف فيما قد لقوه كتابا
وجمع من أخبارهم في هواهم … أحاديث مثل الروض جيد سحابا

وعلى الرابع عشر

كتاب تضمن أبوابه … مصارع قتلى من العاشقينا
سقاهم سلافته مازجا … هواهم فمالوا به خاضعينا
غرام تلوم العيون القلوب … فيه وتلحى القلوب العيونا

وعلى الخامس عشر

قد صنف الناس في الهوى كتبا ... فيمن صحى بعد سكر منه او عطبا
واكثروا غير اني قد جمعت لهم ... وما اختصرت كتابا رائقا عجبا
ذكرت فيه باسناد مصارعهم ... عجما وجدتهم في الناس او عربا

ونظائر ذلك كثيرة لا مطمع في استقصائها فلنختم الكلام الذي اقتطفناه من هذه الازهار وارتضيناه ومن هذه الاثمار جنيناه مستغفرين الله تعالى مما جنيناه اذ هو اكرم كريم يقبل الآيب والطف لطيف بأوي التائب قائلا

كتبت وقد ايقنت ان جوارحي ... ستبلى ويبقى كل ما انا عامله
فان كان خيرا سوف احمد عنده ... وان كان شرا او تقتني غوائله
فاستغفر الله العظيم من الذي ... كتبت ومما قلت او انا قائله
فيا رب بالهادي النبي محمد ... نبي على كل الورى فاض نائله
وبالال والاصحاب ترحم عاجزا ... كليلا من الذنب الذي هو حامله
اتى تائبا من غفلة اللهو قائلا ... صحى القلب عن سلمى واقصر باطله
ولم لا وجل العمر قد فات وانقضى ... وعري افراس الصبى ورواحله
تفضل عليه وارحم الان ذله ... وتختم بخير كل ما هو فاعله

فهذا

فهذا اقصى ما اردنا تحريره وانهى نهاية ما اردنا تسطيره معتذرين عن التقصير بما سبق في صدر الكتاب تقريره فليثق الناظر فيه بان لم يدع من اصله شيئا يعتد به الا وقد اودعناه في مطاويه فالحمد لله على اتمامه والشكر له على جزيل انعامه وعلى خاصته من خلقه محمد وآله افضل صلواته وسلامه

وقع الفراغ من هذا الكتاب باليوم السابع عشر من شهر شعبان سنة ١٢١٧
على يد العبد المزوج للطف الله لطف الله ابن علي
ابن لطف الله الجدحفصي البحراني
عفى الله عنه وعن والديه
آمين آمين